جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ميسان كلية التربية

الأبعَادُ التَّداوليةُ في الصَّحيفة الرَّضويـــة

رِسَالِةٌ قَدَّمتهَا الطَّالِبة

زهراء سامي حميد

إلى مَجْلِسِ كُلّيَة التَربِيَة / جَامِعَة مَيسَان وهي جزء من

مُتَطَلَبَات نَيل شَهَادَة المَاجسْتِير في اللُغةِ العَرَبِيَة وآدابها/ اللغة

بإشراف

أ.م.د. موفق مجيد ليلو

١٤٤٤هـ ٢٠٢٣م

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(يونس :١٢)

توصية المشرف

أشهد أنَّ إعداد هذه الرّسَالة الموسومة بـ (الأبعَادُ التَّداولية في الصَّحيفة الرَّضوية) التي تقدمت بها الطالبة (زهـــــــــراء ســــــــامي حمـــــــيد) قد جرى بإشرافي، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / اللغة.

التوقيع :

المشرف : أ. م. د. موفق مجيد ليلو

التاريخ : / / ٢٠٢٣

توصية رئيس القسم

بناءً على توصية المشرف, أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع :

رئيس قسم اللغة العربية : أ. م. د. محمد مهدي حسين

التاريخ : / / ٢٠٢٣

الإهداء

إلى من أفتقد حرارة تصفيقه فرحاً بإنجازي بين الأنام

إلى الدفء الذي غادرنا سريعاً في صقيع الأيام

لو كان حاضراً لكان اليوم أسعد إنسان

إلى روحك الطاهرة يا أبي

الحمد لله حمداً كثيراً دائماً متواصلاً؛ فالفضل كله يعود إليه سبحانه فأسأله أن يتقبل هذا العمل البسيط خالصاً لوجهه الكريم...

وأتقدم بفائق الشكر والامتنان والتقدير والاحترام إلى الأستاذ المشرف الدكتور موفق مجيد ليلو على ما بذله من جهد وإخلاص في متابعة هذا البحث وتوجيهاته الثمينة التي أفضت بهذا العمل إلى شكله النهائي فجزاه الله عني أفضل الجزاء...

وأتقدم بالشكر أيضاً إلى والد زوجي أستاذ محمد اغضيب، وإلى أمي التي لم تمل من الدعاء لي طيلة دراستي... وإلى زوجي الذي ساعدني بكل أشكال الدعم، وإلى كل من مدَّ يد العون لي لإتمام هذا البحث على أكمل وجه.

الباحـــــثة

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أدعية الإمام الرضا (عليه السلام) في الصحيفة الرضوية ودراستها في ضوء المنهج التداولي، إذ تعد الصحيفة الرضوية من أجل وأعظم ما ترك لنا الإمام الرضا (عليه السلام)، إذ اشتملت على مجموعة من الأدعية والمناجات التي تعبر عن عمق العلاقة الروحية بين العبد وخالقه.

اعتمدت الباحثة في دراستها على المنهج الوصفي أولاً في شرح الموضوع وتفصيل أجزائه، ثم المنهج التحليلي، حيث تقوم بتطبيق الموضوع على أدعية الإمام (عليه السلام)، وسارت على هذا النمط في جميع فصول البحث، وجاء البحث مشتملاً على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة بأبرز النتائج التي توصلت إليها، وقائمة المصادر والمراجع.

أما التمهيد فتضمن بيان مفهوم التداولية ونشأتها، ثم التعريف بالصحيفة الرضوية المنتقاة من الصحيفة الرضوية الجامعة للأبطحي، وأهم أسانيدها.

جاء الفصل الأول ليدرس نظرية أفعال الكلام وعلاقتها بالقصدية وتطبيقهما على أدعية الإمام الرضا (عليه السلام)، وكان ذلك على ثلاثة مباحث.

أما الفصل الثاني فهو عن الإشاريات وتطبيق أنواعها على الصحيفة الرضوية، ثم درست الإحالة وعلاقتها بالإشارة وحضور الإحالة في الصحيفة الرضوية.

ثم جاء الفصل الثالث بعنوان الحجاج في الصحيفة الرضوية، وكان على مبحثين الأول منهما عن مفهوم الحجاج ونشأته وأركانه، أمَّا المبحث الثاني فتمثل في تطبيق أصناف الحجج حسب تحليل ديكرو وأنسكومبر على أدعية الصحيفة الرضوية، ودراسة الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية والسلالم الحجاجية.

ثم ختمت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم ما توصلت إليه من نتائج، تليها قائمة بالمصادر والمراجع.

الفهرست

الفهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ – د
التمهيد: التعريف بالتداولية والصحيفة الرضوية	١ – ٢٤
أولاً: التداولية المفهوم والنشأة والمصطلح	٢ – ١٨
ثانياً: التعريف بالصحيفة الرضوية	١٩ – ٢٤
الفصل الأول: الإشارة والإحالة في الصحيفة الرضوية	٢٥ – ٨٢
المبحث الأول: الإشاريات	٢٦ – ٣٩
أولاً: مفهوم الإشاريات	٢٦ – ٢٨
ثانياً: مصطلح الإشاريات	٢٩ – ٣٠
ثالثاً: أنواع الإشاريات	٣٠ – ٣٩
المبحث الثاني: أنواع الإشاريات وحضورها في الصحيفة الرضوية	٤٠ – ٦٧
أولاً: الإشاريات الشخصية	٤٠ – ٥٠
ثانياً: الإشاريات الزمانية	٥١ – ٥٥
ثالثاً: الإشاريات المكانية	٥٦ – ٦٠
رابعاً: الإشاريات الاجتماعية	٦١ – ٦٤
خامساً: الإشاريات الخطابية	٦٥ – ٦٧
المبحث الثالث: الإحالة في الصحيفة الرضوية وعلاقتها بالإشارة	٦٨ – ٨٢
أولاً: مفهوم الإحالة	٦٨ – ٧٠
ثانياً: الفرق بين الإحالة والإشارة	٧٠ – ٧٢
ثالثاً: عناصر الإحالة	٧٣ – ٧٤

رابعاً: أنواع الإحالة في الصحيفة الرضوية	٧٥ – ٨٢
الفصل الثاني: أفعال الكلام والمقاصد في الصحيفة الرضوية	٨٣ – ١٤٥
المبحث الأول: نظرية أفعال الكلام	٨٤ – ١٠٢
أولاً: نشأة النظرية ومفهومها	٨٤ –٨٧
ثانياً: نظرية أفعال الكلام من منظور أوستين	٨٨ – ٩٥
ثالثاً: نظرية أفعال الكلام مع جون سيرل	٩٥ – ١٠٢
المبحث الثاني: أفعال الكلام في الصحيفة الرضوية	١٠٣ – ١٢٣
أولاً: الأفعال الإنجازية المباشرة في الصحيفة الرضوية	١٠٤ – ١١٤
ثانياً: الأفعال الإنجازية غير المباشرة في الصحيفة الرضوية	١١٥ – ١٢٣
المبحث الثالث: المقاصد في الصحيفة الرضوية وعلاقتها بنظرية أفعال الكلام	١٢٤ – ١٤٥
أولاً: المفهوم القصدية	١٢٤ – ١٢٦
ثانياً: الظهور الفلسفي للقصدية	١٢٦ – ١٣٢
ثالثاً: القصدية ونظرية أفعال الكلام	١٣٢ – ١٣٥
رابعاً: المقاصد في الصحيفة الرضوية	١٣٥_١٤٥
الفصل الثالث: الحجاج في الصحيفة الرضوية	١٤٦ – ١٩٠
المبحث الأول: الحجاج	١٤٧ – ١٥٨
أولاً: مفهوم الحجاج	١٤٧ – ١٤٩
ثانياً: الأساس اللغوي للحجاج	١٥٠ – ١٥٧
ثالثاً: أركان الحجاج	١٥٧ – ١٥٨
المبحث الثاني: الحجاج في الصحيفة الرضوية	١٥٩ – ١٩٠
أولاً: الروابط الحجاجية	١٥٩ – ١٧١

الرابط الحجاجي (الفاء)	١٦١ – ١٦٥
الرابط الحجاجي (حتى)	١٦٥ – ١٦٨
الرابط الحجاجي (لكن)	١٦٨ – ١٧١
ثانياً: العوامل الحجاجية	١٧٢ – ١٨١
١- القصر	١٧٤ – ١٧٩
العامل الحجاجي (لا...إلَّا)	١٧٥ – ١٧٨
العامل الحجاجي (إنَّما)	١٧٨ – ١٧٩
٢- النفي	١٧٩ – ١٨١
العامل الحجاجي (لا)	١٧٩ – ١٨٠
العامل الحجاجي (لم)	١٨٠ – ١٨١
ثالثاً: السلَّم الحجاجي	١٨١ – ١٩٠
الخاتمة والنتائج	١٩٢ – ١٩٣
المصادر والمراجع	١٩٤ – ٢١١
الملخص باللغة الإنكليزية	A-C

المُقدِّمَة

المقدمة :

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره وسبباً للمزيد من فضله، والذي إذا سأله عبده أعطاه، وإذا أقبل إليه قربه وأدناه، وإذا توكل عليه حفظه وكفاه، وأفضل الصلاة والسلام على خير من دعاه، وأفضل من ناجاه رسول الرحمة صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الأطهار.

أمَّا بعد...

فتُعد الصحيفة الرضوية من أجلّ وأعظم ما ترك لنا الإمام الرضا (عليه السلام) (ت٢٠٣هـ)، فقد كانت مشتملة على مجموعة من الأدعية والمناجياة والتسبيحات التي تعبّر عن عمق العلاقة الروحية بين العبد وربه، كما أنَّها تُعلمنا السبيل إلى آداب المناجاة والتضرع والخشوع مع الله عزَّ وجلَّ، وقد سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن الأبعاد التداولية في هذه الصحيفة، فهي تحمل بين طياتها الكثير من العناصر اللغوية التي تزينها، وجاءت الأدعية مليئة بالفصاحة فهي تؤثر في سلوك المتداولين لها، فتسحر نفوسهم، وتناغم قلوبهم، فالإمام (عليه السلام) وظّف أدعيته بصورة واعية تُبيِّن ما يتطلب من سلوك للمتلقي، الأمر الذي جعلنا نقف عند الأبعاد التداولية في أدعيته (عليه السلام).

وقد اختير هذا العنوان الموسوم ب(الأبعاد التداولية في الصحيفة الرضوية) للدراسة؛ لأنَّ الصحيفة الرضوية تعدّ من أهم الكنوز المعرفية والثقافية والعبادية، فهي تمثل انعكاساً لما أراد إيصاله الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) لنا وعترته الطاهرة (عليهم السلام)، ومرآة صافية تعكس لنا أخلاق الرسول(صلى الله عليه وآله) وآل بيته (عليهم السلام)، فهو خطاب تتجلّى فيه حقيقة الأنوار القدسية والمعارف الإلهية، واقتصر البحث على الصحيفة الرضوية المأخوذة من الصحيفة الرضوية الجامعة لأدعية الإمام علي بن موسى الرضا وأبنائه الإمام الجواد والإمام الهادي والإمام العسكري والإمام المهدي (عليهم السلام)، للأبطحي (ت ١٤٣٥هـ).

وتهدف الدراسة إلى بيان بعض أبعاد التداولية في الصحيفة الرضوية، حيث تميزت الصحيفة باحتوائها على الكثير من أفعال الكلام والإشاريات، كما أنَّ الاسلوب الحجاجي واضحاً في أدعية الإمام الرضا (عليه السلام) في الصحيفة، ولم يتسع المجال لذكر جميع أبعاد التداولية كالاستلزام الحواري والافراض السابق؛ فاقتصر البحث على بعضها.

ويعتمد البحث على المنهج الوصفي أولاً في شرح الموضوع وبيان تفاصيله، ومن ثمَّ ينتقل إلى المنهج التحليلي في التطبيق وتحليل الأدعية في إثبات قيمتها التداولية، وسار البحث على هذه الوتيرة في جميع فصوله.

وقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، مختوماً بخاتمة تضمنت النتائج التي توصلت إليها الباحثة، احتوى التمهيد على بيان التداولية ومفهومها ونشأتها ومؤسسيها، وتناول التعريف بالصحيفة الرضوية وموضوعاتها وأهم أسانيدها.

ثم الفصل الأول وقد تمَّ على ثلاثة مباحث حول نظرية أفعال الكلام وهي الركن الأساسي في التداولية، على الرغم من أنَّ الإشاريات أسبق منها في التداولية، حيث مع نظرية أفعال الكلام رأت التداولية النور وأثبتت وجودها بكونها فرعاً من اللسانيات، تميز المبحث الأول بأسلوبه الوصفي في شرح هذه النظرية ومفهومها ونشأتها وكمالها مع أوستين ثم انتهائها عند تلميذه سيرل، أمَّا المبحث الثاني فكان مبحث تطبيق وتحليل وأثبتت فيه الباحثة أنَّ الصحيفة الرضوية أو أدعية الإمام الرضا (عليه السلام) في الصحيفة الرضوية الجامعة احتوت على الكثير من أفعال الكلام، وتم اختيار منهج سيرل لهذا الصدد حيث قُسم التحليل إلى أفعال الكلام المباشرة وغير المباشرة، وتم تمثيلها في الصحيفة وكانت تحتوي عليها جميعاً.

أمَّا المبحث الثالث فقد ربطت فيه الباحثة بين القصدية ونظرية أفعال الكلام فالدعاء يحتوي على مقاصد مباشرة وغير مباشرة، وهذا ما يجعلها باتصال مباشر مع نظرية أفعال الكلام، وذكر البحث مفهوم القصدية اللغوي والاصطلاحي، وكذلك

العلاقة بين القصدية ونظرية أفعال الكلام، ثم انتهى المبحث بتطبيق القصدية على أدعية الإمام الرضا (عليه السلام) في الصحيفة الرضوية.

أمَّا الفصل الثاني فقد تضمن الإشارة والإحالة في الصحيفة الرضوية، وجاء على ثلاثة مباحث، اشتمل المبحث الأول منه على التعريف بالإشاريات في ذكر مفهومها اللغوي والاصطلاحي، واختيار مصطلح الإشاريات والاختلافات حول اختيار المصطلح، وأنواع الإشاريات الخمسة (الشخصية، والزمانية، والمكانية، والاجتماعية، والخطابية).

أمَّا المبحث الثاني فقد تمثل بتطبيق أنواع الإشاريات على الصحيفة الرضوية، فقد بدأت الباحثة بالإشاريات الشخصية وقسمتها إلى ضمائر (المتكلم، والمخاطب، والغائب)، والتمثيل لكل هذه الأنواع بالأمثلة من الصحيفة الرضوية، واشتملت الإشاريات الشخصية على النداء أيضاً، ثم تطبيق الإشاريات الزمانية وبعدها المكانية ومن ثم الاجتماعية وخُتم التطبيق بالخطابية.

وأمَّا المبحث الثالث فدرس الإحالة وعلاقتها بالإشارة ثم تطبيق الإحالة على الصحيفة الرضوية، إذ بدأ بمفهوم الإحالة لغة واصطلاحاً، ثم الفرق بين الإحالة والإشارة وكيف فرَّق الدارسون بينهما، ثم أشار إلى عناصر الإحالة بشرح بسيط لكل واحدة منه، بعدها تطرَّق البحث إلى تطبيق أنواع الإحالة في الصحيفة الرضوية، ومنها الإحالة المقامية والإحالة النصّية التي تنقسم إلى قسمين إحالة قبلية وإحالة بعدية.

أمَّا الفصل الثالث فدرس الحجاج في الصحيفة الرضوية، وقد جاء في مبحثين، المبحث الأول تناولت فيه الباحثة مفهوم الحجاج ونشأته وأركانه، أمَّا المبحث الثاني فقد تضمن تطبيق الحجاج في الصحيفة الرضوية، وقد تمثَّل في الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية والسلالم الحجاجية، ثم ختمت الباحثة مشروعها بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي وصلت إليها.

وقد واجهت الباحثة العديد من الصعوبات في مسيرة البحث منها: إنَّ الصحيفة الرضوية غير مشروحة، وهذا ما عانت منه الباحثة كثيراً في تفسير نصّ الدعاء وتأويله بما يتناسب مع الدراسة، كما إنَّ قلة الدراسات في الصحيفة الرضوية زادت من صعوبة هذه الدراسة، إذ إنَّها مدروسة من الناحية الأسلوبية والروابط النحوية والجملة النحوية، ودُرست من الناحية الأدبية، في رسائل بعنوان:

ـ الصحيفة الرضوية دراسة أسلوبية، الهدى شمخي عبد المطلب الموسوي، جامعة كربلاء ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ قسم اللغة العربية، ٢٠١٨م.

ـ أثر الروابط في اتساق وانسجام الصحيفة الرضوية، رويدة حسين كامل، كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية ـ جامعة الكوفة، ٢٠١٨م.

ـ جماليات الخطاب في الصحيفة الرضوية الجامعة، ميادة عبد الأمير إسماعيل، كلية التربية ـ جامعة ميسان، ٢٠١٩.

ـ بناء الجملة في أدعية الإمام الرضا عليه السلام في الصحيفة الرضوية الجامعة، مالك ناصر حسين العقبي، رسالة ماجستير في كلية التربية الأساسية ـ جامعة الكوفة، ٢٠٢٢م.

لذلك كان من الصعب تأويل الدعاء ومعرفة مقصده من غير الرجوع الى شرح سابق للدعاء، كما أنَّ التداولية علم غربي المنشأ وأغلب كتبه الرئيسة مكتوبة باللغة الإنكليزية، ومصادره الأصلية كثير منها غير مترجم إلى العربية، فاعتمدت المصادر المترجمة فقط والمصادر العربية أيضاً.

وفي الختام لا يسعني إلَّا أن أشكر الله تعالى أولاً على توفيقه لإتمام هذا البحث، وأشكر مشرفي الدكتور موفق مجيد على ما بذله من جهد في تقويم هذه الرسالة، وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

الباحثة

التَّـــمـهـيـد

أولاً: التداولية النشأة والمفهوم والمصطلح

ثانياً: التعريف بالصحيفة الرضوية

أولاً: التداولية المفهوم والنشأة والمصطلح

المفهوم اللغوي للتداولية :

أضحت الدراسات والأبحاث في مجال التداولية تشغل اهتمام الكثير من الدارسين واللغويين، فقد طغت التداولية اليوم على الأبحاث اللسانية، فهي تهتم بالمتلقي ومضمون السياق والإنجاز، وقد ورد مفهوم التداولية في المعجمات اللغوية تحت الجذر اللغوي (دول)، ومن هذه المعاجم:

يقول ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) في معجمه، في مادة (دول): "الدَّال وَالواو وَاللَّام، أَصلان: أَحَدُهما: يَدلُّ عَلَى تَحوُّل شَيء مِن مَكانٍ إِلى آخرِ، والآخَر، يَدلُّ عَلى ضَعْفٍ وَاسْترخَاء، أمَّا الأَوَّل: فَقالَ أَهلُ الُّلغَة: انْدَالَ القَومُ، إِذا تَحَوَّلوا مِن مَكانٍ إِلى مَكانٍ، وَمِن هَذا البَاب تَدَاوَلَ القومُ الشَّيءَ بَينَهم: إِذا صَارَ بَعضهم إِلى بَعض، وَالدَّولة وَالدُّولة: لُغَتان، وَيُقالُ: بَل الدُّولَة فِي المَالِ وَالدَّولَة فِي الحَربِ، وإِنَّما سُمِّيا بِذلك مِن قِيَاسِ البَابِ؛ لأَنَّه أَمرٌ يَتَداوَلُونَهُ، فَيَتَحَوَّلُ مِن هَذا إِلى ذَاك وَمِن ذَاك إِلى هَذا"[1]، فيرى ابن فارس مادة (دول) تدل على التبدل والتحول.

وجاء في معجم أساس البلاغة للزمخشري (ت٥٣٧هـ) في مادة (دول) "دَالَت لَه الدَّولَة، وَدَالت الأَيَّام بِكَذا، وَأَدَالَ الله بَنِي فُلان مِن عَدوّهِم: جَعَلَ الكرَّة لَهُم عَلَيه، وَعَن الحَجَّاج: إِنَّ الأَرضَ سَتُدالُ مِنَّا كَما أُدِلْنا مِنها...، وَاللهُ يُداوِلُ الأَيَّامَ بَينَ النَّاسِ مَرَّة لَهُم وَمَرَّة عَلَيهِم...، وَتَداوَلوا الشَّيءَ بَينَهُم، وَالماشِي يُداوِل بَينَ قَدَمَيهِ: يُراوِحُ بَينَهُما، وَتَقولُ دَواليْك أَي: دَالتْ لَكَ الدَّولَةُ كَرَّة بَعدَ كَرَّة، وَفَعَلنَا ذَلِكَ دَواليْك، أَي:

---

[1] معجم مقاييس اللغة، اعتنى به: محمد عوض مرعب، فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م، مادة (دول)، ٢/ ٣١٤.

كَرَّات بَعضُهما فِي أَثَرِ بَعض"[1]، فيرى الزمخشري أَنَّ معنى (دول) هو من التكرار وعدد المرات ودوار الأيام أي اختلاف أحوالها من يوم لآخر.

وذُكر في المعجم الوسيط: "(دَالَ) الدَّهرُ – دَوْلاً، وَدَوْلَةً: انتَقَلَ مِن حَالٍ إِلى حَالٍ، وَالأَيامُ: دَارَت، وَيُقَالُ: دَالَت الأَيَّامُ بِكَذا، وَدَالَت لَه الدَّولَةُ...، (دَاوَلَ) كَذا بَينَهُم: جَعَلَهُ مُتَدَاوَلاً، تَارةً لِهؤُلاء وَتَارةً لِهؤُلاء، وَيُقالُ دَاوَلَ اللهُ الأَيَّامَ بَينَ النَّاسِ: أدارَها وَصَرَّفها، وَفِي التَنزِيل العَزيز: ﴿وَتِلكَ ٱلأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَينَ ٱلنَّاسِ﴾[2]...، وَ(تَدَاوَلَتِ) الأَيدِي الشَّيءَ: أَخَذَتهُ هَذهِ مَرَّة، وَهَذهِ مَرَّة، وَيُقالُ: تَدَاوَلَ القومُ الأَمرَ"[3]، فنجد أنَّ مادة (دال) تدل في المعجم الوسيط على الانتقال.

ويقول خليفة بوجادي في ذلك: "ومجموع هذه المعاني: التحوُّل والتناقل، الذي يقتضي وجود أكثر من حال، ينتقل بينهما الشيء وتلك حال اللغة متحولة من حالٍ لدى المتكلم إلى حالٍ أخرى لدى السامع، ومتنقِّلة بين الناس يتداولونها بينهم، ولذلك كان مصطلح (تداولية) أكثر ثبوتاً – بهذه الدلالة – من المصطلحات الأُخرى الذرائعية والنفعية والسياقية... وغيرها"[4]، ونرى عبر ما ورد للتداولية من معانٍ لغوية أنَّ التداول يعني التحوُّل والمداولة في الأمور (المناقشة) والتغير في الكلام بين المتخاطبين المتكلم والمتلقي؛ وبذلك نجد أنَّ مصطلح التداولية أجدر لهذا الفرع من اللسانيات من باقي المصطلحات التي سيأتي ذكرها.

---

[1] معجم أساس البلاغة، دار صادر–بيروت، ط١، ٢٠٠٩م، مادة (دول), ١/ ٢٨٨.

[2] سورة آل عمران: ١٤٠.

[3] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (إبراهيم مصطفى، احمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار)، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، إيران – طهران، ط٦، والقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م – ١٤٢٥هـ، ١/ ٣٠٤.

[4] في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، الدكتور خليفة بوجادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م، ص: ١٤٨.

التداولية اصطلاحا :

تعددت تعريفات التداولية وتنوعت وأصبح من العسير وضع تعريف جامع مانع للتداولية، نتيجة تداخلها بالعلوم الأُخرى التي لها علاقة باللغة في بعض الجوانب واتساع مجالات التداولية، لكنَّها لا تنضوي تحتها، ومن هذه العلوم (علم الدلالة، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي، وتحليل الخطاب)[١]، فالتداولية تمثِّل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة، منها: الفلسفة التحليلية متمثلة بفلسفة اللغة العادية، ومنها علم النفس المعرفي متمثلاً في نظرية الملاءمة على الخصوص، ومنها علوم التواصل، ومنها اللسانيات[٢]، فالتداولية متعلِّقة باللغة العادية المستعملة وتدخل اللغة المستعملة في الكثير من العلوم المدروسة في مجالات الحياة.

وإنَّ أقدم تعريف نَعْرِفه للتداولية والذي يمثلها خير تمثيل هو تعريف (موريس١٩٣٨م)[٣]، حيث قال بأنَّها: "دراسة العلاقة بين العلامات ومفسريها"[٤]، حيث عدَّ التداولية جزءاً من السيميائية، وكيفية فهم المتلقي هذه العلامات وتحويلها إلى لغة متداولة.

---

[١] يُنْظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب جامعة الإسكندرية،٢٠٠٢م، ص: ١٠ – ١١.

[٢] يُنْظر: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٦.

[٣] موريس تشارلز(١٩٠١– ١٩٧٩م)، هو فيلسوف أمريكي، حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة سنة ١٩٢٥، طور أفكار تشارلز بيرس، وأعاد تنظيم الفلسفة وجعل علم العلامات علماً مستقلاً، وميز بين ثلاثة اتجاهات للسيميائية (التركيب، وعلم الدلالة، والتداولية). يُنْظر: قاموس التداولية ، جوليان لونجيو جورج إيليا سرفاتي، ترجمة: لطفي السيد منصور، ط١، بيروت – لبنان، ٢٠٢٠م، ص: ١٧٥.

[٤] وصف اللغة العربية دلالياً، محمد محمد يونس علي، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا، ١٩٩٣م، ص: ١١٧.

ويعرِّفها (فان دايك)[١] بأنَّها: "الخطاب التداولي أي العلاقات المطَّردة الموجودة بين بنيات النص والسياق"[٢]، جعل دايك التداولية علماً يختص بتحليل ما يحدث داخل النص في أثناء الكلام من تأثير وتأثر بين منشئ النص والمتلقي في سياق الكلام.

وقد عرَّفها (هيليل ت ١٩٧٥)[٣] بأنَّها دراسة الترابط في اللغة العادية فهي مترابطة عند استعمالها في عملية التواصل بين المتكلِّم والمتلقي ومقام الاستعمال، حيث قال بأنَّها: "دراسة الارتباط الضروري لعملية التواصل في اللغة الطبيعية بالمتكلم والسامع بالمقام اللغوي وبالمقام غير اللغوي وارتباطها بوجود معرفة أساسية وبسرعة استحضار تلك المعرفة"[٤]، حيث عدَّها معرفة تواصلية بين المتكلم والمتلقي.

---

(١) فان دايك: هو عالم لساني بارع ولد في هولندا علم ١٩٤٣م، حصل على شهادات عليا في اللغة الفرنسية والآداب ثم حصل على الدكتوراه في اللسانيات في جامعة أمستردام، ويعمل أستاذاً لدراسات الخطاب في جامعة أمستردام، كانت أبحاثه الأولى تدور حول الدراسة اللسانية للآداب، ثم تحول إلى تداولية الخطاب، وأخيراً اهتم بعلم النفس المعرفي لمعالجة الخطاب، فيعد زعيم مدرسة تحليل الخطاب الاجتماعي والادراكي وكتابه (علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ١٩٧٨م) من أهم دراساته في هذا المضمار، وأسس عدة مجلات منها (النص والشعر) و(الخطاب والمجتمع). ينظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، ص: ١١_٩.

(٢) النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، المغرب، ط١، ٢٠٠٠م، ص: ٢٧٥.

(٣) بار هيليل يهوشوا (١٩١٥ – ١٩٧٥) هو فيلسوف وعالم رياضيات يهودي تأثر بفكر كارناب، وأسهم في تطوير الترجمة الآلية، وكذلك في تطوير التداولية التي منحها وضعاً إيجابياً، مع مقال في التعبيرات التأشيرية، وقد ألف كتاب (جوانب اللغة: مقالات ودروس في فلسفة اللغة)، و(اللسانيات)، و(منهجية اللسانيات ١٩٧٠)، وكذلك (اللغات الطبيعية ١٩٧٥). انظر قاموس التداولية، جوليان لونجي، ص: ٤٨.

(٤) السيميائية وفلسفة اللغة، إمبرتو إيكو، ترجمة: د. أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ص: ٤٥٥.

أمَّا العلماء العرب فيعرِّفها (طه عبد الرحمن) وهو الواضع الأول لمصطلح التداولية بقوله: "فالتداول عندنا متى تعلق بالممارسة التراثية، هو وصف لكل ما كان مظهراً من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم، كما أنَّ المجال في سياق هذه الممارسة هو وصف لكل ما كان نطاقاً مكانياً وزمانياً، لحصول التواصل والتفاعل، فالمقصود بمجال التداول في التجربة التراثية، هو إذن محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث"[١]، ومن هذا التعريف نرى أنَّ عبد الرحمن عدَّ التداولية عملية تواصل وتفاهم بين عامة الناس من صانعي التراث ولا توجد حدود مكانية أو زمانية تحد هذا التواصل.

ويعرَّفها الدكتور (بهاء الدين) في كتابه تبسيط التداولية: "بأنَّها دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام language in use، بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية لا في حدودها المعجمية أو تراكيبها النحوية"[٢]، أي دراسة اللغة المستعملة في معانيها الواضحة السياقية، كما يعرَّفها (مسعود صحراوي) بقوله: "هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصيَّر التداولية من ثمَّ جديرة بأن تسمى علم الاستعمال اللغوي"[٣]، ويقصد بذلك بيان أنَّ هنالك قيوداً تحيط باستعمال اللغة للتواصل والتفاهم في الخطابات العامة.

ومن هذه التعريفات نرى أنَّ التداولية تدرس اللغة المستعملة (المتداولة) في العملية التواصلية بين المتكلم والمخاطب، فهي تهتم بسياق الكلام ومقاصد المتكلمين وما يفهمه المتلقي من هذه المقاصد، كما أنَّها لا تتقيد بزمان محدد أو مكان فهي لغة طبيعية مستعملة طوال اليوم، فالبعد التداولي يتكىء على اللغة ودراستها في

---

[١] تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط٢، ٢٠٠٥م، ص: ٢٤٤.

[٢] تبسيط التداولية من أفعال اللغة الى بلاغة الخطاب السياسي، مطبعة شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ص: ١٨.

[٣] التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص: ١٦ – ١٧.

حال استعمالها، وليس في حال كونها نظاماً كامناً في أذهانِ المجموعةِ البشريةِ المعينةِ، أمَّا الاستعمال فهو التحقق الفعلي للغة.

نشأة التداولية

تُعدُّ اللغة المنطوقة أساساً للتواصل بينَ البشر، وخيرَ معين على معرفةِ دلالات الأشياء الأخرى غير اللغوية مثل الرموز والإشارات، فهي لا تفهم إلَّا بترجمتها أو تأويلها إلى كلمات لمعرفة دلالاتها، ومهمة التداولية هي دراسة هذه اللغة، فبعد أن كانت التداولية مهملة، أصبحت منذ سبعينيات القرن العشرين بؤرة اهتمام لدى الكثير من الباحثين ليس في علم اللغة فحسب، بل في مجالات دراسة التواصل، وتحليل الخطاب، وتحليل الحوار، وعلم النفس، والعلوم الاجتماعية، والذكاء الصناعي، ودراسة العلاقة بين اللغة والإدراك[١]، فالتداولية تتقاطع مع علوم معرفية مختلفة؛ ولذلك تُعد مبحثاً لسانياً جديداً، إلَّا أنَّها عند التنقيب عن جذورها الأولى نجدها تنبت في الفلسفة اللغوية.

لا أحد يماري في أنَّ البحث التداولي وليد الثقافة (الانجلو ساكسونية)[٢]، وقد تطوَّرت في الولايات المتحدة وإنجلترا بسبب الدور الذي لعبته الاتجاهات التحليلية في الفلسفة من جهة، ومن جهة أخرى بسبب ما خلفته النظرية التوليدية في نموذجها الأول من مشاكل بسبب تمسكها باستقلالية التركيب، مما أدَّى إلى التفكير في

---

[١] يُنْظر: مسرد التداولية، الأستاذ الدكتور مجيد الماشطة، مدرس مساعد أمجد الركابي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٨م – ١٤٣٩هـ، ص: ١٩.

[٢] الثقافة الانجلو ساكسوينة: وهي ثقافة تبنتها جماعة سكنت انجلترا منذ القرن الخامس، تتألف هذه الجماعة من القبائل الجرمانية، هاجروا من أوربا الى جزيرة بريطانيا العظمى، ويمكن رؤية الثقافة الانجلو ساكسونية في الحضارة المادية للمباني واللباس وتذهيب الكتب والمرفقات الجنائزية في علم الاثار وعلم الانسان. موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، الانجلو ساكسونية ،https://ar.m.wikipedia.org/wiki/.

البعدين الدلالي والتداولي[١]، وقد ظهرت التداولية كذلك نتيجة القطيعة التي أحدثتها الدراسات البنيوية عن معطيات السياق ككل.

والفلسفة اللغوية[٢] تشمل بحوث رواد فلسفة اللغة الطبيعية والفلسفة التحليلية، في مقابل مدرسة اللغة الشكليَّة، وتقوم على دراسة كيفية توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال الإبداع، وتلك هي المنابع التي نشأت فيها التداولية في الواقع[٣]، فهي ذات أساس فلسفي قديم.

وتعد الفلسفة التحليلية المصدر المعرفي الأهم للأفعال الكلامية، وعلى هذا الأساس فهي تجسد الخلفية المعرفية للتداولية[٤]، فقد ظهرت الفلسفة التحليلية على يد الفيلسوف الألماني (غوتلوب فريجة ١٩٢٥ Gottlob Frege)[٥] في كتابه أسس علم الحساب، فهو يعد المؤسس للفلسفة التحليلية، وكذلك كتابات (وبرتراند راسل

---

[١] يُنْظر: البعد التداولي عند سيبويه، أ. مقبول إدريس، (بحث)، عالم الفكر، ط١، العدد ٣٣، يوليو– سبتمبر، ٢٠٠٤م، ص: ٢٤٥.

[٢] فلسفة اللغة وهي تهدف إلى وصف واضح ودقيق من زاوية نظر فلسفية، لبعض الخاصيات العامة المتعلقة باللغة مثل الاحالة والمعنى والصدق، كما انها لا تهتم بعناصر مخصوصة إلا بصورة عرضية، وهي بذلك مبحث من مباحث الفلسفة، يركز جل اهتمامه على مشكلات تثيرها اللغة ذاتها، وبالتالي لا تعد فلسفة اللغة دراسة اللغة من حيث هي كذلك، بل من حيث هي حديث فلسفي حول اللغة. ينظر: الاعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة، جون سيرل، ت: اميرة غتيم، تونس، دار سيانترا، ٢٠١٥، ص: ١٨_١٩.

[٣] يُنْظر: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بو جادي، ص:٥٠.

[٤] يُنْظر: التفكير التداولي في كتاب الحروف لأبي نصر الفارابي، بن شريط نصيرة، جامعة محمد بو ضياف بالمسيلة، ٢٠١٧م، ص: ٥٧.

[٥] جوتلوب فريجة (١٨٤٨ – ١٩٢٥)، هو فيلسوف ومنطقي الماني مبتكر حساب القضايا (القوانين الصورية للاستدلال)، وهو رائد المنطق الرياضي، ينجز فريجة مشروع الخصائص العالمية. يُنْظر قاموس التداولية، جوليان لونجي وجورج إيليا سرفاتي، ص:١١٥.

١٩٧٠ Russel Bertrand)[١]، و(لودفيج فيتجنشتاين Ludwig Wittgeretin ١٩٥١[٢])[٣].

ولقد شكَّل هذا الاتجاه الفلسفي بمختلف اتجاهاته واهتماماته وقضاياه الخلفية المعرفية التي انبثقت منها أكثر المفاهيم التداولية أهمية متمثلة في مفهوم (الأفعال الكلامية)، ومفهوم (القصدية) فكانت بذلك السبب المباشر في نشوء اللسانيات التداولية[٤]، وقد انقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثةِ اتجاهات[٥]، وهي: (الوضعانية المنطقية، والظاهراتية اللغوية، وفلسفة اللغة العادي)[٦].

---

[١] برتراند راسل (١٨٧٢ – ١٩٧٠): هو فيلسوف ومنطقي بريطاني وهو مؤسس الفلسفة التحليلية، طور المنطقانية بعد فريجة، كشف التناقض في نظرية المجموعات، ومؤلف مبادئ الرياضيات عام (١٩٠٣)، ومن أعماله (نظرية الوصف المحدد، ونظرية الانماط المنطقية، ووجد حلاً للتناقض المنطقي، وطور الفلسفة التحليلية). انظر قاموس التداولية، جوليا لونجي، ص: ٢٣٥.

[٢] لودفيغ فتجنشتاين(١٨٨٩ – ١٩٥١): وهو فيلسوف نمساوي وبريطاني، ساعدت أفكاره كثيراً في تطور الفلسفة التحليلية، وبشكل أعم في نظرية المعرفة (حلقة فينا). يُنْظر قاموس التداولية، جوليان لونجي وجورج إيليا سرفاتي، ص: ٢٩٢.

[٣] يُنْظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص: ١٨.

[٤] يُنْظر: الفلسفة والسيميائية مصدران للتداولية، أ. دلال وشن، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة ميلة، المجلد ١١، العدد١، ١٨ مارس ٢٠١٩م، ص: ٦١.

[٥] يُنْظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص: ٢٢. ويُنْظر: محاضرات في اللسانيات التداولية، خديجة بو خشة ، ص: ٥.

[٦] الوضعانية المنطقية: هي حركة فلسفية ظهرت في النمسا وألمانيا في العقد الثاني من القرن العشرين، وتعنى بالتحليل المنطقي للمعرفة العلمية، وتؤكد هذه الحركة على أن المقولات الميتافيزيقية أو الدينية أو القيمية فارغة من أي معنى إدراكي، وان المقولات الرياضية والمنطقية والطبيعية هي فقط ذات معنى محدد، ومن أعلام هذه الحركة: (رودلوف كارناب، هيربيرت فغل، كيرت جرلينج). ينظر: محاضرات في مادة فلسف اللغة، الطيب رزقي، كلية الآداب واللغات– قسم اللغة العربية، الجمهورية الجزائرية، جامعة الإخوة منتوري _ قسنطينة.

ويعد بيرس المؤسس الأول لهذا الفرع من اللسانيات فهو أول من جاء بكلمة البراجماتية[١]، ثم جاء الفيلسوف (وليم جيمس)[٢] وطور التداولية، وجاء من بعده (جون ديوي)[٣] وأبدى نظرته في التداولية[٤]، ويعود استعمال التداولية لأول مرة

الظاهراتية اللغوية: وهي مدرسة فلسفية ظهرت في القرن التاسع عشر، جاءت كرد فعل على المدرسة الوضعية؛ لأن الوضعية تسلم بوجود حقائق موضوعية مستقلة عن الوعي الفردي، أما الظاهراتية فتعتمد على الخبرة الحدسية في تحليل الظواهر وتراهن على حضور الإنسان في العالم، فمن أفكارها أنها تهتم بالوعي الإنساني باعتباره الطريق الموصل إلى فهم الحقائق الاجتماعية، ومن أهم مؤسسيها: (هوسرل، هايدغر، سارتر، موريس). ينظر: محاضرات في مادة فلسفة اللغة، الطيب رزقي، ص:٢٥.

فلسفة اللغة العادي: هي اتجاه فلسفي بزعامة الفيلسوف النمساوي (فتجنشتاين)، وقد اهتم فلاسفتها باللغة العادية ودراسة الجوانب الدلالية والتداولية للغة الطبيعية وتحليل الاستعمالات اللغوية اليومية بوصفها طريقة لحل المشاكل المتولدة حين يتم تبنيها كمصطلحات فلسفية، وقد عالجت هذه الفلسفة الظواهر من قبيل (الإحالة والأفعال اللغوية والاستلزام الحواري). ينظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص: ٢٠-٢٣.

[١] ينظر: المذاهب الفلسفية المعاصرة، سماح رافع محمد، ص: ٥١.

(٢) وليم جيمس (١٨٤٢-١٩١٠م)، وهو فيلسوف وعالم نفس أمريكي، ويعد مفكر أمريكا العصري، وأكثر كتابها نيلاً للإعجاب والتقدير، أرسى جيمس أفكاره في السيكولوجيا في كتابه (الوجيز في علم النفس ١٨٩١)، ثم عكف ينشئ تفرعاته الفلسفية، حافظ جيمس طوال حياته على علاقات وثيقة بالفلاسفة وعلماء النفس الأوربيين، وصدرت له نصوص شتى منها (محاولات في التجربية الجذرية ١٩١٢، ورسائل وليم جيمس ١٩٢١). يُنْظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م، ص: ٢٦٦ - ٢٦٨.

(٣) جون ديوي (١٨٥٩-١٩٥٢)، وهو فيلسوف ومربٍ أمريكي شمالي، يعد من أوائل المؤسسين للفلسفة البراغماتية، كان يول يؤمن بالذهنية والمنهج التجريبيين، ويرى أنَّ العقل البشري هو نتاج التطور البيولوجي، ومن أهم مؤلفاته (المدرسة والمجتمع، الديمقراطية والتربية، كيف نفكر، الحرية والثقافة). يُنْظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص: ٣١١ - ٣١٣.

[٤] يُنْظر: مدخل جديد إلى الفلسفة، د. مصطفى النشار، نيوبوك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٧م، ص: ١٦٤.

إلى الفيلسوف الامريكي (شارلز موريس Charles Moris)، حيث وزَّع الرسوم اللغوية حسب المخطط التالي:

١- **الجانب النحوي Syntax أو علم التراكيب:** ويعنى بعلاقة الرموز أو العلامات اللغوية ببعضها.

٢- **الجانب الدلالي Semantics أو علم الدلالة:** ويعنى بالرموز اللغوية وعلاقتها بالأشياء التي تدلّ عليها، أي بيان المعنى الحقيقي لها.

٣- **الجانب البراغماتي Pragmatics أو التداولي:** ويعنى بعلاقة الرموز اللغوية بمستعمليها، وبالظواهر النفسية والحياتية والاجتماعية المرافقة لاستعمال هذه الرموز[١].

لقد استقر في ذهن موريس أنَّ التداولية تقتصر على ضمائر المتكلم والخطاب وظرفي الزمان والمكان مثل (الآن، هنا) والتعابير التي تستقي دلالتها من معطياتٍ تكونُ خارجَ اللغة نفسها، أي مِن المقام الذي يجري فيه التواصل[٢].

لكنَّ التداولية نمت وبدأت بالظهور الحقيقي في سنة ١٩٥٥م، عندما ألقى (جون أوستين) محاضراته في جامعة هارفارد، ضمن برنامج (محاضرات وليم جيمس)[٣]، ويقول محمود أحمد نحلة: "التداولية لم تصبح درساً يعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلَّا في العقد السابع من القرن العشرين، بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد، وهم (جون

---

[١] يُنْظر: استراتيجية الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتب الجديد، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٤م، ص: ٢١.

[٢] يُنْظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آنروبو وجاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني ولطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، ودار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٣م ، ص: ٢٩.

[٣] يُنْظر: المصدر السابق، ص: ٢٨.

أوستين J.Austin)، و(سيرل Searle)[١]، و(غرايسCrice)[٢]، وقد كان هؤلاء الثلاثة من مدرسة اللغة الطبيعية...، ومن الغريب أنَّ أحداً منهم لم يستعمل مصطلح التداولية فيما كتب من أبحاث"[٣]، فمفهوم التداولية اكتمل نضجه في صورته الأخيرة مع العالم الأمريكي (جون أوستين) J.Austin، إذ قام بتقديم نظرية إجرائية للتداولية وتحليل الخطاب وهي نظرية (أفعال الكلام)[٤] التي أصبحت الشريان النابض للتداولية والعودة بها إلى المجال اللساني الحي.

مصطلح التداولية في الفكر الغربي والعربي

(المصطلح) جزء من المنهج العلمي، باعتبار أنَّ المعرفة العلمية لا تقوم إلَّا على منهج قائم على مفاهيم محددة، تجسِّدها مصطلحات خاصة، وأنَّ التداولية مصطلح لساني غربي المنشأ، يرجع تاريخه في العصر الحديث إلى القرن السابع عشر، واستخدمه الفيلسوف الألماني (إيمانويل كانت ١٨٠٤م)[٥]، وأخذه عنه

---

[١] سيرل: جون روجرز، هو فيلسوف امريكي، ولد سنة ١٩٣٢، ويعد ممثل مهم لفلسفة اللغة، ومن أعماله أنَّه أعاد صياغة نظرية أفعال الكلام، وقد طور نظرية القصدية، كما أنَّه لديه إسهام في نظرية الأدب، وهو أستاذ في فلسفة العقل واللغة بجامعة كاليفورنيا، ومن مؤلفاته (أفعال الكلام ١٩٦٩، وفلسفة اللغة ١٩٧١). يُنْظر: قاموس التداولية، ص: ٢٤٠.

[٢] غرايس (١٩١٣– ١٩٨٨)، هو فيلسوف بريطاني، قام بتطوير مفهوم قصدية التواصل؛ لقربه من فلسفة اللغة العادية، واستلهم نظرية (قوانين الخطاب) لديكور ونظرية الملاءمة، وأسهمت مفاهيمه في نقل مسألة الدلالة من مجال التمثيل اللغوي إلى مجال التمثيل الذهني. يُنْظر: قاموس التداولية، ص: ١٢٣.

[٣] آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص: ٩ – ١٠.

[٤] يُنْظر: التداولية مقدمة عامة، خلف الله بن علي، مجلة اتحاد الجامعة العربية للآداب، المجلد١٤، العدد ١، ٢٠١٧م، ص: ٢٢٢.

[٥] إيمانويل كانت (١٧٢٤ – ١٨٠٤)، هو فيلسوف ألماني، ولد ومات في كونيغسبرغ (بروسيا الشرقية)، وقف نفسه على دراسة الفلسفة والطبيعيات، كتب رسالتين عام ١٧٥٥م (في النار، والمبادئ الأولى للفلسفة الميتافيزيقية)، وبعدها بعام قدَّم رسالة أخرى بعنوان (المونادولوجيا

(تشارلز بيرس)[١] رائد علمي العلامات والبراغماتية اللسانية، ونقله إلى الدراسات اللسانية، وقد تأثر المصطلح في كنف هذه الفلسفة في القرن العشرين، واستقر في اللسان على لفظ (pragmatics) في المصطلح الحديث، وقد استخدم اللساني (جورج يول GeorgeYule)[٢] مصطلح (Pragmatics) في الحقل اللساني، وجعله عنوان كتابه، وقد نشأ المصطلح في كنف الفلسفة، ثم انتقل إلى الفلسفة الحديثة[٣] على أيدي شارل بيرس ووليام جيمس، ثم انتقل إلى اللسانيات في

الطبيعية)، أهّلته هذه الرسالة لأن يصبح أستاذاً في الرياضيات والفلسفة، ثم أصبح أستاذاً للمنطق والميتافيزيقيا. يُنْظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص: ٥١٣.

[١] بيرس تشارلز ساندرس (١٨٢٩– ١٩١٤م)، هو فيلسوف أمريكي، درس الفنون في جامعة هارفارد واصبح أستاذاً في الفنون عام ١٨٥٩م، ثم درس العلوم عام ١٨٦٣م، وانتخب عضواً في الأكاديمية الوطنية للعلوم عام ١٨٧٦م، ثم درس الفلسفة في جامعة هارفارد وأول محاولة فلسفية هامة له هو (كيف نوضح أفكارنا) ١٨٧٨م، ونشر في المجلة الفلسفية، ومن أعمال بيرس (دراسات في المنطق ١٨٨٣م، والهندسة المعمارية للنظريات ١٨٩٠م، وما الذرائعية ونشأة الذرائعية ١٩٠٥م)، وقد دعي إلى لجان تحرير قاموس القرن وقاموس الفلسفة وعلم النفس. يُنْظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص: ٢٢٠ – ٢٢١.

[٢] جورج يول: هو لغوي أمريكي أسكتلندي ولد في مدينة ستيرلنغ، أسكتلندا عام ١٩٤٧م، أصبح مواطناً أمريكياً عام ٢٠٠٠، وهو يعيش الآن في هاواي، اشتهر بأعماله في البراغماتية وتحليل الخطاب، درس في جامعه Edinburgh، وأكمل درجة الماجستير في اللغة الإنجليزية وآدابها عام (١٩٦٩)، والدكتوراه في اللغويات عام (١٩٨١) في بداية حياته المهنية، قام بتدريس اللغة الإنجليزية في كندا وجامايكا والمملكة العربية السعودية وأسكتلندا بعد حصوله على الدكتوراه، قام بتدريس اللغويات واللغويات التطبيقية في جامعة إدنبرة وجامعة مينيسوتا وجامعة ولاية لويزيانا وجامعة هاواي، من أشهر أعماله هو كتاب تمهيدي عن اللغة. موقع ويكيبيديا (جورج يول)، https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D٨%AC%D٩%٨٨%D٨%B١%D٨%AC_%D٩%٨A%D٩%٨٨%D٩%٨٤_(%D٩%٨٤%D٨%BA%D٩%٨٨%D٩%٨A)

[٣] الفلسفة الحديثة هي فئة من الفلسفة التي نشأت في أوروبا الغربية في القرن ١٧، وهي شائعة عالميًّا الآن، وهذه الفلسفة ليست عقيدة محددة أو مدرسة وإن كانت هناك بعض الافتراضات المشتركة بين الكثير منها، مما يساعد على تمييزها عن الفلسفة الأولية، ونظرَتْ الفلسفة الحديثة للأحداث الواقعية على أنّها نَتاج لمجموعة من المسببات المنطقية التي أدّت إلى وقوعها، ومن

أعمال بيرس وشارل موريس، وقد طوره في اللسان (أوستين، وسيرل، وكارناب[١])، و(لودفيج فتجنشتاين)[٢].

ولكن البحث عن هذا المصطلح يؤرخ له منذ القدم، حيث كانت تستعمل كلمة pragmaticus اللاتينية، وكلمة pragmaticas الاغريقية بمعنى (عملي)، أمَّا الاستعمال الحديث والمتداول يعدو تأثير (البراغماتية)، حيث اختص هذا المصطلح بالبراغماتية[٣]، وكلمة البراغماتية في أصلها اللغوي مشتقة من كلمة يونانية تعني (العمل النافع أو المزاولة المجدية) ويصبح المقصود منها هو (المذهب العملي أو المذهب النفعي)[٤]، كما يجب علينا التفريق بين مصطلح البراغماتية (التداولية) pragmatique الذي هو توجه معرفي يختص باستعمال اللغة ودوافع المتكلمين

أهم فلاسفتها: (رينيه ديكارت، وفرانسيس بيكون، وغاليليو غاليلي). ينظر موقع ويكيبيديا، https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D٩%٨١%D٩%٨٤%D٨%B٣%D٩%٨١%D٨%A٩_%D٨%AD%D٨%AF%D٩%٨A%D٨%AB%D٨%A٩.

[١]أوستين جون لانجشو (١٩١١-١٩٦٠)، هو فيلسوف بريطاني، وهو أحد أعضاء مدرسة أوكسفورد، وضع الأساس لنظرية أفعال الكلام في محاضراته (كيف ننجز الأشياء بالكلمات). يُنْظر: قاموس التداولية، ص: ٤٤.

رودلوف كارناب (١٨٩١- ١٩٧٠م)، هو فيلسوف ومنطقي الماني، درس منطق العلوم في جامعة فينا على يد فريجة، ودرس في الجامعة الألمانية ببراغ، ثم هاجر إلى الولايات الأمريكية عام ١٩٣٦م، حيث صار فيها أستاذاً للفلسفة في جامعة شيكاغو ثم في جامعة كاليفورنيا، ومن مؤلفاته: (المدخل إلى علم الدلالات ١٩٤٢م، المدخل إلى المنطق الرمزي ١٩٥٤م، الأسس الفلسفية للفيزياء). يُنْظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص: ٥٠٢.

[٢] يُنْظر: الأبعاد الفلسفية في البراجماتية (التداولية) وأفعال الكلام (نقد المفهوم والتطبيق)، إعداد الدكتور محمود ابو المعاطي عكاشة أستاذ علم اللغة، المجلة العربية (مداد)، العدد ٢، يناير _ أبريل ٢٠١٨م، ص: ٨٢.

[٣] يُنْظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٨م، ص: ٤١.

[٤] يُنْظر: المذاهب الفلسفية المعاصرة، سماح رافع محمد، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٧٣م.

وردود أفعال المخاطبين، وبين مصطلح (الذرائعية)pragmatism، فالذرائعية نظرية تهتم بالفائدة العملية لفكرة ما من حيث هي معيار لصدقها، فهي نظرية تدخل في مجال الفلسفة العملية[١]، فالتداولية تهتم باستعمال اللغة ومقاصد المتكلمين، أمَّا الذرائعية فتهتم بما يترتب على هذه المقاصد من فائدة علمية على أرض الواقع.

ويعد بيرس المؤسس الأول للبراغماتية وهو أول من ابتكر كلمة البراجماتية في الفلسفة المعاصرة، عندما بحث عن مشكلة المعرفة حيث قرر أنَّ كلّ فكرة لابدّ أن تكون تمهيداً لعمل ما، وأنَّ صدق الفكرة وكذبها يحدّد على ما يترتب عليها من نتائج نافعة أو غير نافعة فإذا جاءت بمنفعة معينة يمكن الحكم عليها بأنَّها صادقة[٢]، فقد ربط بيرس صدق الأفكار وكذبها بالنتائج العملية المترتبة عليها.

ثم تطوَّر هذا المصطلح عن طريق الفيلسوف الأمريكي (وليم جيمس)، ومن ثم(جون ديوي)، وهما وإن اتفقا في الأصول فإنَّ لكل واحد منهم لوناً يميّزه في نظرته البراجماتية[٣]، ثم جاء بعدهم واستعمل مصطلح التداولية الفيلسوف (تشارلز موريس ١٩٧٩) انطلاقاً من عنايته بتحديد الإطار العام لعلم العلامات أو السيميائية عندما قسَّم علم العلامات إلى ثلاثة جوانب (تراكيب، ودلالة، وتداولية)[٤]، حيث جعل التداولية جزءاً من علم العلامات، واستقر المصطلح عند علماء الغرب أخيراً مع أوستين عام ١٩٥٥م، عندما ألقى محاضراته في جامعة هارفارد ضمن برنامج محاضرات وليم جيمس، وسار على هذا المصطلح من بعده سيرل وغرايس.

أمَّا علماء العرب فقد سعوا إلى إيجاد المقابلات التي من شأنها أن تطابق المفاهيم المتولدة عن هذا المجال، وأهم إشكالية يمكن أن نطرحها في هذه المناسبة

---

[١] يُنْظر: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، د. عزالدين نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٩م، ص: ١٦١.

[٢] يُنْظر: المذاهب الفلسفية المعاصرة، سماح رافع محمد، ص: ٥١ – ٥٣.

[٣] يُنْظر: مدخل جديد إلى الفلسفة، د. مصطفى النشار، ص: ١٦٤.

[٤] يُنْظر: استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري، ص: ٢١.

هي قضية إيجاد المقابل العربي الأصيل للمصطلح الأجنبي (pragmatics)، فضلاً عن العلاقة التي تقتضيها منهجية الوضع الاصطلاحي بين الدلالات اللغوية للمصطلح والمفهوم المبتغى، بما يحقق التوحيد الاصطلاحي لدى الباحثين.

فهنالك اختلاف جوهري بين اللغة العربية واللغات ذات الأصل اللاتيني التي يتمّ بها إنتاج جلّ البحوث في هذا المجال، إذ كانت هناك صعوبة لدى المترجمين لإيجاد مصطلح يناسب المعنى، وإلى الآن بعضهم يسميها الذرائعية أو البراغماتية، فمصطلح التداولية (pragmatiqe) يختلف معناه في اللغة الفرنسية عن اللغة الإنكليزية، فيبدو في اللغة الفرنسية على درجة من الغموض، إذ تدل على معنيين هما (محسوس، وملائم للحقيقة)، أمَّا في اللغة الانكليزية (pragmatic) فتدل في الواقع على (ما له علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية)[١]، وهذا الاختلاف يصعّب على الدارسين العرب إيجاد مصطلح يتناسب ودلالة هذا العلم.

ويعدّ طه عبد الرحمن أوَّل من وضع مصطلح (التداولية) في مقابل المصطلح الإنجليزي (pragmatique)، ويقول في ذلك: "إنّي وضعت هذا المصطلح منذ سنة ١٩٧٠، في مقابل (Pragmatique) ولو أنَّ التداوليين الغربيين علموا بوجود هذه اللفظة في العربية لفضَّلوها على لفظة (Pragmatique) لسببٍ واحد، وهو أنَّها توفي بالمقصود من علم التداول، فلفظة التداول تفيد في العلم الحديث الممارسة... وتفيد أيضاً التفاعل في التخاطب"[٢]، وبقيت هذه التسمية ثابتة على هذا العلم إلى اليوم.

---

[١] يُنْظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان، فليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٧م، ص: ١٧.

[٢] الداليات والتداوليات البحث اللساني والسيميائي، طه عبد للرحمن، كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرياض جامعة محمد الخامس، المغرب، ط١، ١٩٨٤م، ص: ٢٩٩.

وقد أطلق الدكتور (دنحا طوبيا كوريس) مصطلح (الفائداتية) في مقابل المصطلح الإنجليزي pragmatics، ويذكر أنَّ ترجمة الدكتور دنحا طوبيا كانت قبل ترجمة الدكتور طه عبد الرحمن، إذ كانت في صدر الستينيات في عام ١٩٦٤م، أمَّا ترجمة الدكتور طه عبد الرحمن فكانت في صدر السبعينيات في عام ١٩٧٠م، ولكن ترجمته هذه لم تنتشر وطغت عليها التداولية[١].

ثم جاء الدكتور (محمد لطفي الزليطي والدكتور منير التريكي) بمصطلح (المقصدية) على التداولية في قولهم: "واخترنا هذا المصطلح لترجمة المصطلح اللغوي الغربي (pragmatics) الذي يشير إلى أحد ثلاثة أقسام من السيميائية، ويهتم بدراسة الرسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم في عملية التواصل وعوامل المقام المؤثرة في اختيار أدوات معينة دون أُخرى للتعبير عن قصده، كالعلاقة بين الكلام وسياق الحال، وأثر العلاقة بين المتكلم والمخاطب على الكلم والمقاصد من الكلام،... الخ، والذي دعانا إلى اختيار هذا المصطلح دون غيره هو أنّ مفهوم pragmatics مصطلح ينبني أساساً على (القصد والمقصدية) في بعدهما الاجتماعي، كما أنَّنا إذا أقررنا بمشروعية ترجمة Semantics بمصطلح (علم الدلالة) فيجوز قياساً أن نطلق على pragmatics اصطلاح (علم المقاصد)"[٢].

ومن الباحثين من يرى أنَّ استخدام المصطلح بلفظه الدخيل – نطق الكلمة بلغتها الأصلية– يكون أدق في التعبير عن هذا العلم، أمثال الدكتور محمود عكاشة حيث يقول: "وأرى أنّ استخدامه بلفظه الدخيل (البراجماتية) أدق تعبيراً عن مفهومه؛

---

[١] يُنْظر: النظرية البراجماتية اللسانية التداولية (دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ)، الدكتور محمود عكاشة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٣، ص: ١٤ – ١٥.

[٢] تحليل الخطاب، ج. ب. براون، ج. يول، ترجمة وتعليق: د. محمد لطفي الزليطي و د. منير التريكي، النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ _ ١٩٩٧م، ص: ٣٢.

لأنَّه يحمل دلالته في ثقافته الأصلية..."[١]، وقد اعترض على من ترجمه إلى (المقصدية) إذ قال بأنَّ لفظة (المقاصد) مخصوصة في لغة الخطاب الشرعي فهو مصطلح أصيل في التراث الفقهي، فجعل المقاصد خاصة بأحكام الشرع[٢].

أمَّا الدكتور (محمد محمد يونس) فقد أطلق على مصطلح (pragmatics) تسمية (علم التخاطب)، في كتابه (مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب)، عندما فرَّق بين الدلالة والبراجماتية أو كما يسميها هو بـ (علم التخاطب)، إذ يرى بأنَّ علم الدلالة يدرس المعنى وعلم التخاطب يدرس الاستعمال، كما أنَّه قد اعترض في مقدمة كتابه هذا على ترجمات للبراجماتية عدة ومنها (النفعية، والذرائعية، والتداولية)، فهو يعدها ترجمات غير موفقة[٣]، وقد استعمل الدكتور ميجان الرويلي والدكتور سعد البازعي مصطلح (الذرائعية)[٤]، وترى الباحثة أنَّ مصطلح التداولية هو أنسب مصطلح لهذا العلم أو الفرع من علم اللسانيات؛ لأنَّه يمثل المعنى خير تمثيل، فهو علم يدرس اللغة الطبيعية المتداولة يومياً، ولعل الشياع والانتشار لهذا المصطلح يساعد على اعتماده والاكتفاء به والاستغناء به عن غيره.

---

[١] النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) (دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ)، الدكتور محمود عكاشة، ص: ١٥ – ١٦.

[٢] ينظر: المصدر السابق، ص:١٥-١٦.

[٣] يُنْظر: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، الدكتور محمد محمد يونس علي، دار الكتب الجديد المتحدة، مكتبة نرجس، ط١، ٢٠٠٤م، ص: ١٣.

[٤] يُنْظر: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، د. ميجان الرويلي ود. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء – المغرب، ط٣، ٢٠٠٢م، ص: ١٦٨.

ثانياً: التعريف بالصحيفة الرضوية

وصف الصحيفة

إنَّ المتأمل في أدعية الصحيفة الرضوية يجدها مرآة للأدب الإنساني الصادق، وإنَّ هذه الصحيفة تعد الجزء الأخير من موسوعة الصحائف الستة الجامعة لأدعية النبي (صلى الله عليه وآله) وورثته الأئمة الأطهار، وهم أهل بيت النبوة (عليهم السلام)[١]، وتعد أدعية الأئمة(عليهم السلام) من العلوم والمعارف التي تبيِّن للناس أصول الدين، فهم وسائط الفيض الأقدس وأسباب الرحمة الإلهية.

والإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) (ت٢٠٣هـ) قنديل مقتبس من نور الله تعالى ونفحة من رحمته وكنز من كنوز حكمته، وله ولآبائه وأبنائه في مدح الله تعالى في أدعيتهم الطاهرة غنى عن مدح المادحين ووصف الواصفين، ونجد هذا الأثر واضحاً في أدعية الإمام الرضا(عليه السلام)، اذ كان توجهه كآبائه في التجرد عن الدنيا، والزهد من مباهجها، والإعراض عن زينتها، والإقبال على الله تعالى، والانقطاع إليه، والتمسك بطاعته، والعلم بأحكام الدين، والإحاطة الشاملة بشريعة سيد المرسلين، وكان عوناً للضعفاء، وغوثاً للمحرومين، وسعياً لقضاء حاجات المحتاجين، وكل هذا جسدته أدعيته في الصحيفة الرضوية.

جمع السيد محمد باقر نجل آية الله السيد مرتضى الموحد الأبطحي الأصفهاني (قدس سره)[٢] هذه الصحيفة وجعلها جامعة لأدعية ومناجاة الإمام الرضا (عليه

---

[١] يُنْظر: الصحيفة الرضوية الجامعة لأدعية الإمام علي بن موسى الرضا وأبنائه الأربعة (عليهم السلام)، سماحة السيد محمد باقر الموحد الأبطحي الأصفهاني، مؤسسة الإمام المهدي– قم المقدسة، ط١، ١٤٢٠هـ، ص: ١٢.

[٢] السيد محمد باقر بن مرتضى الموحد الأبطحي الإصفهاني (ولد يوم ٢ رمضان ١٣٤٦هـ– وتوفي في يوم ٤ ربيع الثاني ١٤٣٥ هـ)، هو رجل دين شيعي إيراني من كبار رجال الدين عند الشيعة الإثني عشرية في إيران، وقد اشتهر بتأسيسه لمؤسسة الإمام المهدي(ع) عام ١٣٩٧هـ

السلام) وأبنائه الأربعة: الإمام محمد الجواد، والإمام علي الهادي، والإمام الحسن العسكري، والإمام محمد المهدي (عليهم السلام)، وسماها (الصحيفة الرضوية الجامعة) ونُشرت الطبعة الأولى في سنة ١٤٢٠هـ، وتعد الصحيفة موسوعة اشتملت على الأدعية والمناجياة والابتهالات والقيم العالية، وقد دعت الصحيفة إلى الاتصال بالله تعالى خالق الكون وواهب الحياة الذي هو مصدر الفيض والخير لجميع الكائنات، ويمكن أن يستقي جميع الناس من هذا الأثر النفيس ويمتلئ علماً من هذا المنبع الثري، فأدعية أهل البيت (عليهم السلام) مليئة بالحكم وتعاليم أصول الدين.

وقد جمع السيد محمد باقر الأبطحي أدعية الإمام علي بن أبي طالب يعسوب الدين ووصي رسول رب العالمين (علية السلام) في كتاب وسماه (الصحيفة

المختصّة بالتحقيق العلمي إذ اضطلع في هذه المؤسسة بدور في تحقيق الكثير من الكتب الشيعية التراثيّة، وكذلك تأسيس مدرسة لطلبة العلوم الدينية.

ومن مؤلفاته:

– المدخل إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، يقع في عشر مجلّدات.

– جامع الأخبار والآثار عن النبي والأئمة الأطهار في الأحاديث المختصّة بتفسير القرآن في مجلّدين.

– الصحف الجامعة لائمة أهل البيت عليهم السلام (الصحيفة العلوية الجامعة، الصحيفة الفاطمية الجامعة، الصحيفة السجّادية الجامعة، الصحيفة الرضوية الجامعة، الصحيفة الكاظمية)

– معجم اسناد الروايات.

بدأ بدراسة العلوم الدينية في مسقط رأسه، ثمّ سافر إلى قم المقدّسة عام ١٣٦٥هـ لإكمال دراسته الحوزوية، ثمّ سافر إلى النجف الأشرف عام ١٣٧٠هـ لإكمال دراسته الحوزوية العليا، وبسبب مرضه رجع إلى قم المقدّسة، واستقرّ بها حتّى وافاه الأجل، مشغولاً بالتدريس والتأليف وأداء واجباته الدينية.

من أساتذته

أبوه السيّد مرتضى، السيّد محمّد الحجّة الكوهكمري، السيّد حسين البروجردي، السيّد محمّد رضا الكلبايكاني، الإمام الخميني، السيّد أحمد الخونساري، الشيخ محمّد علي الأراكي، السيّد محمّد اليزدي المعروف بالمحقّق الداماد، السيّد محمد حسين الطباطبائي. يُنْظر: موقع تبيان https://arabic.tebyan.net/index.aspx?pid=٦٧٧٠١

العلوية)، وكذلك جمع أدعية بضعة المصطفى وروحه التي بين جنبيه فاطمة الزهراء (عليها السلام) في كتاب وسماه (الصحيفة الفاطمية)، وجمع أدعية الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) في كتاب وسماه (الصحيفة السجادية)، وكذلك (الصحيفة الكاظمية) الشاملة لأدعية الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) و(الصحيفة الصادقية) لأدعية الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)[1].

وقد رتَّب السيد الأبطحي (قد) الصحيفة الرضوية وبوَّبها بشكل متناسق واعتنى بوحدة الموضوع وأغراض الدعاء، وبدأ بترتيب الأدعية الخاصة بتحميد الله عزَّ وجلَّ وتسبيحه والثناء عليه، ثم انتقل إلى الأدعية في جوامع المطالب وخواصها، ثم أدعيته (عليه السلام) في الأوقات والمواقيت ثم في مختلف الأحوال والمطالب، والذي قام بنشر هذه الصحيفة هي مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام) في قم المقدَّسة.

أهمية الصحيفة

إنَّ للدعاء الصادر عن أهل البيت (عليهم السلام) أهمية كبيرة وقدسية خاصة في المعارف الإلهية الصافية، وإنَّ من منن اللهِ تعالى على العباد وعطفه أن جعل الدعاء وسيلة يتقرب بها العبد إلى ربه فتسمو به روحه إلى مدارج الكمال، وتصفو من كلّ ألوان العبودية لغير وجه رب العزة والجلال، فالله تعالى في كتابه المقدس حثنا على دعائِهِ ومسألته، فقال في محكم كتابه الكريم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدعُونِيٓ أَستَجِب لَكُم﴾[2]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱدعُواْ رَبَّكُم تَضَرعا وَخُفيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلمُعتَدِينَ﴾[3]، وكذلك جاء في التنزيل العزيز قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنّي فَإِنّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَليَستَجِيبُواْ لِي وَليُؤمِنُواْ بِي لَعَلَّهُم

[1] يُنْظر: الصحيفة الرضوية الجامعة، للأبطحي، ص:٨.

[2] سورة غافر، الآية: ٦٠.

[3] سورة الأعراف، الآية: ٥٥.

يَرشُدُونَ﴾[1]، وإنَّ الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) ينقل لنا في أدعيته ومواعظه من كلام الوحي فهو (صلى الله عليه وآله) لا ينطق عن الهوى إن هو إلَّا وحي يوحى، وأنَّ الأئمة (عليهم السلام) عندهم مواريث النبوة كجدهم (صلى الله عليه وآله) فيعتبر كلامهم وأدعيتهم بمثابة دستور لموعظة للناس وهدايته.

وتكمن أهمية هذه الصحيفة في تعليم الناس أساليب الدعاء في التذلل لله سبحانه والتضرع له والخشوع أمامه، وكذلك لهداية الناس وحثهم على الدعاء والتوجه لله سبحانه في كل شدة وكل أمر عسير فالله سبحانه وحده القادر على مرد نوازل البلاء وكشف الضرر عن عباده فهو أرحم الراحمين.

صحة الإسناد

اعتمدت الصحيفة على الكثير من الأسانيد المعتبرة والكتب المعروفة والموثوقة ومن هذه الأسانيد: (عيون أخبار الرضا، ومُهج الدعوات، والأمالي للطوسي، والكافي، والبلد الأمين، وبحار الأنوار، ومكارم الأخلاق، التهذيب، وطب الأئمة، وفقه الرضا...الخ)، والكثير من الأسانيد التي ذكرها في نهاية الصحيفة والتي يمكن الاعتماد عليها، فقد ثبتت صحة إنشائها.

وبعض الأدعية يذكر بأنَّها قد ذكرت في الصحف المتقدمة، فينقلها عن الصحف الأخرى، ومن هذه الصحف التي اعتمدها: (الصحيفة النبوية، والصحيفة العلوية، والصحيفة السجادية، والصحيفة الصادقية، والصحيفة الكاظمية)، وقد أشار إلى ذلك في هامش الأدعية.

---

[1] سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

موضوعات الصحيفة

بما أنَّ هذا البحث مختص بدراسة الصحيفة الرضوية فقط دون صحف بقية أبنائه الأئمة الأربعة (عليهم السلام)، فسنتحدث عن موضوعات الصحيفة الرضوية فقط وتقسيماتها.

احتوت الصحيفة على أدعية متنوعة تهم أمور الدنيا والآخرة، وقد ذكر الأبطحي في الصحيفة الرضوية (١٠٢) من الأدعية ونظَّمها في نقاط كل عنوان يرتبط بالأدعية التي تندرج تحته، وتبدأ الصحيفة بكلمة للمؤلف ثم بعدها يأتي التمهيد، ثم انتقل إلى منهج تحقيق الكتاب فذكر فيه ترتيب الصحيفة وما ورد فيها من أدعية، وبعدها وضع المؤلف كلمة شكر وعرفان انتقل بعدها إلى الأدعية المباركة.

ومن العناوين الرئيسة التي احتوت عليها الصحيفة الرضوية هي:

١- أدعيته (عليه السلام) في تسبيح الله عزَّ وجلَّ وتمجيده والصلاة على النبي وآله (ع).

٢- أدعيته (عليه السلام) في جوامع المطالب وخواصِّها، وجعلها على خمسة أقسام.

٣- أدعيته (عليه السلام) في الأوقات، وهي على قسمين.

٤- أدعيته (عليه السلام) عند مواقيت الأمور، وهي على ستة أقسام.

٥- أدعيته (عليه السلام) لنفسه وللآخرين أو الدعاء على الأعداء، وجعلها على ثلاثة أقسام.

وألحق المؤلف بالصحيفة أدعية أخرى للإمام الرضا (ع)، وعددها (٤٨) دعاء وقد اختارها من كتاب فقه الرضا (ع) وهي أيضاً في تمجيد الله عزَّ وجلَّ والصلوات

على النبي وآله، وفيها أدعية لدفع البلاء، وأدعية بعد الصلوات، وأدعية عند الحجّ ومناسك الحجّ.

وفي نهاية الصحيفة يذكر لنا المؤلف الأسانيد التي اعتمدها في تأليف هذه الصحيفة المباركة، وذكر بعد ذلك فهرس مصادر التحقيق للكتاب وفهرس لمجمل موضوعات الكتاب.

الفصل الأوّل

الإشارة والإحالة في الصحيفة الرضوية

المبحث الأوّل: الإشاريات.

المبحث الثاني: أنواع الإشاريات وحضورها في الصحيفة الرضوية

المبحث الثالث: الإحالة في الصحيفة الرضوية وعلاقتها بالإشارة

المبحث الأول

الإشاريات

أولاً: مفهوم الإشاريات

تقوم التداولية على مفاهيم عدة لدراسة الظواهر اللغوية، ومن هذه المفاهيم (الإشاريات)، إذ تعد الإشاريات من أبرز مجالات الدرس التداولي، وقد جاءت في المعاجم بمفهومها اللغوي على عدة معانٍ منها:

جاءت في معجم مقاييس اللغة (شَوُرَ) الشِّينُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ مُطَّرِدَانِ، الْأَوَّلُ مِنْهُمَا إِبْدَاءُ شَيْءٍ وَإِظْهَارُهُ وَعَرْضُهُ، مِثْلُ قَولهم شُرْتُ الدَّابَّةَ شَوْراً إِذَا عَرَضْتَهَا، وَالْآخَرُ أَخْذُ الشَّيءِ، مِثْلُ قَوْلُهُم شُرْتُ الْعَسَلَ أَشُورُهُ، وَالْمَشَارُ: الْخَلِيَّةُ يُشْتَارُ مِنْهَا الْعَسَلُ، وَقَالَ بَعض أَهْلِ اللُّغَةِ وَمِن هَذَا البَابِ شَاوَرْتُ فُلاْناً فِي أَمْرِي[1].

وقد وردت في لسان العرب (الإشارة) من مصدر الفعل إشارة من مادة (شَور)، وَشَوَّرَ إِلَيْهِ بِيَدِهِ أَيْ أَشارَ، وأَشارَ الرَّجُلُ يُشِيرُ إِشارَةً إِذا أَوْمَأَ بيَدَيْهِ، وَيُقالُ: شَوَّرتُ إِلَيْهِ بِيَدِي، وَأَشَرْتُ إِلَيهِ أَيْ لَوَّحْتُ إِلَيْهِ وَأَلَحْتُ أَيْضاً، وَأَشارَ إِلَيْهِ بالْيَدِ أَوْمَأَ، وَأَشارَ عَلَيْهِ بالرَّأْيِ، وَأشارَ عَلَيهِ بِأَمْر كَذا: أَمَرَهُ بِهِ[2].

وجاء في المعجم الوسيط على معان عدة من مادة (شَور)، شَارَ الرجلُ شَوْراً: حَسُنَ مَنْظَره، وَيُقال (شَارَ) الدَّابَّةَ: أَجْرَاها عِندَ البَيْع لِيُظهِرَ قوَّتها، وَ(أَشارَ) إليه وبِيَدِه أو نَحْوها: أَوْمَأَ إليه معبّراً عَن مَعنى مِن المَعانِي، كَالدَعْوَة إلى الدُّخولِ أَو الخروج، وَعَليه بِكَذا: نَصَحَه أَنْ يَفْعَله مُبَيّناً مَا فيهِ مَن الصَّواب، وَ(الشَّارُ): حَسَنُ المَنظر، وَ(الشارَةُ): اللِّبَاسُ الحَسَن، وَ(الشُّورُ): العَسَلُ المَشُور، وَ(الشورة): الخَلِيَّةُ أَو مَوضِع

---

[1] يُنْظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣/ ٢٢٦.

[2] يُنْظر: معجم لسان العرب، ابن منظور، مادة شور، ٤/ ٤٣٦-٤٣٧.

العَسل، وَ(شَوَّرَ) إليه بيَدِه وَنَحْوِها: أَشار، وَ(الإشارةُ): تَعْيين الشَّيء باليَد وَنَحْوِها، وَالتَّلويحُ بِشيء يُفهَمُ مِنهُ المُراد[1].

على الرغم من الاختلاف في بعض المعاني لمادة (شور) بين المعاجم، لكننا نجد هنالك معنى مشترك بينها وهو الإشارة إلى شيء ما، فالإشارة كما هو واضح من معناها اللغوي تعني الإيماء إلى شيء ما وتوجيه الذهن نحوه.

أمَّا المعنى الاصطلاحي للإشاريات التداولية فنجده في الكثير من المؤلفات الغربية والعربية فقد عرَّفه علماء العرب والغرب بتعريفات عدة وجميعها تصب في معنى الإشارة والتوجيه لشيء معين منها:

عرَّف الإشاريات (شارل ساندرس بيرس) بأنَّها: "ما يشير إلى ذات، أو موقع، أو زمن إشارة أولية لا تتعلق بإشارة أخرى سابقة، أو لاحقة فيمثل العنصر الإشاري معلماً لذاته لا يقوم فهمه أو إدراكه على غيره"[2]، فقد حدَّد أنواع للإشارة أما أن تكون ذاتية لشخص معين أو شيء محدد، أو لموقع معين أي إشارة مكانية، أو زمن معين أي إشارة زمانية.

وعرَّفها أيضاً (جورج يول) بأنَّها: "مصطلح تقني يستعمل لوصف إحدى أهم الأشياء التي نقوم بها في أثناء الكلام، والتأشير يعني الإشارة من خلال اللغة، ويطلق على أية صيغة لغوية تستعمل للقيام بهذه الإشارة مصطلح التعبير التأشيري"[3]، فقد جعلها يول صفة للأشياء المرادة أو المشار إليها، كما أطلق جورج يول على الإشاريات (تداولية الدرجة الأولى).

---

[1] يُنْظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط٦، ١/ ٤٩٩.

[2] نسيج النص، بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، ط١، لبنان، ١٩٩٣م، ص: ١١٥ – ١١٦.

[3] التداولية، جورج يول، ترجمة: الدكتور قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠١٠م، ص: ٢٧

كما عرَّفها من اللغويين العرب (نعمان بوقرة) بقوله: "والإشارة هي ما يدل على أي شيء يتعين من جهة بموضوع ويثير من جهة أخرى فكرة معينة في الذهن، ويوجد فيها القصد في التواصل، وهي حدث أو شيء يشير إلى حدث أو شيء آخر"[١]، فالإشارة من وجهة نظر نعمان بوقرة هي حدث القصد منه إيصال الذهن إلى حدث آخر مقصود.

وتحتل الإشاريات أهمية بالغة في سياق التواصل اللساني المتداول، فلا يمكن تفسيرها بمعزل عن السياق الذي ترد فيه، فيرى (بار هيليل): "إنَّ أكثر من تسعين بالمائة من التلفظات التي ننطق بها في سياق حياتنا اليومية هي تلفظات إشارية يحددها السياق التلفظي الذي وردت فيه"[٢]، فقد لا يذكر اسم الإشارة عادة في الكلام ويذكر الشيء المشار إليه فقط فتفهم الإشارة من سياق الكلام ودلالاته.

والإشاريات تشمل الضمائر(أنا، أنت، نحن، هو،...)، وأسماء الإشارة (هذا، هذه، هنا،...)، وزمان الفعل وبعض ظروف الزمان والمكان(هنا، هناك، الآن، أمس، غداً،...)، وسميت هذه الإشاريات (بالمبهمات)؛ لأنَّها تعد "من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلَّا في سياق الخطاب التداولي؛ لأنَّها خالية من أي معنى في ذاتها، فبالرغم من ارتباطها بمرجع إلَّا أنَّه مرجع غير ثابت"[٣].

فالإشاريات هي قسم من أقسام التعبير تستعمل في اللغات العادية، وتعتمد على السياق في إفهام معناها وتيسير فهم مقاصد المتكلمين، وكذلك لربط الكلام بما يشير إليه، وتحقيق التماسك داخل الكلام.

---

[١] المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، نعمان بو قرة، جدار للكتاب العالمي، عمان– الاردن ، ط١، ٢٠٠٩م، ص: ٨٦.

[٢] التداولية علم استعمال اللغة، حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد – الاردن، ط٢، ٢٠١٤م، ص: ٤٤١.

[٣] استراتيجية الخطاب، عبد الهادي الشهري، ص: ٨٠.

ثانياً: مصطلح الإشاريات

ارتبطت البدايات الأولى للتداولية بالإشاريات، فهي ليست مبحثاً مستحدثاً ولا مستجدَّاً في حقل الدراسات اللغوية، فقد تناولها الفلاسفة والنحويون في كثير من مصنفاتهم ومؤلفاتهم، ودرسوا علاقتها بالدلالة والإحالة المرجعية، ولكن على الرغم من أهميتها إلَّا أنَّها لم تحظ بالعناية المطلوبة فأصبح من الصعب فهم حدودها؛ لذلك بدأت الجهود تتضافر لتعميق الدراسة في الإشاريات لفهم القضايا المتعلقة بها، فقد كانت بداياتها مع شارل موريس الذي جعلها ضمن البعد الثالث في دراسته لعلم العلامات وتحديد العلاقة بين العلامات ومفسريها، وقد مهَّد موريس في دراسته هذه الطريق للدراسات اللّسانية والاهتمام بقضاياها[١]، فقد كانت التداولية متمثلة بالإشاريات فقط ثم توسَّعت التداولية وجاءت بعدها نظريات كثيرة.

لقد كان بيرس صاحب تعبير الإشارة والرموز الإشارية، ويستعمل مصطلح (Deictie) للدلالة على العمل الذي تقوم به بعض العناصر اللغوية التي تجعل من تفسير المرجع يعود فقط إلى الإشاريات التواصلية لبعض مظاهر الحدث الكلامي، وقد تعدَّدت المصطلحات المعبِّرة عن الإشاريات ومنها: (القرائن المدمجة أو الواصلة) عند رومان جاكبسون[٢]، و(الوحدة الاشارية) عند شارل بيرس، و(التعبير الإشاري) عند هيليل، وكذلك (المؤشر)، و(الدليل الاشاري)، و(القرائن الإشارية)، و(المعينات) وهي جمع لكلمة المعين الإشاري[٣]، ويطلق روسيل على الكلمات التي

---

[١] يُنْظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ص: ٧٥-٧٦.

[٢] رومان جاكبسون وهو عالم لغوي روسي، أسهم في تأسيس حلقة براغ اللغوية التي نشطت عام ١٩٣٩م، كما أسهم في تأسيس نظرية لغوية مهمة جداً وهي نظرية التواصل عند جاكبسون، وقد كان له أثر كبير في بلورة أفكار كثيرة تتعلق بالبنيوية اللغوية. يُنْظر نظرية التواصل عند جاكبسون، إسراء أبو رنة، مقال في مجلة سطور.

[٣] يُنْظر: من أجل مقاربة قرائنية لديوان (غنج المجاز) لجمال ازراغيد، دكتور جميل حمداوي، مقال شبكة أخبار الناظور والريف، ٥٠٢٨٦، https://www.maghress.com/arrifinu/.

تكون تسجيليتها نسبية بالنسبة للمتكلم كما هو الشأن في هذا، وذاك،...الخ ب(الأنويات الخاصة)[١]، فهذه المصطلحات جميعها تعبر عن الإشاريات.

وقد وضع النحاة الإغريق واللاتينيون تسمية الضمائر خلال إجراء الاسم الذي يطلق على الشخصية المسرحية استخداماً مجازياً، يؤدي فيه "المتكلم: دوراً رئيسياً، ويؤدي "السامع" دوراً آخرَ يرتبط بالدور الأول، ثم جرت ترجمة هذا المصطلح إلى اللاتينية باستعمال لفظ "Persona " ويعني "القناع"، واستخدمه النحاة العرب للدلالة على الشخص، وهو يتعلَّق بمفهوم الخفاء والدقة[٢]، فالضمائر كانت تستعمل قديماً للإشارة إلى الأشخاص في العمل المسرحي.

ثالثاً: أنواع الإشاريات

تعدّ الإشاريات من أكثر الوحدات اللغوية التي تتطلب معرفة السياق لتيسير فهمهما، وهي ألفاظ دالة على عناصر غائبة حاضرة، وتنقسم هذه الإشاريات إلى خمسة أنواع كما يراها ولفنسون، وهي: إشاريات شخصية، وإشاريات زمانية، وإشاريات مكانية، وإشاريات اجتماعية، وإشاريات خطابية[٣]، وجعلها بعض الباحثين أربعة أنواع فأسقط الإشاريات الخطابية؛ لأنَّها قد تلتبس مع الإحالة إلى سابق أو لاحق، ولكن بعض الباحثين ميَّز بين الإحالة والإشاريات الخطابية فرأى أنَّ الإحالة يتحدّد فيها المرجع بين ضمير الإحالة وما يحيل إليه، أي يكون المرجع واحد، فيقول محمود نحلة: "أما إشاريات الخطاب فهي لا تحيل إلى ذات المرجع بل تخلق المرجع"[٤]، من هذه الانواع:

---

[١] يُنْظر: المقاربة التداولية، فرانسواز ارمينكو، ص: ٤٢.

[٢] يُنْظر: نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصا)، الأزهر الزناد، ص: ١١٧.

[٣] يُنْظر: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، نعمان بوقرة، ص ٨٧ .

[٤] آفاق جديدة في البحث اللغوي، نحلة، ص: ٢٤.

١- الإشاريات الشخصية

يقوم هذا النوع من الإشاريات على دور الأشخاص المشاركين في الحديث، مثل ضمائر الحاضر الدالة على المتكلم وحده أو معه غيره، وتدل هذه الإشاريات على (المتكلِّم، أو المخاطب، أو الغائب)، فالضمائر (أنا، وأنت، ونحن، ونحوهما)، تدلّ على المتكلم أو المخاطب، والسياق هو الذي يحدِّد على من يدلّ الضمير على المتكلم أم على المخاطب، وضمير الغائب أيضاً يدلّ على الإشاريات شريطة أن لا يعرف مرجعه من السياق اللغوي، فإذا عرف مرجعه من السياق خرج عن الإشاريات[١]، فاختلفت الآراء في ضمير الغائب فمنهم من يجعله من الإشاريات؛ لأنَّه يعدّ جزءاً من الكلام، ومنهم من لا يعده منها، وحجتهم في ذلك بأنَّه غير قادر على التحدث؛ لأنَّه غير موجود[٢]، ولكن قد يرد ذكره في الخطاب فيشار إليه بضمير الغائب.

ويمثِّل هذا النوع من الإشاريات شخصية المتكلم فتستخدم ضمائر المتكلِّم: (أنا، ونحن)، وضمائر المخاطب وهي: (أنت، وأنتِ، وأنتما، وأنتم، وأنتن)، وضمائر الغائب هي: (هو، وهي، وهما، وهم، وهن)، ويشمل الضمائر سواء أكانت متصلة أم منفصلة، إذ تأتي الإشاريات الشخصية لضمائر المتكلم أحياناً في الكلام تتصرَّف بحرف يشير إلى متكلم، أو مخاطب، أو غائب مثل: (ي) يدلّ على ضمير المتكلم (أنا)، وتتصرف بحرف (نا) ليدل على جماعة المتكلمين ويمثل الضمير (نحن)، أما ضمائر المخاطب فتتصرف بحرف (ك) للضمير (أنت)، و(أنتما) بحرف (كما)، و(أنتم) بحرف (كم) و(أنتن) بحرف (كن)، وتستعمل لضمائر الغائب الحروف:

---

[١] يُنْظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي، نحلة، ص: ١٨.

[٢] يُنْظر: الخطاب الحائد في العربية مقاربة لغوية تداولية، د. جاسم خيري حيدر الحلفي، كنوز المعرفة، ط١، ٢٠٢٠م، ص: ١٣٨.

(هو، وها، وهم، وهن)[١]، ولاشك أنَّ ضمائر الحاضر هي دائماً عناصر إشارية؛ لأنَّ مرجعها يعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي تستخدم فيه.

ويدخل النداء في الإشاريات الشخصية، فهي تشير إلى المخاطب للاستغاثة به أو لتنبيهه على فعل معين، أو توجيهه إلى أمر ما أو استدعائه...، ولكنّ النداء وحده لا يفهم، فيجب أن يتضح المرجع أو الشيء الذي يشير إليه[٢]، لكي يتسنى للمخاطب فهم ما يقصده المتكلم من النداء.

إنَّ الأبعاد الإشارية الشخصية لا تتحدد إلَّا بالسياق اللغوي والموقف الاجتماعي، إذ يعتمد مرجعها اعتماداً تاماً على السياق الذي تستخدم فيه، فالضمائر "أشكال فارغة من دون مضمون ما دامت لم تدخل في السياق، لكنّ هذه الأشكال تجد لنفسها محتوى انطلاقاً من لحظة تلفظ الشخص بها في مقام محدد"[٣]، فللقصد أثر فعَّال في توجيه الفهم والإدراك لهذا النوع من الإشاريات، كغيرها من المكونات الإشارية، كما لا يمكن للاستعمال التواصلي للغة العادية أن يتخلى عن هذه التعابير الإشارية.

إنَّ للمكانة الاجتماعية والرتبة دوراً في الإشاريات الشخصية، فقد يُفخّم المتكلم نفسه ويُعظِّمها باستخدام ضمير الجمع مع المفرد إذ يشير إلى نفسه بصيغ الجمع (نحن، لنا، ذهبنا،...) بدلا من (أنا، لي، ذهبت،...)؛ وذلك لاحترامه وتعظيمه أو

---

[١] يُنْظر: الإشاريات في سورة يوسف دراسة تحليلية تداولية، الباحث استجب، كلية الآداب والعلوم الثقافية، جامعة سونان كليجاكا الاسلامية، ٢٠١٥م، ص: ٢١.

[٢] يُنْظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي، نحلة، ص: ١٩.

[٣] التعبير الإشاري في الخصيبي مقاربة تداولية، كاظم جاسم منصور العزاوي، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، كلية الآداب، مجلد ٢٤، العدد ١، ص: ٧٥.

لمركزه العالي أو لتكبره أو لكبر سنه، فالصوت الجمعي يعلو على صوت المفرد[١]، وتسمّى في البلاغة إنزال القريب منزلة البعيد لعلو شأنه ومكانته.

٢- الإشاريات الزمانية

ربط النحويون الفعل بالزمن وقسَّموه إلى ماضٍ ومضارع ومستقبل، وهذا الربط يفسِّر زمان وقوع الفعل وحدوثه، سواء أكان هذا الفعل قولاً أم نصاً، ومعرفة زمان الفعل أو الحدث الكلامي يؤدي إلى معرفة الظروف التي قيل فيها أو حدث فيها هذا الفعل، ويمكن تحديد الزمان من السياق الذي يدور فيه الحدث[٢]، فللزمن دور كبير في معرفة الأحداث وظروف وقوعها.

وتعد الإشاريات الزمانية كلمات تدل على زمان يحدده سياق الكلام بالنظر إلى زمان التكلم، أي وقت إلقاء القول ضمن الحدث الكلامي، فمعرفة زمان التكلم ضرورية؛ لأنَّها تقي السامع من أن يلتبس عليه الأمر، فالكلمات التي تدلّ على الزمان مثل: (غداً، أمس، الأسبوع الماضي، منذ شهر، سنة،...، وكذلك (قبل وبعد) المقترنان بالفعل)، هذه الكلمات لا يتضح معناها إلّا إذا أشرنا إلى زمان بعينه بالقياس إلى زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية[٣].

قسم اللغويون الزمن إلى: (زمن نحوي) وهو عندهم وظيفة في السياق يؤديها الفعل، و(زمن كوني)، وتدلّ عليه الظروف التي تشير إلى العالم الخارجي كالفصول، والسنوات، والأشهر، والأيام، والزمن النحوي هو زمن وقوع الحدث،

---

[١] يُنْظر: الخطاب الحائد في العربية مقاربة لغوية تداولية، د. جاسم خيري الحلفي، ص: ١٣٩.

[٢] يُنْظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة تيزيوزو، ط٢، ٢٠١٢م، ص: ١١٥.

[٣] يُنْظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود نحلة، ص: ١٩-٢٠.

والزمان الافتراضي الظرفي الذي هو زمن اقتران حدثين[١]، فالزمن إمَّا أن يكون في حركة الوقت مثل: (الساعة القادمة، أو مساءاً، أو غداً...)، أو يكون في حركة الكون مثل: (العام أو الشهر...الخ)، أي إما أن يكون تحديد وقت أو تحديد زمان (عصر)[٢]، وقد لا يحدد الزمان أو لا يعرف وقته لكنَّه يشير إليه مثل قولك (يوم القيامة)، فهو يوم دال على زمن لكنَّه غير محدد، لا أحد يعلم متى يحين ذلك اليوم وفي أي سنة وأي شهر؟، هو فقط يوم مرتقب سيأتي لكنَّه غير معلوم.

إنَّ الزمن الذي يدور في سياق الكلام أو الخطاب يسمى بالزمن اللغوي أو زمن الخطاب، وهو يرتبط مع لحظة الحديث، ويتجلَّى زمن الحديث في الحاضر الذي يشكل مرجعيته، وزمن الماضي والمستقبل متعلقان بزمن الحدث، فيمثِّل زمن الحدث حداً فاصلاً بين الماضي والحاضر، ويظهر الزمن في الخطاب بوساطة ظروف الزمان المبهمة التي توجد في سياق الكلام منها: (يوم، الآن، الغد، الأمس، الاسبوع،...)، وتعرف هذه المبهمات من خلال محور الحديث أو الخطاب[٣]، وتحدد من خلال فهم دلالة الخطاب وما يقصده المتكلم.

فالإشاريات الزمانية لها أهمية كبيرة في الكلام إذ تعمل على تأطير عملية التواصل في زمنها المحدد، وتعبِّر عن اندماج المتكلم والمخاطب معاً داخل زمان التلفظ والتواصل، ويعد المتكلم مركز الإشارة الزمانية؛ لأنَّه وحده القادر على التحكم في ترتيب الزمن طبقاً للأحداث وما يتطلبه سياق الكلام.

---

[١] يُنْظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، ١٩٩٤م، ص: ٢٤١-٢٤٢.

[٢] يُنْظر: الخطاب الحائد في العربية مقاربة لغوية تداولية، د. جاسم خيري حيدر الحلفي، ص:١٤٧-١٤٨.

[٣] يُنْظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، ص: ١١٦- ١١٧.

٣- الإشاريات المكانية

وهي عناصر تشير إلى المكان تحدد مراجعها بالنظر إلى مكان المتكلم، وتستعمل للإشارة إلى مكان معين يعتمد على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو مكان معروف من مقبل السامع، وتتوقف معرفة قرب المتكلم وبعده على تحديد مكان التكلم في اختيار العناصر التي تشير إليه، ولا يمكن فهم الكلمات (هنا، وهناك، وهذا، وذاك، ونحوهما)، إلَّا إذا عرفنا ما تشير إليه في القياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، وهذا يعني أنَّ للسياق دوراً في معرفة ما يقصده المتكلم بهذه الكلمات[١]، كما أنَّ لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قرباً أو بعداً أو وجهة، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه[٢]، كما أنَّ معرفة المكان تيسر من فهم مقاصد المتكلم في الخطاب.

وتتحدد وضعية الأشياء التي نشير إليها ضمن مفهوم المكان انطلاقاً من الإشارة، ومن خلال وضعية وتوجيه جسم المتكلم، وكل تعديل في الوضعية يعني تعديلاً في المكان، وتتوزع المبهمات المكانية إلى قسمين أسماء إشارة مثل: (هذا، هذه، هؤلاء،...)، وظروف مثل:(هنا، هناك، يسار، يمين، خلف، أمام، قرب، بعد،...)[٣]، إذ أنَّ لوضعية المتكلم أثناء الكلام دوراً كبيراً في فهم المكان الذي يشير إليه.

وفي العناصر الإشارية المكانية قد ينزل القريب منزلة البعيد ويشار إلية بلفظ البعيد؛ وذلك لمكانته العالية أو لتعظيمه، مثل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[٤]، على الرغم من أنَّ الكتاب بين يديك وأنت تقرأ فيه وترى مكانه

---

[١] يُنْظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي، نحلة، ص: ٢١.

[٢] يُنْظر: المصدر السابق، ص:٢١، وَيُنْظر: استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، ص: ٨٥.

[٣] يُنْظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، ص: ١٢٤ – ١٢٥.

[٤] سورة البقرة، آية: ١–٢.

القريب إلَّا أنَّه يشار إليه باسم الإشارة الذي يشار به للبعيد (ذلك)؛ لتعظيم كتاب الله سبحانه، وقد يشار إلى البعيد بلفظ القريب؛ لتحقيره وتصغيره، فدلالة الإشارة المكانية البعيدة أو القريبة تفهم من خلال معرفة قصد التكلم وراء هذه الإشارة.

وتعد الإشاريات المكانية علاقة مكانية بين المتكلم والاسم المشار إليه وتمثلها ظروف المكان، وهي تحيل على أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة المتكلم وقت التلفظ أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو المتلقي، ولتحديد مكان التلفظ يستلزم معرفة العنصر الإشاري من جملة القرب أو الوجهة، والوقوف على ما تشير إليه بالنظر إلى مركز الإشارة للمكان، أي السياق المادي الذي قيلت فيه[١]، ويجب أن تكون هناك معرفة بين المتكلم والمتلقي للمكان المشار إليه في العملية الخطابة.

٤- الإشاريات الاجتماعية

وهي ألفاظ تشير إلى علاقات اجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين، وهذه العلاقة بين المتكلم والمتلقي تتفاوت حسب مراتبهم الاجتماعية؛ لذلك قسّمت العلاقات الاجتماعية إلى (علاقات رسمية، وعلاقات غير رسمية)، إما العلاقات الرسمية فيراعي فيها المتكلم منزلة المتلقي إذ يشير إليه بعبارات تليق بمكانته ومنزلته، كأن يكون ذا منزلة علمية عالية، أو مسؤول في المجتمع، أو يكون صاحب منزلة دينية عظيمة، أو قد يكون شيخاً كبيراً في السن فيجب احترامه واستخدام صيغ التبجيل معه، أمَّا العلاقات غير الرسمية فتخلوا من هذه العبارات[٢]، فبالإشارة الاجتماعية يجب مراعاة مكانة الأشخاص المشار إليهم.

إنَّ للعلاقات الاجتماعية بين المتكلمين دوراً كبيراً في اختيار الألفاظ وانتقاء العبارات، فعادة ما يكون المتحدث صديقاً للمخاطب أو رئيساً له في العمل، أو قد

---

[١] يُنْظر: تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني، مقاربة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد، حماد مصطفى، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بالعباس، الجزائر، العدد ٢٦، ٢٠١٦م، ص: ٦٧.

[٢] يُنْظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، نحلة، ص: ٢٥.

يكون قاضياً يسأل عن سجيناً، وقد يكون مساوياً له فلا يحتاج لألفاظ التعظيم والتبجيل، وإنَّ لهذا التفاوت الاجتماعي بين البشر أبعاد منها: (القوة والسلطة، وكذلك فارق العمر، وفارق الجنس، والتلاحم والألفة بين البشر،...)، ويستعين المتكلم بالتراكيب اللغوية والمواقف الكلامية لتحديد هذه العلاقات[١]، فالسامع أو القارئ يجب أن يعرف مكانة الشخص المشار إليه في الكلام.

وقد يعظِّم المتكلم المفرد نفسه فيقول: (نحن)، أو يعظم المخاطب المفرد فيشير إليه بالقول (أنتم)، ومن ألقاب التعظيم: (فخامة الرئيس، وجلالة الملك، وسمو الأمير، وفضيلة الشيخ، والإمام الأكبر...)، وكذلك من ألقاب التعظيم: (السيد، والسيدة، والآنسة، وحضرتك، وجنابك، وسيادتك،...)، أما في العلاقات غير الرسمية فقد تنكسر هذه القيود ويشير إلى المخاطب بألفاظ عادية، وقد يكون المخاطب قريب إلى النفس، أو صديق مقرب فيستخدم في التحدث معه ألفاظ التدليل وكذلك التحيات، مثل: (صباح الخير، وصباح الورد، وصباح العسل،...)[٢]، فتحدد الإشارة المكانية إلى الأشخاص عادة بحسب نوع العلاقة القائمة بينهم.

٥- إشاريات الخطاب :

تأتي إشاريات الخطاب ضمن ملابسات الخطاب؛ لأنَّها متولدة من السياق المقامي للكلام، وتعد من خواص الخطاب، وتتمثل هذه الإشارات في العبارات التي تذكر في الخطاب والتي تشير إلى موقف خاص بالمتكلم، وهي لا تشير إلى المرجع نفسه بل تخلقه، مثل: (الفصل الماضي، الرأي السابق، هذا النصّ، مهما يكن من

---

[١] يُنْظر: العناصر الإشارية في قصيدة ارحل وعارك في يديك لفاروق جويدة دراسة تحليلية، د. عبد العزيز صابر عبد العزيز، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، مجلة الدراسات العربية، المجلد ٣٨، العدد١، ٢٠١٨م، ص: ٢٥٢.

[٢] يُنْظر: آفاق جديد في البحث اللغوي المعاصر، نحلة، ص: ٢٥-٢٦.

أمر، لكن، قبل، من ثم...)[1]، وهذا يدل على وجود علاقات داخل السياق يبينها التواصل بين أطراف الخطاب.

ومن المواقف التي تمثل الإشاريات الخطابية هي: أنَّ المتكلم قد يبحث بين رأيين عن الصواب فيتحير في ترجيح رأي على رأي آخر، ومن المواقف أيضاً قد يريد المتكلم الوصول إلى مقطع اليقين في مناقشة أمر ما فيقول: ومهما يكن من أمر، وكذلك نستدل على إشاريات الخطاب من خلال حروف الاستدراك (لكن، بل)، فقد يستدرك المتكلم على كلام سابق أو يضرب عنه فيستخدم أحد هذه العبارات، ومن مواقف الخطاب أيضاً قد يريد المتكلم أن يضيف إلى كلامه شيئاً آخر أو يعقب عليه فيقول: فضلاً عن ذلك، ومن صيغ الإشاريات الخطابية قد يريد المتكلم أن يرتب أمراً على آخر فيقول: من ثم،...الخ[2]، فالإشاريات الخطابية تخلق مقصداً جديداً للمتكلم.

ومن إشاريات الخطاب كذلك قد يذكر في الخطاب صيغ التمريض مثل: (رُوي، نُقل، حُكي، جاء، بُلغنا عنه، يُذكر، يُحكى، يُروى، يُرفع، قيل، يُعزى)، التي تستعمل لتضعيف رأي أو تضعيف الحديث، فهي تمثل عدم الثبوت وطرق الشك في الكلام[3].

وتؤدّي الإشاريات الخطابية دوراً مهماً في تيسير العملية التواصلية، فهي تستثمر مقاصد الخطاب لتبدي بها رأياً ما، وتخلق مرجعاً جديداً ومقصداً جديداً لدى المتكلم، فالاستدراك في الكلام له أهمية كبيرة في معرفة المعنى المقصود، وجعله أقرب إلى ذهن السامع، وتقوم الإشاريات الخطابية بدور كبير في توكيد المعنى وتحقيق الغرض من الكلام، فهي تبلور مقصد المتكلم وتوضح معنى الكلام؛ لذلك

---

[1] يُنْظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، نحلة، ص: ٢٤.

[2] يُنْظر: المصدر السابق، ص: ٢٤ – ٢٥.

[3] يُنْظر: المصدر السابق، ص: ٢٥.

تعد الإشاريات الخطابية خصيصة مهمة من خصائص الخطاب المنطوق، فهي تنشأ نتيجة التفاعل الحواري بين المتخاطبين، ونتيجة توارد الأفكار[١]، فالإشاريات الخطابية لها دور مهم في بلورة المعنى المقصود وإيصاله إلى الذهن، فهي تسهم بدور كبير في توكيد المعنى وتحقيق الغرض المنشود.

[١] يُنْظر: العناصر الاشارية في قصيدة ارحل وعارك في يديك لفاروق جويدة دراسة تحليلية، عبد العزيز صابر عبد العزيز، ص: ٢٥٠.

المبحث الثاني

أنواع الإشاريات وحضورها في الصحيفة الرضوية

تتحكم الإشاريات بأنواعها المختلفة (الشخصية، الزمانية، المكانية، الاجتماعية، الخطابية) بالمعايير السياقية؛ من أجل تحقيق مقاصد الخطاب، فهذه الإشارات هي التي ينبني عليها النص الخطابي، ولا تتم العملية الخطابية من دونها، فالإشاريات ملازمة للخطاب، ومن الإشاريات الرئيسية هي: (الأنا، والهنا، والآن)[1]، وتكشف هذه الإشاريات عن معنى اللغة التي لا يمكن معرفتها إلّا بمعرفة أحوال اللغة عن طريق سياق الكلام الذي قيلت فيه، وفي هذا المبحث نحاول الكشف عن الأنماط الخمسة للإشاريات في الصحيفة الرضوية، ومنها:

أولاً: الإشاريات الشخصية

ذكرنا في المبحث السابق أنَّ الإشاريات الشخصية هي مؤشرات لسانية تظهر على مستوى البنية السطحية أو العميقة للخطاب، وتشمل هذه الإشاريات جميع أنواع الضمائر المتصلة، والمنفصلة، والمستترة، وبصورة عامة تدلّ الإشاريات الشخصية على متكلم، ومخاطب، وغائب، كما يدخل النداء من ضمنها، وقد احتوت الصحيفة الرضوية على ضمائر المتكلم، والمخاطب، والغائب، وكلَّها تحيل إلى مراجع محددة أو ذوات معينة، وكان للسياق دورٌ فعالٌ في معرفة مرجعية هذه الضمائر.

الضمائر:

للضمائر أهمية كبيرة في تحقيق تماسك النصّ الشكلي والدلالي، فهي تسهم في إبراز معنى النصّ، وقد تنوعت الضمائر في الصحيفة الرضوية بين منفصلة،

---

[1] يُنْظر: تداولية الإشاريات في قصة موسى (ع) في القرآن الكريم، نهلة حسين طه، قسم اللغة العربية جامعة صلاح الدين – شقلاوة، مجلة العلوم التربوية والإنسانية، العدد١، ٢٠٢٠م، ص: ٩٥٧.

ومتصلة ومستترة، ويمثل الضمير إشارة إلى شخص معين أو مرجع محدد، وفي هذا يقول (السكاكي٦٢٦هـ): "اعلم أنَّ الضمير عبارة عن الاسم المتضمن للإشارة إلى المتكلم، أو إلى المخاطب أو إلى غيرهما بعد سبق ذكره، هذا أصله، وهو أعني الضمير، ينقسم من حيث الوضع، قسم لا يسوغ الابتداء به، ويسمَّى: متصلاً، وقسم يسوغ في ذلك ويسمَّى منفصلاً"[١]، فالضمير يشير إلى متكلم أو مخاطب أو غيرهما، وتكون هذه الضمائر متناقضة في نفسها فعادة تكون أعرف المعارف مع الضمير (انا)، وعادة تكون مبهمة إذا تجردت من مقامها في السياق[٢].

كما تتغير الضمائر العائدة إلى كل من الداعي والمدعو بحسب المواقف، فيتكلم الداعي بصيغة الجميع، يتقمص لسان الجماعة، ويستحضر المدعو عن طريق المخاطبة، أو يشار إليه بضمير الغائب، وهو حاضر في كلّ نصٍ، وتنوعت أساليب الطلب الواردة في الصحيفة الرضوية، ومن تلك الأساليب أسلوب الأمر، جاء في أدعية الإمام (عليه السلام) في الصحيفة ليدل على الدعاء.

ومن نماذج الضمائر التي ذكرت في الصحيفة الرضوية هي:

١- ضمائر المتكلم:

تعدّ ضمائر المتكلم من أوضح العناصر الإشارية، ويعتمد مرجعها اعتماداً تاماً على السياق الذي تستخدم فيه[٣]، وكان لضمير المتكلم حضور واسع في الصحيفة

---

[١] مفتاح العلوم، السكاكي أبو يعقوب يوسف (ت٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ط٢، ١٩٨٧م، ص: ١١٦.

[٢] الإشاريات الشخصية في نصوص من كتاب من لا يحضره الفقيه دراسة تداولية، أمجد ستار ساجت الحسيني وسعد محمد علي التميمي، جامعة واسط، مجلة كلية التربية، العدد ٣٧، ٢٠١٩م، ١٢١/٣.

[١] يُنْظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، نحلة، ص: ١٧ – ١٨.

الرضوية، فقد ظهر بجميع حالاته (منفصلاً، ومتصلاً، ومستتراً)، ومن أمثلته في أدعية الإمام الرضا (عليه السلام):

جاء ضمير المتكلم منفصلاً للإشارة إلى شخص الداعي في قول الإمام (عليه السلام) في طلب الصبر على المصائب: ((**اللَّهُمَّ أَنَا لَكَ وَبِكَ وَإِلَيْكَ وَمِنْكَ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَ لَا نَفْعاً**))[1]، إذ جاء في سياق الدعاء الضمير المنفصل (أنا) ليشير فيه الداعي إلى نفسه ويعبّر عن حالته تجاه خالقه، فينسب نفسه وذاته وكلّ وجوده إلى الله تعالى، ويفوض أمره إليه سبحانه فلا يستطيع دفع الضرر عن نفسه ولا جلب المنفعة إليها إلّا بمشيئته تعالى ومنه على العباد.

كما أنَّ الضمائر تحقق فاعلية كبيرة بين المتكلم والمخاطب؛ لأنَّها تحمل دلالة معينة أثناء إشارة الأشخاص إلى أنفسهم أو إلى غيرهم أثناء الخطاب[2]، فالإمام (عليه السلام) هنا يشير إلى نفسه، وأنَّ هذه الإشارة أنجزت غرضاً تداولياً في سياق الدعاء وهي الإشارة إلى نفس الداعي بالتسليم لأمر الله تعالى والاعتماد عليه، فقد نسب الداعي التسليم والدعاء إلى نفسه.

وقد وردت في أدعية الإمام الرضا (عليه السلام) في الصحيفة، للإشارة إلى المتكلم (الداعي) بالضمير المتصل، ومن أمثلة ذلك قوله (عليه السلام) في المناجاة بثناء الله تعالى: ((**الهي وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ، ومَدَدْتُ يَدي إِلَيْكَ، مَعَ عِلْمِي بِتَفْرِيطي في عِبادَتِكَ، وَاهْمَالي لِكَثير مِنْ طَاعَتِكَ**))[3]، جاء الضمير المتصل (التاء) الدال على المتكلم في الكلمات (وقفت، مددت)، وجاء الضير المتصل (الياء) في الكلمات (يدي، علمي، بتفريطي، وإهمالي)، فيدل الضمير المتصل هنا إلى الإشارة إلى المتكلم الذي يدعو ربه، فيشير إلى نفسه بتضرع ويطلب من خالقه أن يعطيه سؤاله

---

[1] الصحيفة، ص: ٨٢.

[1] يُنْظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، ص: ١٠٩.

[3] الصحيفة، ص: ٢٠.

مع علمه بتقصيره تجاه خالقه سبحانه، ولكنَّه يعلم أنَّ الله عزَّ وجلَّ غفور رحيم، فالدعاء جاء في المناجاة بثناء الله تعالى على العباد.

وهنا ينقل لنا الإمام (عليه السلام) صورة العبد الجاحد والإله الكريم؛ ليرشدنا بذلك إلى العودة إلى الله سبحانه فهو رؤوف بعباده ويقبل توبة التائبين، فالمحتوى التداولي لهذا الدعاء هو الإشاريات الشخصية بالضمائر المتصلة الدالة على المتكلم.

وجاء الضمير المتصل كذلك في قوله (عليه السلام) عند الصباح: **((أَمَنْتُ بِاللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَكَفَرْتُ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ أَمَنْتُ بِسِر آلِ مُحَمَّدٍ وَعَلَانِيَتِهِمْ وَوِلايَتِهِمْ..))**[1]، ورد ضمير المتكلم المتصل في هذا الدعاء في الكلمات (آمنت، كفرت، آمنت)، إذ دلت (تاء) الفاعل على المتكلم أو صاحب الدعاء، فهو يشير إلى نفسه من أجل التعبير عن مقاصد معينة بغية تحقيق هدفه، فهو يعترف ويقرّ بإيمانه بالله سبحانه وولايته لرسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) وآل بيته الأطهار (عليهم السلام), فالإشارة للمتكلم جاءت واضحة في سياق الدعاء، وأنَّ وجود الضمير يدل على حضور المتكلم، فهو واقف أمام الله تعالى ويدعو إلى نفسه بالإخبار والإقرار بإيمانه لله تعالى وبرسوله الكريم وعترته الطاهرة (عليهم السلام)، ويؤكد على كفره بالطواغيت وعباد الشيطان والباطل في مقابل عبادة الله الواحد الأحد.

وجاء في الصحيفة الرضوية الضمير المتصل الدال على جماعة المتكلمين، وذلك في دعائه (عليه السلام) لطلب الفرج: **((اللَّهُمَّ صَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَعِذْنَا مِنْ شَرِّ جَمِيعِ مَا خَلَقْتَ، اللهُمَّ صَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَالْبَسْنَا دِرْعَكَ الْحَصِينَةَ، وَقِنَا شَرَّ جَمِيعِ خَلْقِكَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاحْفَظْ غُرْبَتَنَا، وَاسْتُرْ عَوْرَتَنَا، وَأَمِنْ رَوْعَتَنَا، وَاكْفِنَا مَنْ بَغَى عَلَيْنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا وَ**

---

[1] الصحيفة، ص: ٦٠.

أَعِذْنَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ))[1]، جاء في هذا الدعاء الضمير الدال على جماعة المتكلمين (نا) بكثرة، في الكلمات (أعذنا، البسنا، قنا، غربتنا، عورتنا، روعتنا، اكفنا، علينا، انصرنا، ظلمنا، أعذنا) فهي جميعها تنتهي بالضمير الدال على جماعة المتكلمين (نا)، فالإمام (عليه السلام) يتحدث على لسان حال الجماعة ويطلب في الدعاء الحفظ والحماية من الله سبحانه وتعالى له ولجميع المؤمنين، فهو أمر متوقع من المعصوم، فهو يتمنى الخير لجميع المؤمنين، كما أنَّه ينقل لنا من خلال الدعاء دروس ويرسم لنا صوراً في الإنسانية والأخلاق الحميدة.

٢- ضمائر المخاطب:

تحقق الضمائر في الصحيفة بعداً تداولياً وهو الإشارة إذ جاء ضمير المخاطب في الصحيفة الرضوية على حالاته الثلاثة (منفصل، ومتصل، ومستتر)، ونذكر بعضاً منها في التطبيق على أدعية الإمام الرضا (عليه السلام) في الصحيفة الرضوية.

ذكر ضمير المخاطب في الصحيفة منفصلاً في قوله (عليه السلام) في طلب دفع الشدائد: **((اللَّهُمَّ فَإِنِّي أُوفِي، وَأَشْهَدُ وَاقِرٌّ، وَلَا أُنكِرُ وَلا أَجْحَدُ، وَأُسِرُّ وَأُعْلِنُ وَأَظْهِرُ وَابْطِنُ، بأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لك، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ))**[2]، جاء ضمير المخاطب المنفصل (أنت) في الدعاء، ويشير فيه إلى الله عزَّ وجلَّ، إذ يقرّ المتكلم له بالربوبية، وأنَّه وحده إله السماوات والأرض لا معبود سواه، ولا شريك له في ملكه، ويقرّ أيضاً بأنَّ النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، هو رسوله الكريم الذي وفى بوعده وأدّى رسالته، وهو بذلك يحقق بعداً تداولياً وهو الإشارة بالضمير المنفصل الدال على الخاطب، وهو يدلّ على حضور المخاطب في

---

[2] الصحيفة، ص: ٣٦.

[2] الصحيفة، ص: ٢٧.

العملية الخطابية، فالمخاطب هو الله جلَّ جلالة والحضور متحقق لله تعالى في كلّ لحظة وكلّ مكان فسبحانه أقرب للعبد من حبل الوريد.

وجاء في الدعاء أيضاً قوله (عليه السلام) في طلب تفريج الهموم والغموم: **((اللهُمَّ أَنْتَ ثِقَتي في كُلِّ كَرْبٍ، وَأَنْتَ رَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ، وَأَنْتَ لي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ))**[1]، تكررت الإشارة إلى المخاطب بالضمير (أنت) في الدعاء ثلاث مرات وهذا يبين البعد التداولي لهذه الإشارة، وهي تخصيص ما ورد في الدعاء للمشار إليه والتأكيد عليه، إذ جاء بالدعاء قوله: (أنت ثقتي في كل كرب)، فالكرب هو الحزن الشديد والثقة هي الإيمان، فيؤمن بأنَّ الله تعالى وحده القادر على كشف الحزن وتخفيفه على العبد، وجاء في الدعاء قوله: (أنت رجائي في كل شدة)، فالرجاء ضد اليأس، ولا ييأس العبد من الرجوع إلى خالقه في كشف الشدائد وتفريج الهموم، ويقول في الدعاء أيضاً: (وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعُدَّة)، فالعُدة هي ما يعتد به ليوم الحاجة وحوادث الدهر، فيخبر بأنَّ الله تعالى يقف مع العبد في يوم عسرته وشدته ليحرسه من حوادث الدهر والمحن، فينقل لنا الإمام (عليه السلام) بأسلوب تداولي الإشارة إلى الخالق وبيان رأفته بالعبد ومساندته وحفظه، تعالى الله أرحم الراحمين.

وجاء في أدعية الإمام الرضا (عليه السلام) الضمير المتصل الذي يدلّ على المخاطب، ومنها قوله (عليه السلام) في المناجاة بالحمد لله تعالى وشكره حال السجدة: **((لَكَ الْحَمْدُ إِنْ أَطَعْتُكَ، وَلَا حُجَّةَ لِي إِنْ عَصَيْتُكَ، وَلَا صُنْعَ لِي وَلا لِغَيْرِي في إِحْسَانِكَ، وَلَا عُذْرَ لي إِنْ أَسَأْتُ ما أصابَني مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْكَ))**[2]، يشير الداعي هنا إلى المخاطب بالضمير المتصل وهو (الكاف) في الكلمات (لك، أطعتك، أعصيك، إحسانك، فمنك)، فالكاف هنا ضمير الخطاب يشير فيه إلى المخاطب وهو

---

[1] الصحيفة، ص: ٣٩.

[2] الصحيفة، ص:١٩.

الله تعالى، فيحمده ويشكره على نعمه، فالإيمان بالله تعالى هي نعمة من نعمه على العبد؛ إن هداه إلى الطريق الصحيح وثبته على الدين الحق، فالإيمان بالله هو توفيق من الله تعالى، كما يوَّجب على الناس طاعته؛ لأنَّه لا توجد حجة لمعصية الله سبحانه فهو خالق الوجود، فالدعاء احتوى على غرض تداولي أنجزه الإمام (عليه السلام) في دعائه وهو الإشارة الشخصية إلى الخالق عزَّ وجلَّ بالشكر والثناء والحمد على جزيل إحسانه ونعمه.

وجاء بضمير المخاطب المتصل أيضاً في دعائه (عليه السلام) لولده المهدي (عليه السلام) في قوله: **((اللَّهُمْ وَأَعِذْهُ مِنْ شَرِّ جَمِيعِ مَا خَلَقْتَ (وَذَرَأْتَ) وَبَرَأْتَ، وَأَنْشَأْتَ وَصَوَّرْتَ وَاحْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، وَمِنْ فَوْقِهِ وَمِنْ تَحْتِه بِحِفْظِكَ الَّذِي لَا يَضِيعُ مَنْ حَفِظْتَهُ بِهِ...))**[1]، جاء الضمير المتصل (تاء الفاعل) الدالة على المخاطب في الكلمات (خلقتَ، ذرأتَ، برأتَ، أنشأتَ، صورتَ، حفظت)، إذ دلت الـ(ت) على الإشارة إلى المخاطب، وهو الفاعل ويقصد به الله سبحانه وتعالى، فهو الخالق والمنشئ والمصور لكل الوجود؛ ليستجيب له ويحقق دعواه، إذ إنَّ الإمام (عليه السلام) يطلب في الدعاء من الله سبحانه أن يحفظ ولده المهدي (عليه السلام) من أشرار زمانه، ويعيذه من شر كلّ ذي شر، فالغرض التداولي للإشارة الشخصية هي توجيه الدعاء إلى الله تعالى بضمير المخاطب المتصل؛ ليحفظ الإمام ويعينه على القضاء على الظلم ونشر العدل.

وجاء في قوله (عليه السلام) في الدعاء لطلب الفرج: **((اللهم صلِ على محمد وآل محمد، واكشف عنَّا كلَّ همٍّ، وفرّج عنَّا كلَّ غمٍّ، واقضِ لنا كلَّ حاجة من حوائج الدنيا والآخرة))**[2]، يشير الإمام (عليه السلام) إلى المخاطب وهو الله سبحانه وتعالى بضمير مستتر دال عليه في الكلمات (صلِ، اكشف، فرج، اقض)، فالمخاطب هنا

---

[1] الصحيفة، ص: ٧٢.

[2] الصحيفة، ص: ٣٦.

ضمير مستتر تقديره (أنت)، ولكنَّه أشار إليه بشكل صريح في بداية الدعاء، فالإنجاز التداولي الذي نجده في سياق الدعاء هو خروج هذه الإشاريات للطلب من الله سبحانه وتعالى قضاء حوائجهم وتفريج همومهم، فالأبعاد الإشارية الشخصية تتحدد بالسياق اللغوي والموقف، إذ يعتمد مرجعها اعتماداً تاماً على السياق الذي تستخدم فيه[١].

٣- ضمائر الغائب

جاء ضمير الغائب في الصحيفة بجميع حالاته (منفصل، ومتصل، ومستتر) ونجد ذلك في مواضع كثيرة من الصحيفة منها:

دعائه (عليه السلام) في دفع شر الأعداء يشير إلى جماعة الغائبين بقوله: **((اللهم بادِرْهُمْ، اللهم عاجلهم، اللهم لا تُمْهِلْهُمْ اللهُمْ غَادِرْهُمْ بُكْرَةً وَهَجِيرَةٌ وَسُحْرَةً، وَبَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ وَضُحى وَهُمْ يَلْعَبُونَ، وَمَكْراً وَهُمْ يَمْكُرُونَ، وَفُجْأَةً وَهُمْ أَمِنُونَ))**[٢]، يشير الإمام (عليه السلام) في هذا الدعاء إلى جماعة الغائبين بالضمائر المتصلة والمنفصلة، فالإشارة بالضمائر المتصلة جاءت في قوله (بادرهم، عاجلهم، لا تمهلهم، غادرهم)، فالضمير المتصل (هم) يشير به الداعي إلى جماعة الغائبين، كما يشير بالضمير المنفصل (وهم) إلى جماعة الغائبين أيضاً، فيدعو الإمام (عليه السلام) هنا على الأعداء وينادي الله سبحانه وتعالى – وهو المقصود بالخطاب أو المخاطب– ويسأله أن يكفَّ عنه بأس الأعداء، وأن يقضي عليهم ويخلِّص الأُمة من مكرهم وشرورهم.

فالمقصود في الدعاء أو المشار إليه لم يكن موجوداً في العملية الخطابية وهم الأعداء، ولم يكونوا حاضرين أثناء الدعاء، فالدعاء صادر من الإمام (عليه السلام)

---

[٢] يُنْظر: التعبير الإشاري في الخصيبي مقاربة تداولية، كاظم جاسم العزاوي، ص: ٧٥.

[٢] الصحيفة، ص: ٤٥.

إلى الله تعالى بأسلوب تداولي تضمن إشارة شخصية تدل على الشخص الغائب في الدعاء وهم أعداء الله وأعداء الحق.

ومن الإشاريات في الصحيفة دعاء الإمام (عليه السلام) لولده المهدي(عليه السلام) بقوله: ((**اللَّهُمْ وَأعِذهُ مِنْ شَرّ (جَميعِ) مَا خَلَقْتَ (وَذَرَأْتَ) وَبَرَأْتَ، وَأَنْشَأْتَ وَصَوَّرْتَ وَاحْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، وَمِنْ فَوْقِهِ وَمِنْ تَحْتِهِ، بِحِفْظِكَ الَّذِي لَا يَضِيعُ مَنْ حَفِظْتَهُ بِهِ**))[1]، جاء ضمير الغائب متصلاً في هذا الدعاء في الكلمات (احفظه، يديه، خلفه، يمينه، شماله، فوقه، تحته، حفظته)، إذ إنَّ (الهاء) ضمير متصل يشير فيه إلى الغائب أي غير موجود في الدعاء، فالمتكلم أي الذي يدعو هو الإمام (عليه السلام) والمخاطب الذي يسمع الدعاء هو الله عزَّ وجلَّ، أما الذي يدعو له الإمام وهو المقصود بالإشارة هو الإمام المهدي (عليه السلام)، وهو لم يكن موجوداً في زمان التكلم أصلاً، إلَّا أنَّ الإمام (عليه السلام) يعلم بأنَّ آخر الزمان سيظهر خاتم الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وهو مهدي من الله تعالى إلى العباد ليعمر الأرض بعد خرابها وينشر العدل والسلام، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملأت ظلماً وجوراً، فلذلك يشير إليه بضمير الغائب؛ لأنَّه غير موجود بينهم لحظة الدعاء، فتضمن هذا الدعاء نوعاً من أنواع التداولية وهو الإشاريات الشخصية التي يشار بها إلى الغائب.

وجاء ضمير الغائب مستتراً في بعض المواضع من الصحيفة، كما جاء في دعائه(عليه السلام) لدفع شر الأعداء: ((**صَلِّ عَلَى منْ شُرِفَتِ الصَّلاةُ بِالصَّلاةِ عَلَيْهِ، وَانْتَقِمْ لي مِمَّنْ ظَلَمَنِي، وَاسْتَخَفْ بي وَطَرَدَ الشَّيعَةَ عَنْ بَابِي وَأَذِقْهُ مَرَارَةَ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ**))[2]، يشير الإمام (عليه السلام) إلى العدو الظالم بالضمير المستتر (هو) في الكلمات (ظلمني، استخف، طرد)، ويجب أن نشير إلى أنَّ هذا الدعاء قيل

---

[1] الصحيفة، ص: ٧٢.

[2] الصحيفة، ص: ٤٧.

بحق المأمون عندما طرد الشيعة من مجلس الإمام (عليه السلام) وزجره ومنعه واستخف به، فغضب الإمام (عليه السلام) ودعا بهذا الدعاء وما أن اختتم الإمام (عليه السلام) دعاءه حتى وقعت الرجفة في المدينة وارتج البلد[١]، فالضمير (هو) يعود على المأمون، فالغرض التداولي لهذه الإشارة هو الدعاء على العدو ودفع شره بالإشارة إليه بضمير مستتر تقديره (هو) الحاكم الظالم في زمان الإمام الرضا (عليه السلام).

النداء :

ذكرنا أنَّ النداء يدخل ضن الإشاريات الشخصية، ولا يُفهم إلَّا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه، ويذكر محمود نحلة أنَّ النداء "هو ضميمة اسمية تشير إلى مخاطب لتنبيهه أو توجيهه أو استدعائه، وهي ليست فيما يتلوها من كلام بل تنفصل عنه بتنغيم يميّزها"[٢]، وللنداء حضور كبير في الصحيفة الرضوية، إذ يشير فيها الإمام (عليه السلام) إلى الله سبحانه وتعالى وينادي في كل دعاء ومناجاة، لغرض الحضور والاستجابة وقبول الدعاء، ومن ذلك:

قوله (عليه السلام) في المناجاة لطلب الفرج: **((يَا سَامِعَ كُلَّ صَوْتٍ، ويَا سَابِقَ كُلَّ فَوْتٍ، يَا مُحْيِ الْعِظَامِ وَهِيَ رَمِيمٌ، وَمُنْشِئَهَا بَعْدَ الْمَوْتِ صَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْ لِي مِنْكُلِّ هَمْ فَرَجاً وَمَخْرَجاً وَجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))**[٣]، الإمام (عليه السلام) هنا يشير إلى الله سبحانه وتعالى بأداة النداء (يا)، ويقصد بها مناجاة الله سبحانه بذكر صفاته الحسنى والإشارة إلى قدرته، وقد أشار إليه بصفاته العليا وقدرته الغالبة باسم الفاعل (سامع، سابق، محيي)، للدلالة على

---

[١] يُنْظر: عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١/ ١٨٤ – ١٨٥.

[٢] آفاق جديدة في البحث اللغوي العاصر، نحلة، ص: ١٩.

[٣] الصحيفة، ص: ٢٠.

أنَّها أفعال ثابتة لله تعالى، فتدلّ على دوام السمع، فهو يسمع أصوات المناجين والمنادين ولا يصم سمعه صوت، وكذلك هو السابق لعباده بالخيرات قبل الدعاء، وهو وحده القادر على أن يحيي ويميت، وهو على كلّ شيء قدير، فنجد البعد التداولي في الدعاء هو الإشارة إلى الله تعالى ومناداته بحرف النداء (يا) الذي تكرَّر كثيراً في الدعاء ليحثنا الإمام (عليه السلام) على أن لا ننادي غير الله تعالى، والغرض من النداء في هذا الدعاء هو طلب الفرج والنجاة له ولجميع المؤمنين.

وجاء النداء كذلك في دعائه (عليه السلام) لقضاء الحوائج: **((يا صاحبي في شِدَّتي، وَيَا وَلِيي في نِعْمَتِي، ويا الهي وَالهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، يَا رَبَّ كَهيعص وَيَس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ أَسْأَلُكَ يا أَحْسَنَ مَنْ سُئِلَ، وَيَا خَيْرَ مُرْتَجِي أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ))**[1]، إنَّ الله تعالى لا يترك العبد في شدته بل يصاحبه ويقف معه، وإنَّ الله تعالى ولي كلّ نعمة، فينادي الداعي الله تعالى بعونه وكرمه ومنه، ويناديه بروبيته على أنبيائه الصالحين، ومعجزاته من آيات القرآن الكريم، ويدعوه للصلاة على محمد وآله لقضاء حوائجه، فعنوان الدعاء جاء لطلب قضاء الحوائج، وإنَّ القيمة التداولية التي خرجت لها (ياء النداء) في هذا الدعاء هي الإشارة إلى المخاطب وهو الله سبحانه وتعالى؛ لغرض التقرب إليه ومناجاته وسؤاله برسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) أن يقضي حاجته.

---

[1] الصحيفة، ص: ٤٠.

ثانياً- الإشاريات الزمانية

إنَّ للمعرفةِ المشتركةِ بينَ المتخاطبين دوراً كبيراً في فهم التأشير الزمني، وإنَّ فهم سياق الدعاء يساعد على تعيين الزمن إذا لم يذكر بشكل صريح في الدعاء، وقد وردت الإشارة إلى الزمان في أدعية الإمام الرضا (عليه السلام) في الصحيفة بكثرة، إذ إنَّ أغلبها تشير إلى يوم القيامة وقيام الساعة، والغرض منها تنبيه الناس وإخبارهم بأهوال ذلك اليوم، وإنَّه يوم يحاسب الناس فيه على أعمالهم، ومن أمثلة هذا النوع من الإشاريات في الصحيفة الرضوية:

قول الإمام الرضا (عليه السلام) في طلب الفرج: **((وَقِنَا بِفَضْلِ رَحْمَتِكَ عَذَابَ الْفَقْرِ وَالْقَبْرِ وَالنَّارِ وَسَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَأَهْوَالَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ))**[1]، يشير الإمام (عليه السلام) في سياق هذا الدعاء إلى غرض تداولي، وهو الإشارة إلى يوم عظيم وهو يوم القيامة، وأنَّ الإمام المعصوم من الخطأ يدعو من الله سبحانه أن يقيه أهوال ذلك اليوم فما بالنا نحن البعيدون عن الله سبحانه، وما أعظم ذلك اليوم على البشر، ويعد القرآن الكريم خير شاهد على أهوال ذلك اليوم العظيم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[2]، فقصد الإمام (عليه السلام) من هذا الدعاء هو تخويفنا من ذلك اليوم وأن نجهز أنفسنا بالعمل الصالح لذلك اليوم بالإشارة إليه في سياق الدعاء إشارة زمانية؛ لأنَّ زمان ذلك اليوم لم يحن بعد، وأنَّ التعبير الصريح لكلمة (يوم) في سياق الدعاء يدل دلالة واضحة على الزمن، ويمثِّل هذا النوع من التداولية الإشاريات الزمانية.

وجاء أيضاً في الدعاء في وصف يوم القيامة قوله (عليه السلام): **((يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ، وَذَلِكَ يَوْمُ النُّشُورِ، إِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ، وَبُعْثِرَ مَا فِي**

---

[2] الصحيفة، ص: ٣٨.

[1] سورة الحجّ، آية: ٢.

الْقُبُورِ))[1]، يشير الإمام (عليه السلام) إلى يوم القيامة باسم الإشارة (ذلك) وهي تستعمل للإشارة إلى البعيد لكننا لا نعلم وقت ذلك اليوم، هل هو قريب أو بعيد؟، لكن يشير إليه بلفظ البعيد؛ لعظمته ولشدة أهواله، إذ يصف ذلك اليوم وما يقع فيه من أحداث وهي النفخ في الصور، وكذلك تعود الأرواح لأجسادها ويعرج الناس جميعهم إلى بارئهم، فقصد الإمام (عليه السلام) من هذه الإشارة المليئة بالتعظيم والتهويل هي تحذير الناس من ذلك اليوم العظيم، فالإشارة واضحة وصريحة لذلك اليوم، وأنَّ كلمة (يوم) تدلّ دلالة واضحة على الزمن، وهو زمن مرتقب لكن غير محدد، وهذا النوع من التداولية يدل على الإشاريات الزمانية.

وكذلك نجد الإشاريات الزمانية في قوله (عليه السلام) في دعائه عند التعمم ولبس الثياب والنظر في المرآة: **((اللهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ اللَّهُمْ وَوَطِّئ قَدَمِي فِي الدُّنيا وَالْآخِرَةِ، وَثَبْتْهُما عَلَى الإيمَانِ، وَلَا تَزِلُّهُمَا يَوْمَ زَلْزَلَةِ الْأَقْدَام))**[2]، يشير هنا إلى يوم القيامة بتخويف وتحذير وبتهويل عظيم، إذ يصفه بيوم زلزلة الأقدام، وهو وصف مليء بالرهبة؛ فهو يوم تزل به الاقدام عن الصراط المستقيم، وذكر الأقدام بالجمع وهذا يدلّ على أنَّ الكثير من الناس ستزل أقدامهم عن الصراط في ذلك اليوم، وهذه المعاني الواضحة والدرر العظيمة التي يفيض بها الإمام (عليه السلام) على الناس الغرض منها تعليم الناس أصول الدين وحثهم على الإيمان بالله تعالى والتمسك بشرائعه والسير على الطريق المستقيم، وهو بذلك يجسد اللسانيات التداولية خير تجسيد بإشارته للزمان المرتقب.

ويشير في الدعاء أيضاً إلى الزمن كما جاء في قوله (عليه السلام) عند حلول وقت المساء: **((أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ**

---

[3] الصحيفة، ص: ٢٧.

[1] الصحيفة، ص: ١١٠.

الْعَالَمِينَ))[1]، إذ يشير إلى وقت حلول المساء وهو وقت غروب الشمس ولا يحدد مساء يوم معين، فالسياق يدلّ على كل مساء يأتي في كلّ يوم يجب أن ندعو الله تعالى ونناجيه، وتعني دخلنا في المساء ونحن متلبّسون بنعمة الله وحفظه واستمرار دوام الملك له، فالملك أزلي لله الواحد القهار في كلّ يوم وفي كلّ وقت، فالإشارة الزمنية واضحة في سياق الدعاء إذ يلزم الدعاء في وقت المساء، فالغرض التداولي الذي خرجت له هذه الإشارة الزمانية هي الإخبار بدوام الملك لله تعالى في كل وقت ووقت المساء في كل يوم.

وكذلك قوله (عليه السلام) في دعائه لإخوته: **((اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّ صَلَاحَهُمْ، وَأَنِّي بَارٌّ بِهِمْ، وَاصِلٌ لَهُمْ، رَفِيقٌ عَلَيْهِمْ، أَعِنِّي بِأُمُورِهِمْ لَيْلاً وَنَهَاراً))**[2]، يشير هنا إلى وقت حلول الليل ووقت حلول النهار من كل يوم، ويطلب من الله سبحانه وتعالى أن يعينه ويوفقه للسعي في قضاء حوائج إخوانه المؤمنين في وقت الليل والنهار، إلى طوال اليوم فلا يشير إلى وقت ثابت للتوفيق لذلك، بل يريد أن يلزم نفسه في وقت الليل ووقت النهار لخدمة إخوانه المؤمنين ومعونتهم وتيسير أمورهم، فما نجده من بعد تداولي في سياق الدعاء هو الاشارة الزمنية إلى وقت خدمة الناس وإعانتهم على أمورهم فيشمل جميع الأوقات سواء في الليل أو النهار.

وكذلك قوله (عليه السلام) في قنوت الوتر: **((اللَّهُمَّ مَنْ كَانَ أَمْسَى وَأَصْبَحَ، وَلَهُ ثِقَةٌ أَوْ رَجَاءٌ غَيْرُكَ، فَأَنْتَ ثِقَتِي وَسُؤْلِي وَرَجَائِي، يَا خَيْرَ مَنْ سُئِلَ، وَيَا أَكْرَمَ مَنْ اسْتُكْرِمَ))**[3]، يشير سياق الدعاء هنا إلى وقت حلول المساء وإلى وقت حلول الصباح، وهي إشارة زمانية، فيريد الإمام (عليه السلام) أن يحذرنا من الاتكال على غير الله تعالى، فهناك من يرجو غير الله تعالى في اتكاله وقضاء حوائجه، فلا

---

[1] الصحيفة، ص: ٦١.

[2] الصحيفة، ص: ٧٢.

[3] الصحيفة، ص: ٨٧.

يذكرون الله تعالى لا في وقت الصباح ولا في وقت المساء، فيؤكد الإمام في الدعاء أنَّ الثقة والرجاء مخصوص لله تعالى فهو سبحانه العالم بعباده، وأنَّ الغرض التداولي من هذه الإشارة الزمانية في سياق هذا الدعاء هي إثبات ثقته برحمة الله سبحانه، فهو واثق من أنَّه سيرحمه ويستجيب لدعائه، فهو لا يرجو غيره في كل وقت.

وفي إشارته إلى موسم الحج يقول (عليه السلام) في الدعاء: ((**وَارزُقْنَا حَجَّ بَيْتِكَ الْحَرَامِ، وَزِيَارَةَ النَّبي والأئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلام في عامِنا هذا وفي كل عام، وَاجْعَلْنا في طَاعَتِكَ مُجِدّينَ، وَفي خِدْمَتِكَ رَاغِبينَ...**))[1]، الإشارة هنا واضحة وصريحة، إذ يشير إلى زمان وقوع موسم الحج، وهو موسم يحدث في كلّ عام في شهر ذي الحجة، فهو وقت معلوم لدى جميع الناس، وفي هذا الدعاء يطلب من الله سبحانه أن يرزقه الحج في عامه هذا، أي زمن التكلم، وفي باقي الأعوام التي تلي ذلك العام.

فللغرض التداولي حضورٌ كبير في هذا الدعاء، فقد مثَّلت الإشارة إلى الزمان نوعاً من أنواع الإشاريات في الدرس التداولي، وغرضه الطلب من الله تعالى أن يرزقه الحج إلى الكعبة الشريفة، وزيارة قبر الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) في المدينة المنورة، كما يطلب أيضاً زيارة الأئمة الأطهار (عليهم السلام) في بقاع الأرض.

ويشير الإمام (عليه السلام) بالإشارة الزمانية أيضاً إلى يوم العيد في قوله (عليه السلام): ((**وَأَسْأَلُكَ بِهَذَا الْيَوْمِ الَّذِي شَرَّفْتَهُ وَكَرَّمْتَهُ وَعَظَمْتَهُ وَفَضَّلْتَهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَالِهِ أَنْ تَغْفِرَ لِي وَلِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ**))[2]، الإشارة الزمانية في هذا الدعاء تمثَّلت في

---

[1] الصحيفة، ص: ٣٨.

[2] الصحيفة، ص: ٩٥.

قوله: (هذا اليوم)، فذكر اسم الإشارة (هذا) ثم ذكر بعده اليوم المشار إليه، وهو يقصد به (يوم العيد) وهو يوم عظيم في السنة وقد شرَّفه الله سبحانه وكرَّمه، فيدعو الإمام (عليه السلام) ببركة هذا اليوم العظيم، أن يغفر له ولجميع المؤمنين والمؤمنات، فكلمة (يوم) تدل دلالة واضحة على الزمن في سياق الدعاء، فالقيمة التداولية التي تحملها هذه الإشارة الزمانية في سياق الدعاء هي سؤال الله سبحانه ببركة يوم العيد أن يغفر له وللمؤمنين.

وتعدّ الإشاريات من الموضوعات الأساسية في الدرس التداولي؛ فهي تعدّ عنصراً مهماً من العناصر التي تؤدي إلى فهم النصّ أو الخطاب؛ لأنَّها تتصل بالسياق الذي يحيط به، والإشارات هي من أهم الأشياء التي نقوم بها أثناء الكلام، فعندما نلاحظ شيئاً غريباً نسأل عنه لمعرفته بقول: ما هذا؟، فاسم الإشارة (هذا) يدلّ على الإشارة إلى شيء ما لمعرفته[1]، وفي الدعاء هنا يشير إلى زمان معين باسم الإشارة (هذا).

[1] يُنْظر: التداولية، جورج يول، ص: ٢٧.

ثالثاً- الإشاريات المكانية

إنَّ الألفاظ الإشارية لا يمكن تفسيرها إلَّا إذا وقفنا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه، وللمكان حضور كبير في أدعية الإمام الرضا (عليه السلام)، فقد أشار في مواضع كثيرة من الصحيفة إلى المكان إشارة صريحة، والغرض منه هو تقريب معنى ما يقصده المتكلم في كلامه أو في دعائه إلى الناس أو إلى المخاطب، والابتعاد عن الغموض.

وتكثر الإشارة في أدعية الإمام (عليه السلام) إلى دار الخلود إلى الجنة أو النار، كما جاء في دعائه (عليه السلام) لوالديه: **((وَأَنْ تَرْحَمَ وَالِدَيَّ الْغَرِيبَيْنِ فِي بُطُونِ الْجَنَادِلِ، الْبَعِيدَيْنِ مِنَ الْأَهْلِ وَالْمَنَازِلِ صِلْ وَحْدَتَهُمَا بِأَنْوَارِ إِحْسَانِكَ، وَأَنِسْ وَحْشَتَهُمَا بِأَثَارِ غُفْرَانِكَ، وَجَدِّدْ لِمُحْسِنِهِمَا فِي كُلِّ وَقْتٍ مَسَرَّةً وَنِعْمَةً، وَلِمُسِيئِهِمَا مَغْفِرَةً وَرَحْمَةً، حَتَّى يَأْمَنَا بِعاطِفَتِكَ مِنْ أَخْطَارِ الْقِيَامَةِ، وَتُسْكِنَهُمَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ))**[1]، يشير إلى المكان في أكثر من موضع في هذا الدعاء، إذ جاء في قوله: (في بطون الجنادل)، وكما نعلم أنَّ فترة الحكم في وقته كانت لهارون الرشيد وقد زجَّ في والده الإمام الكاظم (عليه السلام) في سجون البصرة وبغداد حتى استشهاده، إذ كانت سياسته قائمة على ممارسة القسر والإكراه، فالسجن مكان والإمام الرضا (عليه السلام) يشير إليه في الدعاء، فهو يمثل إشارة مكانية وهذا ما نبحث عنه في الدرس التداولي.

كما يشير إلى المكان في قوله: (بعيدين عن الأهل والمنازل)، إذ إنَّ مكان السجن بعيد عن مكان مسكنه وأهله، فقد بقي والده الإمام الكاظم (عليه السلام) في السجن بعيداً عن بيته وأهله حتى وفاته، فالإشارة هنا إلى الديار التي فارقها الإمام الكاظم (عليه السلام)، وهو يمثل إشارة واضحة إلى المكان.

---

[1] الصحيفة، ص: ٢٢.

ثم يشير في دعائه إلى المكان الذي يرجوه لهم وهو قوله: (تسكنهما دار المقامة)، ويقصد فيه مكان الراحة الأبدية وهي جنة الخلد، الدار التي وعد الله تعالى المؤمنون بها في الآخرة، فيطلب في الدعاء من الله عزَّ وجلّ أن يكتبها لهما يوم القيامة، فالقيمة التداولية التي تحملها هذه الإشارة إلى المكان هي الدعاء من الله سبحانه أن يخلصهم من المكان السيئ المظلم البعيد، ويبدلهما بالجنة مكاناً أبدياً.

وجاء في الدعاء إشارة للمكان كذلك في دعائه (عليه السلام) لطلب الفرج: **((صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَعَجِّلْ فَرَجَهُمْ، وَتَفَضَّلْ عَلَى فُقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالْغِنى وَالْبَرَكَةِ، وَعَلَى مَرْضَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالشِّفاءِ وَالْعَافِيَةِ، وَعَلَى مَوْتَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَعَلى غُرَباءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالرّد إلى أَوْطَانِهِمْ سَالِمِينَ غَانِمِينَ، وَعَلى وَالِدَيْنا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَأَهْل حزانتِنا بِالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ...))**[1]، يشير في الدعاء إلى المكان بقوله: (بالرد إلى أوطانهم) أي مكان عيشهم وسكنهم، فالإمام (عليه السلام) يدعو للغرباء عن بلادهم وأهلهم فيطلب من الله تعالى أن يردهم إلى أوطانهم، لم يحدد مكان واحد لأنَّ الإمام (عليه السلام) يدعو لجماعة من الناس لا لفرد واحد، كما يشير إلى النار وإلى الجنة وهي إشارة إلى المكان أيضاً، فالنار هي مكان العذاب التي وعد الله سبحانه وتعالى الكافرين بها، فهي لهم دار مقام يخلدون فيها أبداً، وكذلك مكان الجنة التي هي دار القرار والخلد للمؤمنين، وهي مكان يحتوي على حدائق وأنهار وفواكه ولها أوصاف كثيرة في القرآن الكريم، إمَّا الغرض الذي خرجت له الإشارة المكانية فهو الدعاء والتضرع إلى الله تعالى لطلب العتق من النار والفوز بالجنة، وهي إشارة واضحة من سياق الدعاء، كما أنَّنا نعلم بأنَّ مكان الجنة والنار غير معلوم وغير محدد، لكن حسب معرفتنا أنَّه مكان خلود للمؤمنين والكافرين؛ فتعد الإشارة مكانية.

---

[1] الصحيفة، ص: ٣٧-٣٨.

ونجد في دعائه (عليه السلام) الإشارة إلى المكان في إشارته إلى الجنة أيضاً بقوله: **((اللَّهُمَّ كَمَا أَمَنْتُ بِمُحَمَّدٍ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَأَلِهِ، وَلَمْ أَرَهُ، فَعَرِّفْنِي فِي الْجِنَانِ وَجْهَهُ، اللَّهُمَّ بَلِّغْ رُوحَ مُحَمَّدٍ عَنِّي تَحِيَّةً كَثِيرَةً وَسَلاماً))**[1]، تظهر الإشارة المكانية في كلمة (الجنان) فهي إشارة إلى المكان الذي يخلد فيه عباد الله المخلَصين، فالغرض التداولي التي يحمله سياق هذا الدعاء هو طلب الحشر مع الرسول (صلى الله عليه وآله) يوم القيامة في الجنة، فتحديد المرجع المكاني يعتمد على تداولية الخطاب وهو ما يؤكد استعماله لمعرفة موقع الأشياء[2]، فيشير الإمام (عليه السلام) في الدعاء إلى أنَّه قد آمن بالرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وبرسالته ولم يرَ وجهه الكريم، فهنا ينادي الله سبحانه ويطلب منه ويدعوه أن يريه وجهه في الجنة، فهي إشارة إلى المكان، فالجنة هي مكان الخلد للمؤمنين.

وقوله (عليه السلام) في دعائه على أعداء محمد وآل محمد: **((اللهم دعهما في النار دعًّا، وأركسهما في أليم عقابك ركسا، اللهم احشرهم وأتباعهم إلى جهنم زمراً، اللهم فرق جمعهم وشتت أمرهم، وخالف بين كلمتهم، وبدد جماعتهم، والعن ائمتهم، واقتل قادتهم وسادتهم وكبرائهم، والعن رؤساءهم، واكسر رايتهم والق البأس بينهم، ولا تبق منهم دياراً))**[3]، أشار إلى المكان في الكلمات (دعهما في النار، وكذلك أحشرهم واتباعهم في جهنم، وكذلك ولا تبق منهم دياراً)، فهي إشارات إلى المكان، فالمتكلم يخاطب الله سبحانه ويطلب منه أن يلقي بأعدائه وأعداء الإسلام وأتباعهم في النار وهو مكان عذاب الكافرين، وأن يجعل من جهنم مكان الخلود لهم، وهو جزاؤهم في الآخرة، أمَّا في الحياة الدنيا فيطلب القضاء عليهم وتبديد جمعهم وهدم مساكنهم، فلا تبقى لهم أماكن يسكنون فيها على الأرض، وهذه

---

[1] الصحيفة، ص: ٢٣.

[2] يُنْظر: استراتيجية الخطاب، الشهري، ص: ٨٤.

[3] الصحيفة، ص: ٧٩.

الإشارة المكانية تدل على الانتقام من أعداء الدين وأعداء الأئمة الأطهار (عليهم السلام).

وقوله (عليه السلام) في الإشارة للمكان: **((اللهُم بِحَقِّكَ الْعَظيمِ، وَبِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَبِحَقِّ أَنْبِيَائِكَ وَرُسُلِكَ، وبحق هؤلاء الأئمةِ الْمَعْصُومِينَ، وَبِحَقِّ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَبِحَقِّ مَنْ ناداكَ، وَنَاجَاكَ، وَدَعَاكَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ))**[1]، يحتوي سياق الدعاء على إشارة إلى المكان في قوله: (البر، البحر) بشكل صريح و واضح؛ لأنَّ استعمال إشاريات المكان في غياب الدقة في التحديد عند التلفظ قد يقود إلى اللبس[2]، فيشير الإمام (عليه السلام) بكلمة (البر) إلى جميع الناس التي تعيش على اليابسة في الكرة الأرضية، وبكلمة (البحر) يشير إلى جميع الكائنات الحية التي تعيش في البحار الموجودة على سطح الكرة الأرضية، والغاية من تلك الإشارة المكانية هي الدعاء لله بحق جميع الكائنات التي تدعو وتسبح على الأرض، فيقصد من خلال هذا الدعاء أنَّ كلّ الكائنات الحية على كلّ مكان من الكرة الأرضية تسبّح الله تعالى وتناجيه، فيدعوه بكل من ناجاه ودعاء على الأرض، وهي إشارة مكانية صريحة.

ومن الإشارات المكانية قوله (عليه السلام): **((وَارزُقْنَا حَجَّ بَيْتِكَ الْحَرَامِ، وَزِيَارَةَ النَّبي والأئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلام في عامِنا هذا وفي كل عام، وَاجْعَلْنا في طَاعَتِكَ مُجِدّينَ، وَفي خِدْمَتِكَ رَاغِبينَ، وَقِنَا بِفَضْلِ رَحْمَتِكَ عَذَابَ الْفَقْرِ وَالْقَبْرِ وَالنَّارِ وَسَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَأَهْوَالَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ))**[3]، يشير في سياق الدعاء إلى (الكعبة المشرفة) وهي بيت الله الحرام، وكذلك يشير إلى زيارة مرقد النبي ومراقد الأئمة الأطهار (عليهم السلام) وهي إشارة إلى المكان، إذ يطلب الزيارة إلى المكان

---

[1] الصحيفة، ص: ٣٧.

[2] يُنْظر: استراتيجية الخطاب، الشهري، ص: ٨٥.

[3] الصحيفة، ص: ٣٨.

الذي فيه مراقد الأئمة الأطهار، ومكان الكعبة الشريفة، والقصد وراء هذا الطلب، هو طلب الشفاعة من الله سبحانه والتوسل بالأئمة المعصومين (عليهم السلام)، والتقرب بهم إلى الله سبحانه وتعالى، وقد تُغني بعض الألفاظ عن ذكر المكان، فهناك ألفاظ تستحضر ذهنياً المكان المقصود بمجرد ذكرها، فهو لم يذكر مراقد الأئمة (عليهم السلام) وانَّما ذكر زيارة الأئمة، وهو مكان واضح من سياق الدعاء، وربما أراد الإمام (عليه السلام) من هذا الدعاء إثبات مشروعية زيارة الأموات من الصالحين.

وأشار إلى مكان آخر في الدعاء وهو القبر، فالقبر مكان الأجساد بعد الموت، وقد يكون القبر روضة من رياض الجنة وقد يكون حفرة من حفر النار، فيتعوذ الإمام (عليه السلام) في الدعاء من عذاب القبر، ويطلب من الله تعالى أن يقيه عذاب القبر، وهي إشارة مكانة غرضها التداولي التعوذ بالله من ذلك العذاب المقيم.

وقوله (عليه السلام) عند بدء الطواف في الحجر الأسود: **((اللهم إنّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي يُمْشَىٰ بِهِ عَلَى الْمَاءِ كَمَا يُمْشَى عَلَى جُدَدِ الْأَرْضِ، وَبِاسْمِكَ الْمَخْزُونِ الْمَكْنُونِ عِنْدَكَ وَبِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ الَّذى إِذا دُعيتَ بِهِ أَجَبْتَ، وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أَعْطَيْتَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي، وَتَرْحَمَنِي))**[1]، يشير الإمام (عليه السلام) إلى المكان وهو المشي فوق الماء بقدرة الله تعالى وإرادته، فالله سبحانه صانع المعجزات ومحقق المستحيلات بقوته التي قهر بها كلّ شيء، ولم يحدد الداعي مكان ماء معين محيط أو بحر أو نهر، وإنَّما ذكر الماء فقط، وأنَّ سياق الدعاء يدلّ على أنَّ المشي سوف يكون فوق سطح الماء، فقد تُغني بعض الألفاظ عن ذكر المكان، فهناك الفاظٌ تستحضر ذهنياً المكان المقصود بمجرد ذكرها، فالقيمة التداولية للإشارات المكانية التي جاءت في سياق الدعاء هي الدعاء وسؤال الله سبحانه بأسمائه الحسنى التي إذا دعاه بها عبده أعطاه، لتحقيق طلبه.

---

[1] الصحيفة، ص: ١٠٣.

رابعاً- الإشاريات الاجتماعية

إنَّ العنصر الإشاري المتصل بالعلاقة الاجتماعية يتوزع على تراكيب وألفاظ مختلفة وذلك حسب مكانة المتخاطبين، وما هو رسمي وغير رسمي أثناء عملية التواصل، وأدعية الإمام (عليه السلام) في الصحيفة تشتمل على كليهما، وإن كان يغلب فيها الرسمي؛ لأنَّ الدعاء هو كله لله سبحانه وتعالى ومليء بألفاظ التعظيم والتبجيل لله سبحانه وتعالى، فدعاء المعصوم يدلّ على بيان عظمة الخالق، نلحظ ذلك من خلال توطيده صور وتجليات الحمد والتعظيم والشكر والثناء لله تعالى، ومن ذلك دعاؤه (عليه السلام) لقضاء الحوائج:

((يا صاحبي في شِدَّتي، وَيَا وَلِيي في نِعْمَتِي، ويا الهي وَالهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، يَا رَبَّ كَهيعص وَيَس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ))[1]، يشير الإمام (عليه السلام) إلى الله سبحانه وتعالى في الدعاء، ويذكر بأنَّه مصاحبٌ له في كلّ شدة وهو معه في كل أمر مثل الصديق الذي لا يترك صديقه في شدته ومحنته، فالإمام (عليه السلام) ينقل لنا صورة عن قرب الله تعالى من عباده ومصاحبته لهم في شدائدهم، وهو وصف يبين فيه شدة قرب العبد من خالقه، فيشير إلى الله سبحانه بكلمة (صاحبي)؛ وذلك لقربه من النفس فقد ينزل البعيد والعظيم منزلة القريب لشدة حبه وتعلقه به وقربه من نفسه، وتكمن أهمية هذه الإشارة الاجتماعية فيما تملكه من قيمة تداولية وهي مناداة الله سبحانه والتقرب إليه، لمساندته له في شدته وتولي اتيانه النعم.

ومن الإشاريات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية في الصحيفة قوله (عليه السلام): **((وَإِنْ رَدَدْتَ مَعَ ذَلِكَ سُؤالي، وَخَابَتْ إِلَيْكَ أَمَالِي، فَمَالِك رأى مِنْ مَمْلُوكِهِ ذُنُوباً فَطَرَدَهُ عَنْ بابِهِ، وَسَيِّدٌ رَأَى مِنْ عَبْدِهِ عُيُوباً فَأَعْرَضَ عَنْ جَوَابِهِ))**[2]، احتوى سياق هذه الدعاء على إشارة اجتماعية رسمية وغير رسمية، فأمَّا الرسمية فتمثَّلت في

---

[1] الصحيفة، ص: ٤٠.

[2] الصحيفة، ص: ٢١.

قوله: (مالك، وسيد) فيشير هنا إلى الله سبحانه وتعالى ويصفه بالمالك والسيد، وهي إشارة تعظيم وتبجيل لله سبحانه وتعالى، أمَّا الإشارة غير الرسمية فتمثَّلت في قوله (عليه السلام): (مملوكه، عبده) فهنا يذلل الداعي نفسه ويصغرها أمام عظمة الخالق سبحانه وتعالى، إذ يصف نفسه بالعبد المملوك الذي يطرده سيده لكثرة ذنوبه ومساوئه، والعبد الذي يملك عيوباً كثيرة فيعرض مولاه عن الاستجابة له، وهو من أشرف أنواع التذلل، فهو ذلٌ محمود؛ لأنَّه يكون مع الخالق عزَّ وجلَّ، وهذا الذل عنوان العز والشرف والنصر في الدنيا والآخرة، ولهذه الإشارة الاجتماعية قصد تداولي هو التذلل والخشوع لله سبحانه بغرض استجابة دعائه والتفضل عليه بلطفه وكرمه.

ومن الأدعية التي جاءت فيها الإشاريات الاجتماعية قوله (عليه السلام): **((فَمَسْأَلَتِي لَكَ يَا رَبِّ فِي هَذَا الْمَقَامِ الْمَوْصُوفِ، مَقَامِ الْعَبْدِ الْبَائِسِ الْمَلْهُوفِ أَنْ تَغْفِرَ لي مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِي، وَتَعْصِمَنِي فِي مَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِي))**[1]، تمثّل الإشارة الاجتماعية في سياق الدعاء إلى طبيعة العلاقة التي تربط العبد بسيده، فيصف نفسه بالعبد البائس الملهوف الذي يرجو عطف الله سبحانه وكرمه بمغفرة ذنوبه جميعها، وهي إشارة إلى نفسه بتصغير وخضوع وهي إشارة غير رسمية؛ لأنَّها تمثلت بإذلال النفس وتصغيرها.

والغرض الذي خرجت له الإشارة الاجتماعية غير الرسمية هي التذلل لله وطلب العفو والمغفرة منه سبحانه، كما يطلب من الله تعالى أن يعصمه من ارتكاب الذنوب والمعاصي في المستقبل، فالطلب يجب أن يكون مملوء بالتوسل والتذلل؛ لأنَّه يعد خطاباً صاعداً من الأدنى إلى الأعلى، فيذل العبد موقفه أمام سيده.

وجاءت الإشاريات الاجتماعية في قوله (عليه السلام) في الدعاء لوالديه: **((سَيِّدي وَإِنْ عَرَفْتَ مِنْ عَمَلِي شَيْئاً يَرْفَعُ مِنْ مَقَامِهِمَا، وَيَزِيدُ في إِكْرَامِهِمَا،**

---

[1] الصحيفة، ص: ٢٢.

فَاجْعَلْهُما يُوجِبُهُ حَقَّهُما لَهُمَا، وَأَشْرِكْنِي فِي الرَّحْمَةِ مَعَهُمَا، وَارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً))[1]، يشير الإمام (عليه السلام) في الدعاء إلى الله تعالى إشارة اجتماعية رسمية في قوله (سيدي)، فهي إشارة تعظيم واحترام، وقد تضمَّن سياق الدعاء طلب الكرامة والمقام الرفيع لوالديه، وأن يرحمه معهما، فينجز الداعي فعل الطلب المباشر في الدعاء، إذ تعدّ الأفعال المُنجزة لغوياً أفعالاً اجتماعية؛ لأنَّها تُنْجَز ضمن عملية تفاعل تواصلي وهذا التفاعل يندرج في المقامات الاجتماعية[2]، فالغرض الذي خرجت له الإشارة الاجتماعية في سياق الدعاء، هي طلب الرحمة لوالديه الغريبين، والله تعالى يسمع هذه الدعوة ويرى مقام العبد الداعي، فهناك تواصل بين العبد وخالقه.

وجاء في أدعية الصحيفة التوسل بأهل البيت عليهم السلام للتقرب إلى الله سبحانه في قوله (عليه السلام): **((يَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، يَا سَيِّدَتَنَا وَمَوْلاتَنَا إِنَّا تَوَجَّهْنَا بِكِ إِلَى اللَّهِ، وَتَوَسَّلْنَا بِكِ إِلَى اللَّهِ، وَاسْتَشْفَعْنَا بِكِ إِلَى اللَّهِ وَقَدَّمْنَاكِ بَيْنَ يَدَيْ حَاجَاتِنَا، يَا وَجِيهَةً عِنْدَ اللَّهِ اشْفَعِي لَنَا عِنْدَ اللَّهِ))**[3]، يقدّس الإمام (عليه السلام) في الدعاء الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، وقد أشار في هذا الدعاء إلى الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنت رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله)، فيشير إليها باحترام وتعظيم في قوله (يا سيدتنا)، فيستعمل هنا إشارة اجتماعية رسمية تدل على مكانة مولاتنا الزهراء (عليها السلام) في نفس صاحب الدعاء، وأنَّ القيمة التداولية التي يحملها سياق الدعاء في هذه الإشارة هي التوسل بالمعصوم وطلب التقرب به إلى الله سبحانه لنيل الرضا والشفاعة من الله تعالى.

---

[1] الصحيفة، ص: ٢٢.

[2] يُنْظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الامين، دار الكتب الجديد المتحدة، ط ١، ٢٠٠٨، ص: ١٨١.

[3] الصحيفة، ص: ٣٤.

وقوله (عليه السلام) في تحميد الله تعالى على نعمه وطلب الصبر على مصائبه: **((اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ آمَتِكَ، وَفِي قَبْضَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، تَحْكُمُ فِيمَا تَشَاءُ، وَتَفْعَلُ مَا تُرِيدُ، اللَّهُمْ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى حُسْنِ قَضَائِكَ وَبَلَائِكَ، اللَّهُمَّ هُوَ مَالُكَ وَرِزْقُكَ، وَأَنَا عَبْدُكَ خَوَّلْتَنِي حِينَ رَزَقْتَنِي))**[1]، يشير الداعي إلى نفسه بتذليل وتصغير، فيصف نفسه بالعبد وابن العبد، فهي إشارة غير رسمية للنفس، وحري بالعبد أن يذكر مقامه الذليل أمام عظمة الخالق؛ فهو يزيده فخراً واعتزازاً، كما يسلِّم أمور حياته كلها لله سبحانه وفي يديه يفعل ما يشاء، وأنَّ الغرض التداولي من هذه الإشارة هو التسليم لأمر الله سبحانه والشكر على فضائله ولطفه بعبده الذليل المسكين الذي يحتاج لعطفه ورحمته.

فالإشاريات الاجتماعية تمثِّل عنصراً مهماً في توطيد العلاقات بين البشر بحسب استعمالها اليومي في التواصل، وبحسب مكانة المتخاطبين ونوع العلاقات التي تربطهم، وتكشف لنا العناصر الإشارية الاجتماعية داخل أدعية الصحيفة الرضوية نوع العلاقة القائمة بين المتخاطبين أثناء عملية التواصل، فاختصت العلاقة الرسمية فيها بذات الخالق سبحانه وتعالى وأحالت عليها علامات لغوية مثل كلمات التعظيم والتبجيل لله سبحانه، واشتملت العلاقة غير الرسمية فيه على عبارات تحمل دلالة معينة مثل وصف النفس بعبارات التذليل والخضوع أمام الخالق.

---

[1] الصحيفة، ص: ٨١.

خامساً- الإشاريات الخطابية

لو تفحصنا طبيعة الخطاب في الصحيفة الرضوية، لوجدنا أنَّ المرسل هو الداعي، وأنَّ المرسل إليه هو المدعو وهو الله سبحانه وتعالى، وأنَّ خطاب الدعاء يتجه من الأدنى، المرسل أو الداعي، إلى الأعلى وهو المرسل إليه، أو المدعو، عبر سياق المواقف التي ظهرت في الأدعية، وقد تضمنت أدعية الإمام (عليه السلام) في الصحيفة الرضوية على بعض الإشاريات الخطابية مثل الاستدراك على كلام سابق أو التعقيب على كلام معين ونذكر منها:

من الأدعية المباركة التي اشتملت على إشاريات الخطاب قول الإمام الرضا (عليه السلام) في المناجاة لطلب الفرج: **((فَأَنَا بَرِيءٌ - يا الهي - مِنَ الَّذِينَ بِالتَّشْبِيهِ طَلَبُوكَ لَيْسَ كَمِثْلِكَ شَيْءٌ، وَلَنْ يُدْرِكُوكَ، ظَاهِرُ مَا بِهِمْ مِنْ نِعْمَتِكَ دَلَّهُمْ عَلَيْكَ لَوْعَرَفُوكَ، وَفِي خَلْقِكَ يَا إِلهِي مَنْدُوحَةٌ[1] أَنْ يَتَنَاوَلُوكَ بَلْ شَبَّهُوكَ بِخَلْقِكَ، فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعْرِفُوكَ))**[2]، يحتوي سياق الدعاء على إشارة خطابية، تتمثل في حرف الاستدراك (بل)، فهو يتحدث عن أولئك الكافرين والمنافقين الذين يفترون على الله سبحانه ولم يتفكروا بعظمته وقدرته على الخلق ولم يكتفوا بتشكيكهم ونفاقهم بل بدأوا يشبهوه بما خلق، بالبشر والملائكة سبحانه وتعالى عما يصفون.

كما يشير إلى غرض خطابي آخر في قوله (فمن ثم)، ويعقب بها على كلام سابق، فهم لم يبحثوا عنه فما عرفوه وبقوا جاهلين به وبعظمته، وأنَّهم لو تفكروا بخلقه وعظيم صنعه لما جهلوه، وبهذا نجد أنَّ القيمة التداولية التي تحملها الإشارة

---

[1] مندوحة : السعة أي وفي خلقك سعة لهم إن أرادوا معرفتك بأنَّ يتفكروا فيه فيعرفوك بأفعالك وآياتك من أنْ يتناولوا ذاتك ويتفكروا في حقيقتك وكنهك بل بسبب تفكيرهم في ذاتك سووك بخلقك. يُنْظر: التوحيد، للشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق (ت ٣٨١)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، باب القدرة، ص: ١٢٥.

[2] الصحيفة، ص: ٢٠.

الخطابية هي التبريء من المنافقين الذين يسيئون إلى الله سبحانه وتعالى ويصفوه بأهوائهم، تبارك وتعالى عما يصفون.

وجاءت الإشاريات الخطابية كذلك في قوله (عليه السلام) في المناجاة بثناء الله تعالى مستشفعاً بالنبي وآله لقبول الدعاء: **((وَلَوْ أَنِّي سَلَكْتُ سَبِيلَ الْحَيَاءِ لَخِفْتُ مِنْ مَقَامِ الطَّلَبِ وَالدُّعَاءِ، وَلَكِنِّي يَا رَبِّ لَمَّا سَمِعْتُكَ تُنَادِي الْمُسْرِفِينَ إِلَى بَابِكَ، وَتَعِدُهُمْ بِحُسْنِ إِقَالَتِكَ وَثَوَابِكَ جِئْتُ مُمْتَثِلاً لِلنِّدَاءِ، وَلَائِذاً بِعَوَاطِفِ أَرْحَمِ الرُّحَمَاءِ))**[1]، تظهر في سياق الدعاء الإشاريات الخطابية، ويدل عليها حرف الاستدراك (لكني)، إذ يستدرك بها على كلام سابق بكلام لاحق، فهو يستحي أن يطلب ويدعو من الله سبحانه وتعالى لكنه عندما رأى خالقه يحث على الدعاء، ويقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدعُونِي أَستَجِب لَكُم﴾[2]، فجاء لتلبية النداء وشرع بالدعاء والطلب، وهو ممتثلاً لدعوة الله سبحانه وتعالى، وغرض هذه الإشارة هو بيان لطف الله سبحانه ورأفته ورحمته بالعباد، إذ رغم الجفاء والبعد يقابل الله تعالى عباده باللطف والرحمة والقبول الحسن.

وكذلك قوله (عليه السلام) لدفع شر الأعداء في القنوت: **((وَأَنْتَ اللهُمَّ مُشاهِدُ هَوَاجِسَ النُّفُوسِ، وَمُرَاصِدُ حَرَكَاتِ الْقُلُوبِ، وَمُطالِعُ مَسَرَاتِ السَّرَائِرِ، مِنْ غَيْرِ تَكَلُّف وَلا تَعَسُّفٍ، وَقَدْ تَرَى اللَّهُمَّ مَا لَيْسَ عَنْكَ بِمُنْطَوِي وَلكِنْ حِلْمُكَ أَمَنَ اَهْلَهُ عَلَيْهِ جُرْأَةٌ وَتَمَرُّداً، وَعُتُوا وَعِناداً))**[3]، نستدل على إشاريات الخطاب من حرف الاستدراك (لكن)، إذ يستدرك به المتكلم على كلام سابق، فهنا يقّر المتكلم بقدرة الله سبحانه، وأنَّ الله تعالى يرى كل ما يفعله عباده من معاصي وأفعال سيئة، ولا يخفى عليه شيء من ذلك، ولكنه سبحانه رؤوف بالعباد غفور رحيم، فلا يعجل عليهم العذاب،

---

[1] الصحيفة، ص: ٢٠ – ٢١.

[4] سورة غافر، آية: ٦٠.

[3] الصحيفة، ص: ٤٥.

بل يمهلهم عسى أن يتوبوا ويرجعوا عن ذنوبهم ويستغفروا الله تعالى، فيستدرك خطايا عباده ولا يعاجلهم بالعذاب والعقاب وهذا ما يزيد جرأتهم على المعصية فهم يعتقدون بأنَّ الله سبحانه لا يعذبهم، إلَّا أنَّه يؤخرهم إلى يوم الحساب.

ومن الإشاريات الخطابية أيضاً قول الإمام (عليه السلام) عند الاحرام: **((اللهُمَّ إِنّي أُريدُ ما أَمرَتْ بِهِ مِنَ التَّمَتُّع بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَج عَلَى كتابك وَسُنَّةِ نَبِيّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَإِنْ عَرَضَ لي عارِضٌ يَحْبِسُنِي فَحَلّنِي حَيثُ حَبَسْتَنِي، لِقَدَرِكَ الَّذِي قَدَّرْتَ عَلَيَّ اللَّهُمَّ إِنْ لَمْ تَكُنْ حَجَّةٌ، فَعُمْرَةٌ))**[1]، الحج فريضة من الله تعالى على كل مسلم ومسلمة من استطاع إليه سبيلا، فيذكر لنا الإمام (عليه السلام) هذا الدعاء لمن أراد الحجة والعمرة، والذي لم يقدر على أداء الحجة لوجود عارض ما، فيطلب من الله تعالى أن يرزقه العمرة أي زيارة بيت الله الحرام في غير موسم الحج، ويدل سياق الدعاء على الإشاريات الخطابية في قوله: (إن لم تكن حجة فعمرة)، فيريد أن يطلب من خالقه أن يشرّفه بأحد الأمرين إمَّا حجة أو عمرة، فالغرض التداولي الذي خرجت إليه إشاريات الخطاب هو التخيير بين أمرين فيطلب الداعي من خالقه أن يرزقه حج بيته الحرام، فإذا لم يتشرف بالحج فيريد العمرة بدلاً عنها.

---

[1] الصحيفة، ص: ١٠٠.

المبحث الثالث

الإحالة في الصحيفة الرضوية وعلاقتها بالإشارة

أولاً: مفهوم الإحالة (لغةً واصطلاحاً)

تعددت مفاهيم الإحالة في معاجم اللغة العربية، فقد جاءت في الكثير من المعاجم تدلّ على التحول والعدول من شيء إلى آخر، فجاءت في القاموس المحيط: حالَ الشَّيء وأحالَ: تحوَّل، وأحالَ: أسْلَمَ أي تَحَوَّلَ مِن الكُفرِ إلى الإيمانِ، وكلّ ما تَحوَّلَ أو تَغيَّرَ مِن الاسْتواءِ إلى العِوجِ[1]، وجاءت في المعجم الوسيط: يُقالُ حالَ عَن العَهْدِ: انقَلَبَ، وَحالَت الدّارُ تَغَيَّرت وَدارَت عَلَيها أحوال (سنون)، وحالَ الشَّيء أو الرَّجُل: تَحَوَّل مِن حَالٍ إلى حَالٍ، وَ(حَوَّلَ) الشَّيء: غَيَّره أو نَقَلَه مِن مَكانٍ إلى آخر[2]، فالإحالة في المعاجم اللغوية تدلّ على معان عدة من مادة (حول)، منها: التحول والتغير من حال إلى حال، وكذلك تعني مضي الأيام والسنين فالحول يعني السنة.

والمعنى اللغوي للإحالة يقود إلى المعنى الاصطلاحي، فالإحالة مصطلح قديم، ولكنَّه بمفهوم استعماله والتوسع في دراسته وفي تطبيقاته في علم لغة النصّ، فهو يعد علماً جديداً من هذا الجانب، ويجدر بنا أن نتوقف لمعرفة مفهومها الاصطلاحي إذ يعرِّف (دي بوجراند) الإحالة reference بقوله: هي "العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه هذه العبارات"[3]، فهو يربط الكلمات والعبارات في سياق الكلام بالأشياء الموجودة على أرض الواقع، فهي تنسب الكلمات إلى الأشياء التي يقصدها المتكلم.

---

[1] يُنْظر: القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ص: ٩٨٩.

[2] يُنْظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص: ٢٠٩ – ٢٠٨.

[3] النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ص: ١٤.

ويذكر (جون ليونز John Lyons)[١] المفهوم الدلالي للإحالة بقوله: "إنَّ العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة، فالأسماء تحيل إلى مسميات"[٢]، فالإحالة حسب المفهوم الدلالي تحدد العلاقة بين الأشياء المحال إليها في العالم الخارجي، وبين التعابير التي تستعمل لهذه الإحالة سواء كانت هذه التعابير مكتوبة أم منطوقة.

وعرَّفها من العلماء العرب(نعمان بو قرة) بقوله: "هي علاقة قائمة بين الأسماء والمسميات، فهي تعني العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على لفظة متقدمة عليها"[٣]، أي تنسب الأشياء إلى أسمائها.

ونستدل من هذه التعريفات أنَّ الإحالة هي عبارة عن روابط معنوية بين الألفاظ، وهذه الروابط تشير إلى أشياء أو مواقف أو معانٍ تحيل إليها عبارات أخرى موجودة في سياق الكلام، وتفهم معاني هذه الألفاظ عن طريق معرفة ما يقصده المتكلم، مثل: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وهذه الألفاظ تشير إلى أشياء سابقة أو لاحقة عنتها ألفاظ أخرى أو عبارات أو مواقف[٤]، فالإحالة ترتبط

---

[١] جون ليونز، ٢٣ مايو ١٩٣٢، هو عالم لسانيات إنجليزي، يعمل في مجال السيميائيات بين سنتي ١٩٦٥ و١٩٦٩و أصبح رئيس تحرير جريدة اللسانيات، وبين سنتي ١٩٦٤ و١٩٨٤ عمل أستاذاً للّسانيات بجامعة إدنبرة وجامعة ساسكس، وله كتاب معروف بعنوان مبادئ السيميائيات (بالإنجليزية: Element of semantic). يُنْظر موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، جون ليونز، https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨%AC%D٩%٨٨%D٩%٨٦_%D٩%٨٤%D٩%٨A%D٩%٨٨%D٩%٨٦%D٨%B٢

[٢] نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ص: ١١٦.

[٣] المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، نعمان بوقرة، ص: ٨١.

[٤] يُنْظر: الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي، كلية العلوم – جامعة القاهرة، ص: ١٢ – ١٣.

بقصد المتكلم، وما يحيل إليه من أشياء داخل السياق، تكون إمَّا قبل العنصر الإحالي أو بعده.

ثانياً: الفرق بين الإحالة والإشارة

يرى بعض الباحثين اللغويين أنَّه لا يوجد هنالك فرق بين الإشارة والإحالة بل هما مترادفان، فالإشاريات تحتمل الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وكذلك الإحالة فكل لغة طبيعية تحتوي على عناصر لها خاصية الإحالة، فهي حسب الباحثين (الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقاربة)[١]، ولكن هناك من يرى فروقاً بينهما، ومن هذه الفروق:

١- الإشارة هي علاقة تربط بين تعبير ما وما يشير إليه ذلك التعبير في المناسبات التي يقال فيها والإشارة ترتبط بالقول كذلك، أمَّا الإحالة فهي علاقة تربط بين التعبيرات اللغوية والعالم الخارجي بغض النظر عن السياق، والإحالة ترتبط بالجملة أو التعبير اللغوي بعامة؛ لأنَّ القول مرتبط بالسياق والجملة ليست كذلك، والإشارة نوع واحد من أنواع الإحالة، وأنَّ العلاقة بينهما هي علاقة العام بالخاص، فكلّ إشارة إحالة وليس كلّ إحالة إشارة[٢]، فالإحالة أعم وأوسع من الإشارة، فهي ترتبط بالنص وخارج النص.

٢- إنَّ بعض التعبيرات الدالة على الأشخاص أو على أشياء تحتاج إلى زمان يحددها أو مكان محدد، فالذي يحددها هو الإشارة إلى زمان حدوثها أو مكان الحدث، وتحديد الأشخاص أيضاً من متكلم ومخاطب وما له علاقة بالحدث، وتحديد ذلك يتطلب معرفة الضمائر الدالة على الأشخاص سواء أكانت متصلة أم منفصلة،

---

[٣] يُنْظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩١م، ص: ١٧.

[١] يُنْظر: المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، محمد محمد يوسف علي، دار المدار الإسلامي، بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م، ص: ١٠٣.

وكذلك يتطلب تحديد زمان وقوع الفعل هل هو ماضي أم مضارع أم أمر؟ والبحث عن الكلمات الدالة على الزمان، وكما يتطلب معرفة مكان وقوع الحدث من خلال تحديد المكان الموجود في سياق القول مثل الإشارة هنا، وهناك، وذلك، وذاك، وكذلك الاتجاهات، وهذه كلّها متعلقة بالإشارة وليست من قبيل الإحالة[١]، ونستنتج من ذلك أنَّ كلما ينصّ عليه بطريق التعيين هو من قبيل المشار إليه، وليس من قبيل المحال عليه؛ لأنَّه محدد في سياق خاص، ولا يصلح إلّا لما عيّن له، أمَّا الإحالة فلا تحدد بذلك

كما يرى الأزهر الزنَّاد ذلك في تفريقه بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي في تعريفه لهما، فيرى في تعريف الإشارة: بأنّها "كلّ مكون لا يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره"، أما العنصر الإحالي: فيعرفه بقوله: " العنصر الإحالي هو كلّ مكوّن يحتاج في فهمه إلى مكوّن آخر يفسره "[٢]، فيرى بأنَّ اللفظ المشار إليه يحتاج إلى لفظ دال عليه سواء أكان متكلماً فيشير إليه بضمير صريح أم زمناً يحدده أم مكاناً يعيّنه، فعادة ما يكون لفظاً دالاّ على حدث معين أو ذات معينة، كإحالة ضمير المتكلّم (أنا) على ذات صاحبه، وبذلك يرتبط العنصر الإحالي بعنصرٍ إشاري غير لغوي ممثَّلاً بذات المتكلّم، أو موقع ما في الزمان[٣]، فقد يحيل العنصر الإشاري إلى شخص أو زمن أو مكان معين لم يذكر في الكلام، وإنَّما الإشارة تحيلنا إليه.

أمَّا الإحالة فتكون دلالتها فارغة، فتحتاج للاستعانة بالعناصر الإشارية التي تعوّضها، ويذكر محمد خطّابي أنَّ " العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي

---

[٢] يُنْظر: المصدر السابق، ص: ١٠٤ – ١٠٥.

[٣] نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصا)، الأزهر الزنَّاد، ص: ١١٤.

[١] يُنْظر: الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النَّص القُرآني دراسة وصفية تحليلية، نائل محمد إسماعيل، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد ١٣، العدد١، ٢٠١١م، ص: ١٠٦٤.

بذاتها من حيث التأويل؛ إذ لابدَّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتتوفّر كلّ لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة "[١]، فالإحالة تحتاج للعناصر الإشارية في بيان دلالتها.

٣- فرَّق الأزهر الزنَّاد بين الزمن الإشاري والإحالي فيرى أنَّ الاشارة الزمانية ترتبط بزمان المتكلم وقت التكلم، أي زمان الموقف، فالزمن الإشاري يرتبط بالمقام ارتباطاً مباشراً، فهو زمن يمثِّل نقطة مستقلة الوجود، أمَّا الإحالة الزمانية فهي تحيل إلى زمان آخر يختلف عن زمن التكلم، فهو لا يرتبط مباشرة بزمن المتكلم، وإنَّما يحيل إلى زمان سبق زمن التكلم، ويسمى عادة بالزمن السالف الذي يحيل عليه الزمن الحالي[٢]، فللزمان اختلاف بين الإحالة والإشارة، فزمن الإشارة أقرب للمتكلم من زمن الإحالة، حيث زمن الإحالة يكون بعيداً عن زمن التكلم بعكس الإشارة التي تكون وقت التكلم.

٤- ومن الفروقات بين الإشارة والإحالة، هو أنَّ الاشارة قد تشير إلى مرجع واحد وإن اختلفت الفاظه وتعددت، أمَّا الإحالة فتحيل إلى مراجع مختلفة ولا تتحدد بواحد، ويضرب لنا مثال على ذلك محمد محمد يونس حيث يرى أنَّ العمليات العسكرية التي يشنها الفلسطينيون على الصهاينة يسميها اليهود عملية تخريب وارهاب، أمَّا عند الفلسطينيين فتعد عمليات نضال وجهاد، فظاهر الكلام الإشاري يشير إلى الفعل ومن قام به، أمَّا الإحالة فتحيل إلى أنواع من الفعل سيئة في نظر الخصم وجيدة في نظر المهاجم[٣]، فحتى لو تعددت الإحالات لهذا الفعل في نظر الخصم تبقى الإشارة إلى العمل الثوري الجهادي واحدة، فالإشارة إلى الجهاد تحيل إلى معانٍ عدة في نظر الصهاينة.

---

[٢] لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص: ١٧.

[٣] يُنْظر: نسيج النص بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصا، الازهر الزناد، ص: ٧٥ – ٧٦.

[١] يُنْظر: المعنى وظلال المعنى انظمة الدلالة وفي العربية، محمد محمد يوسف علي، ص: ١٠٦.

ثالثاً: عناصر الإحالة

لا تتشكل الإحالة إلَّا بتضافر مجموعة من العناصر؛ لأنَّه لا يتحقق الترابط في النصوص إلَّا بوجود جملة من العناصر التي تحيل بين أجزاء النصّ وتقومه، ومن هذه العناصر:

١- **المتكلم أو الكاتب (صانع النص):** للمتكلم دور رئيس في الإحالة النصيَّة، فهو يحيل الكلام إلى ما يريد بأدوات الإحالة، كما أنَّ علماء النص تقر بأنَّ "الإحالة عمل إنساني"[١]، فبقصد المتكلم المعنوي تتم الإحالة إلى ما يريد، حيث إنَّ المتكلم يعد العنصر الأساس لعملية التخاطب.

٢- **اللفظ المحيل (العنصر الإحالي):** يتجسد العنصر الإحالي في سياق الخطاب على نوعين (ظاهر ومقدَّر)، فهو إمَّا أن يكون ظاهراً صريحاً في الكلام، أو مقدَّراً مستتراً فيه، كالضمائر وأسماء الإشارة، وهذا العنصر الإحالي يوجهنا أو يحيلنا إلى شيء ما، إمَّا أن يكون هذا الشيء موجوداً في نصّ الكلام ويسمَّى (إحالة داخلية أو نصية)، أي أنَّ ما يشير إليه العنصر المحيل يكون موجوداً داخل النصّ، أو تكون الإحالة إلى شيء غير موجود في سياق الكلام ويجب أن نبحث عليها في العالم الخارجي، وتسمى (الإحالة الخارجية أو المقامية)[٢]، فاللفظ المحيل قد يكون واضحاً وصريحاً في سياق الكلام وقد يكون ضميراً مستتراً يُبحث عنه في خارج الكلام، كما قد يحيل اللفظ إلى مقصد موجود داخل النصّ أو غير موجود يُبحث عنه خارج النص.

٣- **المحال إليه (العنصر الإشاري):** هو الشيء الذي يحيل إليه المتكلم، وهو يكون كما قلنا سابقاً إمَّا موجود في سياق النصّ ويسمى داخلياً (إحالة نصية)، أو يكون

---

[١] النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ص: ١٢٢.

[٢] يُنْظر: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ص : ١٢٠.

خارج النصّ ويسمى خارجياً (إحالة مقامية)، والذي يساعد في معرفتها هو معرفة القارئ أو المستمع بالنص وفهمه للوصول إلى المحال إليه.

٤- **العلاقة بين اللفظ المحيل والمحال إليه:** أهم شيء يجب تَوَفره في عملية الإحالة هي حصول الربط والتطابق بين اللفظ الذي يحيل إلى شيء وبين الشيء الذي يُحال إليه[١]، أي يجب أن يكون هناك ربط بين المحيل وبين الشيء الذي وجهت الإحالة إليه.

وقد وضع (آن روبول و جاك موشلر)[٢] شرطاً لصحة الإحالة ونسبتها إلى الأشياء في الكلام وهو "وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحيل عليه"[٣]، فيجب تطابق ما يقصده المتكلم مع ما يشير إليه، أي يجب استعمال كلمات واضحة للإحالة، لتيسير فهم مقصد المتكلم.

---

[١] يُنْظر: الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي، ص: ١٦.

[٢] جاك موشلر هو أستاذ علم الدلالة والتداولية في قسم اللسانيات بجامعة جنيف في سويسرا، أمَّا آن روبول (زوجته)، فهي باحثة في المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا، وحاصلة عل بدكتوراه في اللسانيات وفي الفلسفة، ولكل منهما مؤلفاتهما الخاصة في علم الدلالة والتداوليات والعلوم المعرفية، ولهما مؤلف مشترك ترجم إلى العربية بعنوان (التداولية اليوم علم جديد في التواصل) وصدر عن المنظمة العربية للترجمة يونيو ٢٠٠٣م. يُنْظر: موقع منديات ليلاس، https://www.liilas.com/vb٣/ .

[٢] لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص:١٧.

رابعاً: أنواع الإحالة في الصحيفة الرضوية:

١. الإحالة المقامية (الخارجية)

هي الألفاظ التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة إلى الشيء الموجود في الخارج، فهي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود خارج سياق الكلام، وتسهم الإحالة المقامية في خلق النصّ بوصفها تربط اللغة بسياق المقام ومنه فهي إحالة خارجية، ويمكن فهم مرجع الإحالة من خلال معرفة سياق الموقف الكلامي، فهو يحتاج إلى النظر خارج سياق الكلام لتحديد المحال إليه، وهذا بالتحديد يكون من المقام أو السياق أو المعارف السابقة، ويرى هاليدي ورقية حسن أنَّ هذه الإحالة تساعد في تكوين النصّ؛ لأنَّها تربط اللغة بسياق الموقف الخارجي، إلّا أنَّها لا تسهم في تماسك النصّ بشكل مباشر، فهي تجسد الترابط بين سياق النص والموقف والخارجي[١]، لأنَّها تلزم القارئ أو المستمع بالالتفات خارج النص للتعرف على العنصر المحال إليه، فهي تتضمن بعد تداولي في البحث عن الوجهة التي يريدها المتكلم والتي يحيل الكلام إليها.

ومن أمثلة ذلك في الصحيفة الرضوية دعاء الإمام (عليه السلام) عند دخول المسجد الحرام والنظر إلى البيت والوقوف عند الحجر الأسود: ((**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**))[٢]، يشير الإمام (عليه السلام) في الضمير (هذا) بقوله (لهذا) ولا يوجد ما يشير إليه في سياق الدعاء، فلا نعرف إلى أي شيء يحيل اسم الإشارة في سياق الكلام؛ لذلك يجب علينا أن ننظر خارج سياق الدعاء لنعرف الشيء الذي يحيل إليه والذي هداهم له الله سبحانه، فنعرف من عنوان

---

[١] يُنْظر: استراتيجية الخطاب عند الإمام علي (عليه السلام) مقاربة تداولية، باسم خيري خضير، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة، العراق – كربلاء، ط١، ٢٠١٧م، ص: ١٩١.

[٢] الصحيفة، ص: ١٠٢.

الدعاء أنَّه الحج، فهو يحمد الله سبحانه على حصوله على الحجة وتشرفه بدخوله المسجد الحرام، فتعد هذه الإحالة خارجية أو مقامية؛ لأنَّها أحالت الكلام إلى ما هو موجود خارج النصّ ولم يذكر في داخل نصّ الدعاء، وقد تكون الإشارة إلى الحجر الأسود لأنه بالعودة والنظر إلى عنوان الدعاء نجد أنَّ الإمام (عليه السلام) يُذكر هذا الدعاء عند الحجر الأسود من الكعبة الشريفة، وفي الحالتين تكون الإحالة مقامية؛ لأنَّ المحال إليه لم يذكر في نص الدعاء

وكذلك قول الإمام (عليه السلام) في المناجاة لطلب الفرج: **((الهي بَدَتْ قُدْرَتُكَ وَلَمْ تَبْدُ هَيْئَةٌ لَكَ، فَجَهِلُوكَ، وَقَدَّرُوكَ والتَّقْدِيرُ عَلَى غَيْرِ مَا بِهِ شَبْهُوكَ فَأَنَا بَرِيءٌ – يا الهي – مِنَ الَّذِينَ بِالتَّشْبِيهِ طَلَبُوكَ))**[1]، جاء هنا الضمير المتصل الدال على جماعة المتكلمين (الواو) وهو يشير إلى أشخاص معينين لم نجد لهم ذكر في سياق الدعاء، فيجب علينا أن نبحث عن ما تحيل إليه هذه الواو في خارج نصّ الدعاء، فنرى أنَّ الإمام (عليه السلام) هنا يشير إلى الذين يجهلون وجود الله سبحانه ويشبهونه بأشياء تجلى الله تعالى عنها، فيرد هنا الإمام (عليه السلام) على هذه الأفعال التي يقوم بها فرقة من المسلمين، فقد دلَّنا عليهم سياق الدعاء، وهي تعد إحالة خارجية؛ لأنَّها أحالت الضمير المتصل (واو الجماعة) إلى الفرقة المشبهة والمجسمة لله تعالى التي لم يرد لها ذكر في سياق الدعاء، بل ذكر بعض صفاتهم وهذا ما دلنا عليهم.

وكذلك قوله (عليه السلام) في دعاءه لولده المهدي (عليه السلام): **((اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ الْقَائِمَ الْمُنْتَظَرَ، وَالْإِمَامَ الَّذِي بِهِ تَنْتَصِرُ، وَأَيِّدَهُ بِنَصْرِ عزيز، وَفَتْح قريبٍ، وَوَرِّثْهُ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا اللَّاتِي بَارَكْتَ فيها، وأحي به سُنَّةَ نَبِيِّكَ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، حَتَّى لا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ وَقَوْ نَاصِرَهُ**

[1] الصحيفة، ص: ٢٠.

وَاخْذُلْ خَاذِلَهُ وَدَمْدِمْ عَلَى مَنْ نَصَبَ لَهُ، وَدَمِّرْ عَلَى مَنْ غَشَهُ))[1]، جاء الضمير المتصل (الهاء) ليدل على شخص لم يذكر بشكل صريح في سياق الدعاء، وإنَّما ذُكرت بعض الحقائق التي ترتبط به مثل (القائم المنتظر، والإمام، وبه تنتصر، وورثه مشارق الأرض ومغاربها)، وهذه الصفات تنسب فقط إلى الإمام المهدي (عليه السلام)، فهو المنتظر والإمام الذي تنتصر به شيعة أهل البيت (عليهم السلام)، والذي يسكن الأرض ويعمرها، فهنا يحيل الضمير إلى ما هو موجود خارج النصّ ولم يذكر في نصّ الدعاء، فوجدنا المحال إليه من تحليل السياق.

٢ – الإحالة النصية (الداخلية):

ويطلق عليها أيضاً الإحالة داخل اللغة أو المقالية، وتتمثل في إحالة لفظة على لفظة أخرى سابقة أو لاحقة داخل النصّ، أي أنَّها تركز على العلاقات اللغوية في النصّ نفسه وقد تكون بين ضمير وكلمة أو كلمة وكلمة أو إشارة وكلمة ... [2]، فهي إحالة إلى شيء موجود داخل النص فتسمى أيضاً إحالة داخلية، هذا يعني أنَّ المحال والمحال إليه موجودان معاً داخل النصّ، وتنقسم الإحالة الى قسمين[3]:

أ- الإحالة القبلية:

هي استعمال كلمة أو عبارة تحيل هذه الكلمة إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة لها مذكورة في سياق النصّ، فهي توجه القارئ أو المستمع إلى العودة إلى

---

[1] الصحيفة، ص: ٧٣.

[2] يُنْظر: نسيج النص بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، ص: ١١٨.

[3] يُنْظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ص: ١٠٤– ١٠٥.

سياق النص والبحث فيه ليتسنى له فهم النص[١]، فالمحال إليه يتقدم على المحال، وهما معاً موجودان في سياق النصّ، وقد جاء هذا النوع من الإحالة كثيراً في أدعية الإمام (عليه السلام) في الصحيفة، ومن أمثلة ذلك:

قول الإمام (عليه السلام) في الاستسقاء بعد الحمد والثناء لله تعالى: **((اللهُمَّ يَا رَبِّ أَنْتَ عَظَّمْتَ حَقَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَتَوَسَّلُوا بِنَا كَمَا اَمَرْتَ وَاَمَّلُوا فَضْلَكَ وَرَحْمَتَكَ، وَتَوَقَّعُوا إِحْسَانَكَ وَنِعْمَتَكَ))**[٢]، جاء الاسم المحال إليه قبل ضمير الإحالة، فالاسم المحال إليه (اللهم ، يا رب) والمحيل هو الضمائر الدالة عليه وهي (أنت، والتاء في أمرت، والكاف في فضلك ورحمتك وإحسانك ونعمتك)، وكلّها ضمائر تدلّ على الله سبحانه وتعالى الذي ذكر صريحاً قبلها، فهي إحالة قبلية؛ لأنَّ المحال إلية ذكر قبل المحال، والمعنى أنَّ الله سبحانه أعطى لأهل البيت عليهم السلام مكانة وكرامات، فمن يتقرب بهم إلى الله سبحانه لا يرده خائباً بقربهم إلى الله سبحانه ومحبتهم.

وكذلك قول الإمام (عليه السلام) عند الافطار: **((اللَّهُمَّ لَكَ صُمْنَا بِتَوْفِيقِكَ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْنَا بِأَمْرِكَ، فَتَقَبَّلْهُ مِنَّا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))**[٣]، يذكر الاسم المحال إليه في بداية الدعاء ثم يذكر الضمائر التي تحيل إليه، فالمحال إليه في هذا الدعاء هو الله سبحانه وتعالى في قوله (اللهم) أي ينادي (يا الله)، وضمائر الإحالة هي (الكاف في لك، وتوفيقك، ورزقك، وبأمرك، وإنك، والضمير المنفصل أنت)، فالمحال إليه أتى قبل المحيل؛ لذلك تسمى إحالة قبلية، وتضمَّن الدعاء الطلب من الله سبحانه قبول طاعاتنا والمغفرة والرحمة في شهر رمضان شهر الطاعة والغفران.

---

[١] يُنْظر: الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه (عيون البصائر) أنموذجاً، للأستاذة مشري أمال، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد ٣٦، ص: ٧١.

[٢] الصحيفة، ص: ٢٥.

[٣] الصحيفة، ص: ٥٩.

وقوله (عليه السلام) في أول يوم من شهر المحرّم: **((اللَّهُمَّ أَنْتَ الْإِلهُ القَدِيمُ، وهَذِهِ سَنَةٌ جَدِيدَةٌ، فَأَسْأَلُكَ فِيهَا الْعِصْمَةَ))**[1]، يذكر المحال إليه في بداية الدعاء وهو (إلهي)، ثم يلحقه الضمير المنفصل الذي يحيل إليه (أنت)، وكما ذكر كذلك المحال إليه في قوله (الإله)، وأحال إليها بضمير الإحالة (الكاف في فأسألك)، فهو يحيل لاحق على سابق فتسمى بالإحالة القبلية، ويطلب المتكلم في سياق الدعاء الحفظ في السنة الجديدة وأن يعصمنا من الذنوب والخطايا.

وقوله (عليه السلام) في الدعاء بعد صلاة النبي (ص): **((لا إلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ وَحْدَهُ، اَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَيُمِيتُ وَيُحْيِي بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))**[2]، توجد الإحالة في سياق الدعاء، حيث يوجد الضمير المحيل والاسم المحال إليه، وقد تقدم الاسم المحال إليه على ضمير الإحالة وبذلك تسمى الإحالة قبلية، والاسم المحال إليه في الدعاء هو (الله) سبحانه وتعالى، والضمير المحيل هو (فله، وله، وهو)، فالداعي يحمد الله سبحانه على قدرته التي غلب بها كلّ شيء، ويقرّ بوحدانية الله تعالى، كما لا ينسى فضله على رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) بنصرته وهزم رؤوس الشرك والضلال به، فالله سبحانه قادر على كل شيء، فالذي يقصد الإمام الرضا (عليه السلام) من هذا الدعاء هو بيان قدرة الله الواحد الأحد.

وأيضاً قوله (عليه السلام) في دعاءه لولده المهدي: **((اللَّهُمَّ وَشُرَكَاؤُهُ فِي أَمْرِهِ، وَمُعَاوِنُوهُ عَلَى طَاعَتِكَ الَّذِينَ جَعَلْتَهُمْ حِصْنَهُ وَسِلَاحَهُ، وَمَفْزَعَهُ وَأَنْسَهُ الَّذِينَ سَلَوْا عَنِ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ وَتَخافُوا الْوَطَنَ، وَعَطَلُوا الْوَثِيرَ مِنَ الْمِهَادِ))**[3]، وفي هذا الدعاء أيضاً توجد إحالة نصية داخلية تحيل إلى متقدم وتسمى إحالة قبلية، فالاسم المتقدم

---

[1] الصحيفة، ص: ٦٠.

[2] الصحيفة، ص: ٦٤.

[3] الصحيفة، ص: ٧٦.

المحال إليه هو (شركاؤه)، ويحيل إليه بالكلمات (الذين، وسلوا، وتجافوا، وعطلوا)، فيشير إليهم بالاسم الموصول (الذين)، وكذلك بـ(واو الجماعة)، ويقصد شركاء الإمام المنتظر (عليه السلام) الذين يضحون بكل شيء من أجله، فيدعو إليهم الإمام الرضا (عليه السلام) لأنَّهم سيكونون سلاح الإمام المهدي ويده اليمين التي يرد بهم على أعدائه وأعداء الدين الإسلامي، كما نجد إحالة قبلية في هذا الدعاء وهي الإحالة إلى الإمام المهدي (عليه السلام).

وكذلك جاءت الإحالة القبلية في قوله (عليه السلام) في قنوت الوتر: ((**اللهُمَّ الْعَنِ الظُّلَمَةَ وَالظَّالِمِينَ الَّذِينَ بَدَّلُوا دِينَكَ، وَحَرَّفُوا كِتَابَكَ وَغَيَّرُوا سُنَّةَ نَبِيِّكَ، وَدَرَسُوا الأثارَ، وَظَلَمُوا عَلَى أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ وَقَاتَلُوا، وَتَعَدّوا عَلَيْهِمْ، وَغَصَبُوا حَقَّهُمْ، وَنَفَوْهُمْ عَنْ بُلْدَانِهِمْ**))[1]، توجد في سياق الدعاء إحالة قبلية حيث يحيل بالاسم الموصول (الذين)، وكذلك بالضمير المتصل (واو الجماعة) في الكلمات (بدلوا، وحرفوا، وغيروا، ودرسوا، وظلموا)، إلى المحال إليه وهو (الظلمة والظالمين)، المتقدم ذكرهم في بداية الدعاء، وكذلك توجد إحالة أخرى في الدعاء وهو أن المحال إليه هم (أهل بيت النبي) عليهم السلام، والمحيل إليهم هو الضمير المتصل في الكلمات (عليهم، حقهم، نفوهم، بلدانهم)، وجاء المحال إليه قبل المحيل فسميت الإحالة قبلية، وقصد الدعاء هو طلب اللعنة على الظالمين.

ب – الإحالة البعدية:

وهي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى تستعمل لاحقاً في النصّ أو المحادثة، فيشير المحال إلى شيء موجود في سياق النصّ لكنَّه متأخر عليها أي يأتي بعده فتسمى بذلك الإحالة بعدية[2]، ومن الأمثلة على هذا النوع من الإحالة في الصحيفة الرضوية:

---

[1] الصحيفة، ص: ٩١.

[2] يُنْظر: نسيج النص بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، ص: ١١٨.

قوله (عليه السلام) في طلب الفرج متوسلاً بأسماء الله تعالى: ((**اللَّهُمَّ بِحَقِّ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنى، وَالْكَلِمَاتِ الْعُلْيَا**))[1]، جاء في سياق الدعاء اسم الإشارة (هذه) لتحيل على متقدم لها وهو (الأسماء الحسنى)، فجاء المحال إليه بعد الاسم المحيل فسمّيت هذه الإحالة بالإحالة البعدية، ومعنى الدعاء هو التوسل بالله سبحانه بأسمائه الحسنى وبكلماته التامات؛ لطلب الفرج من الشدائد، فيحث الإمام (عليه السلام) في الدعاء على التوسل بأسماء الله الحسنى، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[2].

وكذلك قوله (عليه السلام): ((**وَارزُقْنَا حَجَّ بَيْتِكَ الْحَرَامِ، وَزِيَارَةَ النَّبي والأئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلام في عامِنا هذا وفي كل عام، وَاجْعَلْنا في طَاعَتِكَ مُجِدِّينَ، وَفي خِدْمَتِكَ رَاغِبِينَ، وَقِنَا بِفَضْلِ رَحْمَتِكَ عَذَابَ الْفَقْرِ وَالْقَبْرِ وَالنَّارِ وَسَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَأَهْوَالَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ**))[3]، يذكر الضمير المحيل بعد المحال إليه، فتسمى بذلك الإحالة بعدية، والضمير المحيل الذي تقدم جاء متصلاً في الكلمات (بيتك، طاعتك، خدمتك، رحمتك) فيحيل بالضمير المتصل (الكاف) إلى متأخر عليه وهو الله تعالى فيشير إليه بصفاته العظمى وهي (أرحم الراحمين)، والقصد الذي خرج له هذا الدعاء هو الطلب أن يكتب لنا الله سبحانه حج بيته الحرام والتشرف بزيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة عليهم السلام، وكذلك طلب الرحمة والمغفرة منه سبحانه.

وجاءت الإحالة البعدية أيضاً في قوله (عليه السلام) في قنوت الوتر: ((**اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُمْ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُمْ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُمْ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَ عِبَادَكَ**

---

[1] الصحيفة، ص: ٣٣.

[2] سورة الأعراف، آية: ١٨٠.

[3] الصحيفة، ص: ٣٨.

الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارَ الْأَنْقِيَاءَ الْبَرَرَةَ))[1]، يدعو الإمام (عليه السلام) في سياق الدعاء إلى عباد الله الصالحين الذين اصطفاهم الله سبحانه على سائر عباده، وقد أشار إليهم في بداية الدعاء بضمير الجمع (هم) في الكلمات (والاهم، وعاداهم، ونصرهم)، ثم بعد ذلك يذكرهم بشكل صريح بقوله (المصطفين الأخيار) فتأخر المحال إليه على المحيل أو جاء بعده فسميت الإحالة في هذا الدعاء إحالة بعدية.

وكذلك جاء في الدعاء قوله (عليه السلام) في قنوت الوتر: **((وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصَّرَاطِ، وَاتِنَا مَا سَأَلْنَا وَمَا لَمْ نَسْأَلْكَ، وَزِدْنَا مِنْ فَضْلِكَ، إِنَّكَ أَنْتَ الْمَنَّانُ يا اللهُ))**[2]، الغرض من الدعاء هو طلب الهداية والإرشاد إلى الطريق السوي الذي فيه نجاتنا، وطلب إعطائنا ما لم نطلبه بألسنتنا، فالله سبحانه يعلم حوائج الناس وما تخفيه صدورهم، وقد احتوى نص هذا الدعاء على إحالة نصية متكونة من محال وهو الضمير المتصل (الكاف) في الكلمات (نسألك، وفضلك، وإنك)، وكذلك يحيل بالضمير المنفصل (أنت) والمحال إليه وهو (الله) سبحانه وتعالى وقد تأخر المحال إليه فجاء بعد المحال؛ لذلك سمي هذا النوع من الإحالة بعدية.

---

[1] الصحيفة، ص: ٨٩.

[2] الصحيفة، ص: ٩٣.

الفصل الثّاني

أفعال الكلام والمقاصد في الصحيفة الرضوية

المبحث الأوّل : نظرية أفعال الكلام

المبحث الثاني : أفعال الكلام في الصحيفة الرضوية

المبحث الثالث : المقاصد في الصحيفة الرضوية وعلاقتها بنظرية أفعال الكلام

المبحث الأول

نظرية أفعال الكلام

أولاً: نشأة النظرية ومفهومها

إنَّ فَهم العالم والوجود يتطلب منَّا فهماً للغة، فهي الوسيلة التي نعبّر بها عن مكنوناتنا وأفكارنا ومقاصدنا، وحتّى نفهم العالم الخارجي لابدّ من فهم لغة الخطاب المتداولة والمستعملة في الحياة اليومية، وقد وجدنا جذوراً لدراسة هذه اللغة قديماً عند فلاسفة اللغة، في الفلسفة التحليلية التي درست في أحد جوانبها فلسفة اللغة العادية، وكان رائدها (فتجنشتاين wittgenstein)، وهذه الفلسفة نشأت بين أحضانها نظرية الأفعال الكلامية[١]، وقد ولدت هذه النظرية من رحم الفلسفة والمنطق، وهي مدينة بالولاء بشكل خاص لآراء (فتجنشتاين)، إذ يرى أنَّ مشاكل الفلسفة كلّها تحلّ باللغة فهو يعتقد أنَّ مشكلات الفلسفة سببها سوء فهمهم للغة[٢]، فبدأ الاهتمام باللغة المتداولة وبيان مقاصدها لتيسير فهم الفلسفة وتمكين الفلاسفة من إيصال آرائهم وأفكارهم للناس بسهولة.

إنَّ المنطلق في الفلسفة التحليلية هو اللغة العادية، ولكن الحذر مطلوب كما يقول الدكتور الزواوي بغورة في اللغة العادية؛ لأنّها محملة بالأحكام المسبقة، وبالأخطاء والأوهام، وهي تعد معدلة بالمبالغة، وقد أصبحت اللغة عند فتجنشتاين عبارة عن (ألعاب)، والتي يسميها الدارسون العرب استراتيجيات الخطاب، وإنّ عدم الانتباه إلى قواعد الألعاب للغوية يؤدي إلى سوء استخدام اللغة، فهو يعد اللعبة

---

[١] يُنْظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص: ٢٢.

[٢] يُنْظر: المصدر السابق، ص: ٢٣.

تتضمن القواعد تماماً مثل اللغة[١]، فبيّن فتجنشتاين أنّ اللغة قد تستخدم لوصف العالم من حولنا، واللغة تعتمد على الموقف الذي تستعمل فيه، كما تعتمد على حال المتكلم وموقفه الذي يصدر فيه الأحكام والقرارات، وهذه تعد ضوابط تحكم اللغة كما أنَّ الألعاب تحكمها ضوابط وقوانين تمثلها.

فاللغة عند فتجنشتاين هي الطريق إلى المعرفة، باعتبار أنَّ اللغة وسيلة لفهم تكوين المعنى في الخطاب، وأنّ السمة الأساسية لمنهجه الفلسفي هو "البدء ببحث في (منطق اللغة)، ويعني به دراسة النماذج المختلفة لتراكيب العبارات لتمييز نماذج الوقائع التي تدل عليها وبحث في الاستخدام العادي للألفاظ في حياتنا اليومية، فذلك يحدد معانيها الحقيقية"[٢]، فهو يدرس اللغة في استعمالها العادي؛ ليتسنى له فهم المعنى الحقيقي وراءها.

"ولكن تراث فتجنشتاين لم يكتسب مكانته الحقيقية إلَّا بعدما تبناه فلاسفة مدرسة أكسفورد، ولا سيما ج. ل. أوستين، وقد بدا أثر فتغنشتاين واضحاً على أوستين في كتابه (عندما يكون القول هو الفعل) وتلميذه ج. سيرل في استلهامه لبعض أفكار هذا الفيلسوف، واتخاذها معاييرَ وأسساً في دراسة القوى المتضمنة في القول"[٣]، إذ تبنى أوستين في دراسته أفكار فتجنشتاين ثم تبعه تلميذه سيرل.

إنّ فلاسفة مدرسة أوكسفورد كرَّسوا جهدهم لدراسات في غاية الاستقصاء والتعميق والتدقيق في اللغة الاعتيادية أو الطبيعية، وهم يأملون من جراء هذه

---

[١] يُنْظر: نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة دراسة تداولية، محمد مدور، مجلة الواحات والبحوث والدراسات، العدد١٦، ٢٠١٢م. –http://elwahat.univ ghardaiadz، ص: ٥٥.

[٢] مناهج البحث الفلسفي، الدكتور محمود زيدان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤م، ص: ١١٥.

[٣] التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني، مسعود صحراوي، دار الطليعة _ بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص: ٢٣-٢٤.

الدراسات أنْ تكتشف الثروات الدفينة للغة وأن تلقي الضوء على تمييزات ليست لدينا عنها معرفة واضحة، وذلك بوصف الوظائف العديدة لكل أنواع التعبيرات اللغوية، إذ قاموا بتحديد وظائف اللغة بتعبيراتها المختلفة، فهم في أغلب الأحيان يدرسون تعبيرين أو ثلاثة تبدو في الظاهر مترادفات، ثم يبرهنون على أنّه لا يمكن استخدامها بدون تفرقة؛ فيقومون بتفحص سياقات الاستعمال ويسعون إلى إيضاح المبدأ الذي يهيمن على الاختيار، فروّاد هذه المدرسة يتعمقون بدراسة المعنى بحسب موضعه من السياق[١]، أي دراسة اللغة المستعملة وما تؤدي إليه من دلالات داخل الخطاب، تسعى من خلالها إلى إنجاز أفعال على أرض الواقع.

فقد استمد فلاسفة هذه المدرسة نظريتهم في المعنى من فتجنشتاين "في أنَّ الكلمات ذوات طرق مختلفة في المعنى، وأنَّ معنى أية كلمة يتوقف دائما على السياق الذي تستعمل فيه"[٢]، فهم درسوا معنى اللغة الطبيعية المستعملة في السياقات المختلفة وقد وضعوا حجر الأساس لظهور نظرية أفعال الكلام.

وهناك تعريفات عدة للفعل الكلامي، فالعديد من العلماء والفلاسفة الغرب والعرب قاموا بإعطاء تعريف لهذه النظرية، فمنهم من يرى أنَّها أحد المفاهيم الأساسية في اللسانيات التداولية، وتدعى أيضاً فعل الخطاب، والمقصود بها "الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلاً بعينه (أمر، طلب، تصريح، وعد...) وغايته تغيير حال المتخاطبين، إنَّ المتلفظ المشارك لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلاَّ إذا اعترف بالطابع القصدي لفعل المتلفظ"[٣]، فالفعل الكلامي في هذا التعريف يفهم من خلال فهم قصد المتكلمين أثناء تلفظهم للكلام.

---

[١] يُنْظر: اللغة والمنطق في الدراسات الحالية، عبد الرحمن بدوي، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد١، ١٩٧١م، ص: ٧٣.

[٢] المصدر السابق، ص: ٧٣.

[٣] المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومنيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٨م، ص: ٧.

أمَّا (فان ديك) فقد عدَّ الفعل الكلامي حدثاً فونولوجياً، مورفولوجياً نحوياً دلالياً تحدده صيغة منطوقاتنا، إذ يقول في هذا السياق: "تعد الأفعال الكلامية في الواقع وفق وصف مفهوم الحدث أحداثاً... فمن خلال إنتاج الأصوات نقوم في الوقت ذاته بأحداث فونولوجية ومورفولوجية نحوية مركبة... ونحصل أيضاً على حدث ذي نظام أعلى، نقيمه من خلال إنجاز الحدث الكلامي، وهو حدث معنوي أو حدث دلالي"[1]، فإنَّ الفعل الكلامي – حسب رأي فان دايك – هو حدث دلالي مركب ينتج من خلال أحداث (نحوية وصرفية وصوتية) تحدد الفعل الكلامي وتبينه وتوضحه.

ومن علماء العرب الذين جاءوا بتعريف لنظرية أفعال الكلام الدكتور مسعود صحراوي إذ يقول: "ما يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة مثل: (الأمر والنهي والوعد والسؤال والتعيين والاقالة والتعزية والتهنئة...) فهذه كلها أفعال كلامية"[2]، فقد عدَّ صحراوي الفعل الكلامي إنجازاً لفعل معين بمجرد النطق بهذا الفعل، وله ملفوظات معينة كالأمر والاستفهام والطلب ...الخ.

وإنَّ ما نستنتجه من هذه التعريفات هو أنَّ الأفعال الكلامية هي ملفوظات إنشائية وخبرية تأثيرية تكون على شكل أقوال تنجز أفعالاً تسعى إلى تحقيق أغراض وغايات تؤثر في المتلقي وتغير من حالة الأشياء في الكون، ولكن عند دراسة أفعال الكلام وتطبيقها على الدعاء المقدس لا نعلم مدى التأثير والاستجابة لأن المتكلم هو الإمام الرضا (عليه السلام) والمخاطب هو الله سبحانه وتعالى، ولكن ما يجعلنا نتأمل لهذا التأثير والاستجابة هو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[3]، فيتأمل الداعي أن تكون هنالك استجابة وتأثير.

---

[1] علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، تون فان ديك، ترجمة: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، جمهورية مصر العربية، ط١، ٢٠٠١م، ص:١٣٠ _١٣١.

[2] التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص: ١٠.

[3] سورة غافر:٦٠.

ثانياً: نظرية أفعال الكلام من منظور أوستين

إنَّ نظرية الفعل الكلامي من أهم محاور التداولية، وتعد الأساس الجوهري الذي انبنى عليه الاتجاه التداولي، وتبدأ هذه النظرية مع الفيلسوف واللغوي الانكليزي (أوستين)، عندما ألقى محاضراته في جامعة (هارفرد) الأمريكية في عام ١٩٥٥م، والتي نشرها أحد طلابه بعد وفاته عام ١٩٦٢م، حيث قام بطباعتها على شكل كتاب وأسماه (كيف ننجز الأشياء بالكلمات How to do things with words)[١]، فالمحيي لهذه النظرية ومخرجها للوجود التداولي هو الفيلسوف أوستين بنظريته هذه بعد أن كانت مهملة خاملة لا حياة لها.

وكانت غاية أوستين في هذه المحاضرات هي تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة، ولم يكن يسعى إلى تأسيس اختصاص فرعي للسانيات، لكن هذه المحاضرات وكتابه (كيف ننجز الأشياء بالكلمات) ١٩٦٢م، كان لهما شأن كبير في ظهور التداولية وتطورها بوصفها نظرية قائمة بذاتها[٢]، إذ بدأ أوستين كتابه بمعارضة أطروحة فلاسفة اللغة الوضعيين، وأسماها بـ(المغالطة الوصفية) التي ضيقت – في رأيه – المجالات الواسعة للغة بحبسها في مجال الوصف[٣]، ويسميها أحياناً (المغالطة الخبرية) ويقصد بها "أنَّ اللغة أو المقولات التي يتداولها مستعملو اللغة شفاهاً وكتابةً لا تستعمل سوى لوصف حالة معينة أو للتصريح بحقيقة معينة

---

[١] يُنْظر: نظرية الفعل الكلامي (بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي)، هشام عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ــ لبنان، ط١، ٢٠٠٧م، ص: ٣٩.

[٢] يُنْظر: التداولية عند علماء الأصول الشوكاني أنموذجاً، إعداد الطالبين بهلول اليزيد وبن عبد العزيز فرحات، جامعة عبد الرحمن ميرة ــ بجاية، كلية الآداب واللغات ــ الجزائر، ٢٠١٧م، ص: ١٧.

[٣] يُنْظر: التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، صلاح اسماعيل عبد الحق، دار التنوير للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٣م، ص: ١٣٦.

وهذا الوصف والتصريح يجب أن يكون إمَّا صادقاً أو كاذباً"[١]، فالمغالطة متمثِّلة بالتصديق أو التكذيب، أي أنَّ الكلام الإخباري يجب أن يكون محتملاً للتصديق أو التكذيب من قبل المتلقي أو المستمع.

فقد ميّز فلاسفة اللغة بين الجمل الوصفية (الخبرية) التي تخضع لمعيار الصدق والكذب، وفقاً لمطابقتها أو مخالفتها للواقع الخارجي، وهي الجمل الأساسية التي تستحق الدراسة والتحليل، في مقابل الجمل غير الوصفية (الانشائية أو الذاتية)، وهي الجمل الهامشية وتعد من قبيل الجمل التي ليس لها معنى؛ لأنَّها لا تطابق واقعاً خارجياً أو تخالفه، وخلافاً لهذا الطرح فقد ميَّز أوستين في البداية بين الجمل الوصفية (Constative) التي تخضع لمعيار الصدق والكذب والجمل الإنجازية التي لا تخضع لمعيار الصدق والكذب، وهي في الوقت نفسه تنجز أفعالاً بمجرد التلفظ بها[٢]، إذ تناول الفرق بين الجمل الوصفية والجمل الإنشائية ومدى تأثيرهما في الكلام الطبيعي المتداول.

ثم تراجع أوستين عن فكرة امكانية التمييز بين ما هو خبري وما هو إنشائي، فيرى أنَّ في اللغة من الأقوال ما لا يخضع لمعيار الصدق والكذب مثل قولنا: "أتمنى لكم سفراً ممتعاً"، فهو يرى أنَّ هذا القول لا يخضع لهذه القاعدة، وإنَّما هو قول قابل للتحقق أو غير قابل للتحقق، وبدأ أوستين بتحليل طائفة من الأمثلة، وخرج بنتيجة هي أنَّ بعض الأقوال ليست مجرد وصف لأحوال أو تقريراً عن وضعية، بل قد يصاحبها عمل فتجمع بين القول والفعل في وقت واحد، فيحصل العمل مع التلفظ بالقول في الوقت نفسه، وبناءً على هذا ميز أوستين بين نوعين من أفعال الكلام

---

[١] نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والاسلامي، هشام عبد الله الخليفة، ص: ٤٠.

[٢] يُنْظر: التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ اسماعيلي علوي، ص: ٩١.

وهي: الأفعال التقريرية، والأفعال الإنشائية[١]، ثم أنهى أوستين هذه المرحلة في تقسيم أفعال الكلام إلى[٢]:

- **الأفعال الوصفية أو الاخبارية:** وهي أفعال تخبر عن وقائع العالم الخارجي، فهي تصف حدثاً أو حالة معينة لشيء أو لشخص دون فعل، فهي لا تتجاوز القول إلى الفعل، وهي تخضع لمعيار الصدق والكذب حسب مطابقتها لما تصف، وقد أسماها النحاة العرب (الأساليب الخبرية)، ومن خصائصها أنَّها تصف حالة الأشياء في الكون التي تسبق التلفظ، بحيث لا يرتهن وجود هذه الحالة بالتلفظ[٣].

- **الأفعال الإنجازية أو الأدائية:** هي أفعال تنجز قولاً وفعلاً في الوقت نفسه، وهي تخضع لمعيار النجاح والفشل حسب موافقتها لشروط إنجازها، كما لا تتوخى وصف العالم بقدر ما تطمح وتسعى لتغييره، ويمكن التمثيل لهذا النوع بالجملتين التاليتين:

أُسمي هذه السفينة الملكة إليزابيث.

أقبل أن تكون هذه المرأة زوجتي.

فهذه الأقوال لا تصف حقيقة ما، وإنَّما هي تنجز أفعالاً، ففي المثال الأول الفعل المنجز هو التسمية تسمية السفينة، وفي المثال الثاني الفعل الذي أنجزه المتكلم هو قبول الزواج على الولاء، فهو لا يصدر قولاً فقط وإنَّما ينجز فعلاً[٤]، يحدث من خلاله تأثراً ويقوم بإنجاز عملاً على أرض الواقع.

---

[١] يُنْظر: التداولية في المعاجم العربية قراءة في معجم (المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب) لنعمان بو قرة، فرحاة بلولي، المركز الجامعي بالبويرة، مجلة الممارسات اللغوية، العدد ٥، ٢٠١١م، ص: ١٤٤.

[٢] يُنْظر: التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ اسماعيلي علوي، ص: ٩١.

[٣] يُنْظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلار، ص:٢٧٢.

[٤] يُنْظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، كنوز المعرفة، ط١، ٢٠١٦م، ص: ٨٧.

وقيَّد أوستين الملفوظات الإنجازية بجملة من الشروط أسماها شروط الملائمة، يجب الالتزام بها من أجل تحقيق الغايات المرجوة من الفعل الإنجازي، وإنَّ الإخلال بهذه الشروط يؤدي إلى الإخفاق وعدم التوفيق في إنتاج الملفوظات[١]:

١- وجود إجراء عرفي مقبول، وله أثر محدد كالزواج مثلاً فهو يتطلب كلمات محددة ينطق بها أشخاص محددون في ظروف محددة، فإذا اختلَّت هذه الظروف أو اختلف الأشخاص فإنَّ الفعل لا يؤدى[٢]، ولا يتحقق إنجازه، فهي أعراف ثابته في المجتمع لا يمكن الاخلال بها.

٢- أن يكون للمشاركين القصد والنية، في أن يتبعوا هم أنفسهم ذلك السلوك، وأكثر من ذلك، أي أن يكونوا صادقين بما يقصدونه من أقوال، فإذا قلت لشخص (أهنئك بهذه المناسبة) وأنت في قرارة نفسك لا تشعر بذلك، وإذا قلت لشخص (أنصحك بكذا) وأنت تقصد تضليله فقد أسأت أداء الفعل.

٣- في كل حالة مفترضة يجب أن يكون الأشخاص المعنيون والملابسات المخصوصة على وفق المناسبة حتى نستطيع أن نتمسك بذلك المنهج المحتكم إليه، أي يجب أن تكون مؤهلة للعملية الإنجازية، وكذلك الظروف يجب أن تكون مناسبة.

٤- يجب أن ينقد المشاركون المنهج على وجه صحيح مضبوط كامل وتام معاً، أي يجب توفر الظروف المناسبة وانتقاد غير المناسب.

---

[١] يُنْظر: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، جون أوستين، ترجمة: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، ١٩٩١م، ص: ٢٧ – ٢٨.

[٢] يُنْظر: نظرية أفعال الكلام عند أوستين، نصيرة غماري، مجلة اللغة والأدب، الجزائر، العدد١١، ٢٠٠٦م، ص: ٨١.

٥- أن يلزم المشاركون أنفسهم واقعياً بما ينتج عن السلوك من عواقب ونتائج، أي أن يكونوا مستعدين لنتائج هذا الفعل، فإذا قلت لشخص (أرحب بك) ثم سلكت سلوك غير المرحب فقد أسأت أداء الفعل[١].

وقد أوضح أوستين أنَّ عدم التقيَّد والالتزام بهذه الشروط يؤدي إلى إنتاج ملفوظات فاشلة، وفي الوقت نفسه حاول أوستين أن يميّز في هذه الملفوظات بين نوعين هما (الاخفاقات والإساءات) فإذا لم نتلفظ بالفعل الإنجازي بطريقة صحيحة أو عجزنا عن إتمام الفعل، كأن ينقض أحدهم الوفاء بالعهد، ففي هذه الحالة لا يتم الفعل بنجاح، وهذا ما يحدث عندما نتلفظ بفعل إنجازي قابل للإنجاز لكننا لم ننجزه، وقد سمّى أوستين هذا النوع (إخفاقات)، إمَّا إذا كان الفعل الإنجازي لفظياً وكان المتلفظ غير صادق في تلفظه لهذا الفعل، أو أنَّه لم يكن ينوي إتمام الفعل، فسيجد ما سماه أوستين بـــ (الإساءة)[٢].

وقد انتهى أوستين إلى القول بأنَّ الإخبار أيضاً نوع من الإنجاز لفعل كلامي، فالعبارات الإخبارية تتضمن فعلاً إنجازياً يقصده المتكلم ولكنَّه غير ظاهر، فعبارة (السماء ممطرة) معناها الإنجازي هو (أثبت لك بأنَّ السماء ممطرة)[٣]، وبهذا المعنى الواسع فالإنجازية لا تغطِّي الإنشاء فقط بل الخبر أيضاً، فأفعال الكلام تقابل مبحث الإنشاء والخبر عند اللغويين العرب.

---

[١] يُنْظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، المغرب، ط١، ٢٠٠٠م، ص: ٢٣٧.

[٢] يُنْظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ص: ٨٨.

[٣] يُنْظر: نظرية الفعل الكلامي (بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والاسلامي) هشام عبد الله الخليفة، ص: ٣٢.

وهذا التعميم أفضى بأوستين إلى وضع نظرية الفعل الكلامي التي تقضي بأنَّ كل فعل كلامي يتضمن ثلاثة أفعال هي[1]:

- **فعل القول (العمل القولي):** ويقصد به الأصوات التي يخرجها المتكلم، وتؤلف كلمات لها معنى معين، وهي جملة من الأفعال الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.

- **فعل الإنجاز (العمل المتضمن بالقول):** هو ما ينجزه القائل من أعمال ومعانٍ قصدية أو تأثيرية، وقد أسماه أوستين (قول الفعل) واشترط لتحقيقه ضرورة توفر السياق المعرفي الاجتماعي كالوعد والاثبات والنفي والتمني و...

- **فعل التأثير (عمل التأثير بالقول):** وهو ما يحدثه فعل الكلام الإنجازي من أثر في المخاطب، وقد الحَّ أوستين في محاضراته على ضرورة التمييز بين فعل الكلام الإنجازي وفعل الكلام التأثيري، واقترح من أجل ذلك صيغتين إجرائيتين هما (بقول كذا) و(بفعل قول كذا ننجز شيئا ما)[2]، وهذا يعني أنَّ الكلمات التي ينتجها المتكلم تحمل مقاصد معينة وتبلّغ رسالة تُحدث أثراً عند المتلقي، وهو ما يحققه القائل بقوله من نتائج تؤثر بالمخاطب كإزعاجه أو تخويفه أو اقناعه أو حمله على سلوك معين...

انصب اهتمام أوستين على النوع الثاني (الفعل الإنجازي)، أمَّا النوع الأول فينضوي تحت علم الدلالة المعتمد على شروط الحقيقة، ويقع النوع الثالث خارج

---

[1] يُنْظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلار، ص: ٢٦٧، ويُنْظر: الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، د. مؤيد آل صويت، مكتبة الحضارات، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٠م، ص: ٣٤-٣٥، ويُنْظر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بالخير، دار الأمل للطباعة والنشر، ط٢، ٢٠١٣م، ص: ١٤٩.

[2] يُنْظر: نظرية أفعال الكلام عند أوستين، نصيرة غماري، ص: ٨٦.

نطاق اللغة فهو يتعلق بالمخاطب أو المتلقي وردود أفعاله، وبذلك أصبح النوع الثاني (الفعل الإنجازي) محور نظرية أفعال الكلام ومرادفاً لفعل الكلام برمته.

واستناداً إلى مفهوم القوة الإنجازية، ميَّز أوستين بين خمسة أنواع للأفعال الكلامية حسب قوتها الإنجازية وقدمها بوصفها مبدئية وقابلة للنقاش بصفة مؤقتة، وتشمل الأفعال التي تُنجز لغوياً أو غير لغوية من خلال الحركات أو النشاطات الجسدية، وهي كما يلي[1]:

١- **الأفعال الحكمية (الإعلانيات) Verdictifs**: وتقوم على الإعلان عن حكم، رسمي أو غير رسمي حسب موقعه الاجتماعي ووضعه الاعتباري كأن يكون قاضياً أو حاكماً وتتعلق بقيمة أو حدث، ومن أفعالها الأدائية: أعترض، أصرَّح، أعلن، أستقيل، ...

٢- **الأفعال التمرسية (الإنفاذيات) Exersitifs**: وتقوم على قدرة المتكلم على إصدار الأحكام أو القرارات من أجل التأثير في الآخرين، والحكم على الشيء بأن يكون هكذا لا بأنَّه كائن هكذا، أو صد سلسلة أفعال، ومن أفعاله الأدائية: الطرد أو العزل، أمر، قاد، وجه، طلب، احتج،...

٣- **أفعال التكليف (الوعديات) Commissifs**: ويلزم فيها المتكلم نفسه بسلسلة أفعال محددة، ويكون للقصد أو النيَّة شأن في هذا الصنف، مثل: وعد، تمنى، التزم بعقد، أقسم، تكفل، عزم، نوى،...

---

[1] يُنْظر: المقاربة التداولية، فرانسوازار ارمينكو، ترجمة : د. سعيد علوش، مركز الالهاء القومي، ١٩٨٦م، ص: ٦٢-٦٣، ويُنْظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ص:٩٠، ويُنْظر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بالخير، ص: ١٥٠، ويُنْظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هشام الطبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م، ص: ١٠.

٤- **الأفعال العرضية (التعبيرية)Expositives**، وتستعمل لعرض مفاهيم، وبسط موضوع، وتوضيح استعمال كلمات، وضبط مراجع، وتشمل أفعالاً يعرض فيها المتكلم وجهة نظر ويقدم حجة، ولا توجد فيه علاقة متحركة بين الكلمات والعالم الخارجي وإنَّما هو مجرد تعبير عن حالة نفسية يحدده صدق النية، ومن أفعاله الأدائية: أكَّد، أنكر، أجاب، اعترف، افترض، مثَّل، أثبت،...

٥- **أفعال السلوكيات (الإخباريات) comportementaux**: ويتعلق الأمر هنا برد فعل تجاه سلوك الآخرين، وتجاه الأحداث المرتبطة بهم، وهو تعبير تجاه سلوك اجتماعي معين، أي تفاعل أعمالنا مع أفعال الغير، نحو: الاعتذار، الشكر، التهنئة، الترحيب، النقد، التعزية، المباركة، اللعنة،...

ونخلص من هذا إلى أنَّ القيمة الغرضية الكامنة في فعل القول التلفظي تخضع للمقام الذي تنجز فيه العملية التواصلية وللمواضعة اللسانية الاجتماعية والعلاقة بين المتخاطبين.

ثالثاً: نظرية أفعال الكلام مع جون سيرل

يحتل الفيلسوف الأمريكي جون سيرل searle موقع الصدارة بين أتباع أوستين، إذ تلقَّف حصيلة أستاذه (أوستين) الذي كان تأثيره فيه تأثيراً كبيراً، وفي مواضع عدة من كتاباته يكشف سيرل عن هذا التأثير، فهو يقول: " إنَّني مهما بلغت من القول فلن أسرف فيما أنا مدين به لهذا الفيلسوف من الناحيتين العلمية والشخصية على حد سواء"[١].

صدر كتاب سيرل (الأفعال اللغوية) عام ١٩٦٩م بالإنجليزية، وترجم إلى الفرنسية سنة ١٩٧٢م، فقد تبنّى بشكل من الأشكال اقتراحات أوستين مؤكداً على

---

[١] يُنْظر: العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال، محمد العبد، مكتبة الآداب- القاهرة، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص: ٧١.

القوى الإنجازية في أنَّ (فعل القول) لا يمكن تحققه من دون قوة إنجازية، كما قام بإجراء تعديلات على تصنيف أوستين للأفعال اللغوية، فضلاً عن الاهتمام الخاص الذي أعطاه للمعنى والمحتوى اللغوي.

لقد كان لوفاة أوستين المبكرة عام ١٩٦٠م، تأثيرٌ في مسيرة نظرية أفعال الكلام، لكن تلميذه جون سيرل أكمل المسيرة من بعده وأضاف بعض التعديلات على النظرية، ويعتمد سيرل على مبدأ فلاسفة اللغة العادية الذي تلخصه العبارة المركزة التالية: (القول هو العمل)، فالقول في نظره، شكل من السلوك الاجتماعي الذي تضبطه قواعد، فقام سيرل على هذا الأساس بدراسة أفعال الكلام وقام بتقديم شروط إنجاز كل فعل، كما بيَّن شروط تحوُّل الفعل من حال إلى حال أخرى وآليات ذلك، كما وضَّح خطوات استنتاج الفعل المقصود[١]، فقد كرَّس سيرل جهوده في إعادة النظر بهذه النظرية وإكمال ما جاء به أستاذه.

وقام سيرل بتقديم نمذجة عامة للأفعال الكلامية، وقد استفاد في ذلك من الانتقادات التي قد وجت لنظرية أستاذه أوستين، فكانت نقطة انطلاقه هي التمييز بين الأفعال والأعمال وكذلك التركيز على مقاصد المتكلمين، فقد اقترح سيرل تقسيم الأفعال إلى (الغرض الإنجازي، واتجاه المطابقة، وشرط الإخلاص) وجعلها خمسة أقسام رئيسة وهي[٢]:

---

[١] يُنْظر: في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص: ٩٨.

[٢] يُنْظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ص:٩٣ – ٩٤، ويُنْظر: نظرية الفعل الكلامي، هشام عبد الله الخليفة، ص: ١٢٤–١٢٥، ويُنْظر: نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة دراسة تداولية، محمد مدور، ص: ٥١–٥٢، ويُنْظر: التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ص: ٤٧ – ٤٨، ويُنْظر: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، لبنان – بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م، ص:٢١٧ – ٢١٩.

١- **الإخباريات (التقريريات) Assertives:** وتتميز بكون المتكلم يستهدف الإخبار بمحتوى معين يعلم بصحته، والغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما من خلال قضية، وينطبق عليها معيار الصدق والكذب من قبل المتلقي أو المخاطب، مثل: سيأتي غداً.

٢- **الوعديات (الالتزاميات) Commissives:** وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلِّم بفعل شيء في المستقبل، حيث يكون المتكلّم ملزماً بعمل مع صدق النية والمقصد، وقد أخذ سيرل هذا القسم من أوستين، مثل: أعدك بالحضور غداً.

٣- **التوجيهيات (الأمريات) Directives:** وغرضها الإنجازي محاولة المتكلِّم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، والمتكلّم في هذه الحالة يريد أو يرغب في تحقيق وضع في المستقبل يكون فيه العالم الخارجي مطابقا لكلماته،ومنها (النهي والأم والوعظ والتحذير)، مثل: أخرج من الاجتماع.

٤- **التعبيريات (البوحيات) Expressives:** وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي، حيث يعّبر المتكلّم عن حالته النفسية بنية صادقة، ولا توجد فيها علاقة متحركة بين الكلمات والعالم الخارجي، وهذا يوافق إجمالاً السلوكيات في تصنيف أوستين، ويعطي سيرل مثالاً على تلك الأفعال: يشكر، يعتذر، يرثي،...

٥- **الإعلانيات(الإيقاعيات) Declaratives:** والغرض منها إحداث تغيير في العالم عند النطق بها، وهي تتطلب مؤسسات غير لغوية تحدد قواعد استعمالها مثل محكمة أو مسجد أو كتب أصول، وتتضمن أغلب الأفعال الشعائرية التي أوردها أوستين كأمثلة على الإنجازيات، ومثال على هذا النوع: أعلن الحرب عليكم.

أصبحت نظرية أفعال الكلام مع سيرل أكثر نضجاً مما كانت عليه، إذ زاد سيرل مجموعة من الاقتراحات والتصورات تمثَّلت بنظره إلى الفعل الإنجازي على أنَّه الوحدة الصغرى للتواصل اللغوي، وأنَّه أوسع من أن يقتصر على قصد المتكلم، بل هو مرتبط أيضاً بالعرفين اللغوي والاجتماعي، فقد ميَّز بين قوة أو نمط الفعل

الكلامي والمحتوى القضوي للفعل الكلامي، فعندما ينطق المتكلم ثلاث جمل مختلفة فانه ينجز ثلاثة أنواع مختلفة من الفعل الكلامي، ومن هذّه الأفعال[١]:

١- **الفعل النطقي:** وهو يتمثل في نطق الكلام أي النطق الصوتي للألفاظ، على نسق نحوي ومعجمي صحيح، أي هو إنتاج عبارة لغوية طبقاً للقواعد الصوتية والتركيبية للغة ما[٢]، ولا يختلف بهذا النوع مع أستاذه إذ أشار أوستين إليه أيضاً.

٢- **الفعل القضوي:** ويمثِّل المتحدث عنه أو المرجع أو المتحدث به، ويمثل دلالة العبارة اللغوية، وينقسم على فرعين: (فعل الإحالة و فعل الحمل) فعل الإحالة: هو الفعل الذي يسمح بربط الصلة بين المتكلم والمخاطب عن طريق الإحالة إلى الذوات، أمَّا فعل الحمل: فهو يمثِّل الإسناد أي نسبة المحمول إلى الموضوع[٣]، فقد ميَّز سيرل في نظرية أفعال الكلام بين قوة أو نمط الفعل الكلامي، والمحتوى القضوي للفعل الكلامي، فيستطيع المتكلم أداء ثلاثة أنواع مختلفة من الفعل الكلامي حين ينطق بثلاث جمل مختلفة حتى لو كانت تتضمن شيئاً مشتركاً[٤]، أي أنَّ المحتوى القضوي للكلام ثابت وأساليب النطق بها متعددة.

إنَّ مؤشر الفعل القضوي لا يرتبط بالفعل الإنجازي المراد إيصاله أو تبليغه بل له ارتباط وتعلّق بالمتكّلم (موقفه من مضمون القضية أو من أحد عناصرها المكونة

---

[١] يُنْظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص: ٧٢ – ٧٦.

[٢] يُنْظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، الجيلالي دلاش، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية _ الجزائر، ص: ٢٥.

[٣] يُنْظر: المباحث التداولية عند الدكتور محمود أحمد نحلة، د. عبد الرسول سلمان ابراهيم وعبير خزعل خلف هلال، جامعة ديالى كلية التربية للعلوم الانسانية، مجلة ديالى، العدد السبعون، ٢٠١٦م، ص: ٣٠٢.

[٤] يُنْظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاص، محمود أحمد نحلة، ص٧٢، ويُنْظر: تطور علم اللغة منذ ١٩٧٠، روجرهارد هلبش، ترجمة : سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط١، ٢٠٠٧م، ص٢٨١-٢٨٢.

لها حيث يمكن أن يؤكد، أو يشكك، أو يستغرب، أو يتمنى، أو يمدح، أو يذم،...)[1]، فدلالة الخطاب تتلخّص فيما يحتويه من محتوى قضوي.

٣- **الفعل الإنجازي:** هو تحقيق الفعل الإنشائي، أي القصد المعبر عنه في القول، وقد يكون هذا القول نصيحة، أو شعاراً، أو تحذيراً، أو تهديداً، أو وعداً، أو أمراً ...، ولا يختلف الفعل الإنجازي عند سيرل عن الفعل الإنجازي عند أوستين[2]، فهو يطلق فعلاً كلامياً يحدث فيه إنجازاً على أرض الواقع.

ونرى أنَّ سيرل ركَّز على الفعل القضوي والفعل الإنجازي؛ لأنَّ معنى الجملة يتلخص في محتواها القضوي (الإحالة والحمل)، والقوة الإنجازية التي تواكبها، وقد أهمل سيرل (الفعل التأثيري)؛ لأنّه يعتقد بأنَّه ليس من الضروري أن يكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما، فقد أبقاه كما هو عليه عند أوستين[3]، فالجملة عند سيرل تحتوي على قوة إنجازية أي إنجاز فعل ما، وكذلك تحتوي على قضية ما تحيل المخاطب على حمله لفعل شيء معين.

ثم قام سيرل بتعديلات على تقسيم أوستين للأفعال الكلامية، إذ كان أوستين قد فرَّق بين الأفعال اللفظية والإنجازية، وكذلك فرَّق بين الأفعال الصريحة والأولية، وعندما جاء سيرل خطا في ذلك خطوة واسعة، فقد ميَّز بين الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال الإنجازية غير المباشرة، أو الحرفية وغير الحرفية، أو الثانوية

---

[1] يُنْظر: النحو الوظيفي والدرس اللّغوي العربي دارسة في نحو الجملة، الزايدي بودارمة، رسالة دكتوراه علوم اللسان العربي، قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ص: ١٠٩ - ١١٠.

[2] يُنْظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، الجيلالي دلاش، ص: ٢٥.

[3] يُنْظر: المباحث التداولية عند الدكتور محمود أحمد نحلة، عبد الرسول سلمان ابراهيم وعبير خزعل خلف هلال، ص: ٣٠٢.

والأولية، وأكثر المصطلحات شيوعاً هو (المباشرة وغير المباشرة)[١]، أي أنَّه زاد على أستاذه أوستين بعض المفاهيم التي مثَّلت الأفعال الإنجازية خير تمثيل كما أنَّها أعطت لنظرية أفعال الكلام تقدماً كبيراً في اللسانيات التداولية.

- الأفعال الإنجازية المباشرة:

الفعل الكلامي المباشر هو ذلك الفعل الكلامي الذي يتطابق فيه فعل القول وفعل الإنشاء بمفهوم أوستين، أمَّا عند سيرل فهو يتحدد بأربعة أفعال وهي: (فعل القول، وفعل الإسناد، وفعل الإنشاء، وفعل الإنجاز)[٢]، أي أنَّه يحقق هذه الأفعال الأربعة، فعل قولي ويمثل محتوى قضية ما كما أنَّه ينجز فعلاً ويؤثر من خلاله بالمخاطب أو المستمع.

ومثَّلت الأفعال الإنجازية المباشرة لدى سيرل بأنَّها الأفعال التي تطابق قوتها الإنجازية قصد المتكلم، أي يكون ما يقوله المتكلم مطابقاً لما يعنيه، يقول (سيرل): "(الفعل التمريري)[٣] هو وحدة المعنى في الاتصال، حين يقول المتكلم شيئاً ما، وهو يعني بما يقوله شيئاً، ويحاول توصيل ما يعنيه للمستمع، فإنَّه إذا أفلح سيكون قد أدَّى فعلاً تمريرياً"[٤]، فالفعل الكلامي المباشر عند جون سيرل يتمثَّل في الأقوال التي

---

[١] يُنْظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص: ٨٠.

[٢] يُنْظر: التداولية في المعاجم العربية قراءة في معجم المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب لنعمان بو قرة، فرحات بلولي، ص: ١٥٤.

[٣] يمثل الفعل التمريري أصغر وحدة مكتملة في التواصل اللغوي الإنساني، فهو الفعل المحمل بمجموعة من الدلالات والقيم، فحينما نتكلم أو نكتب لبعضنا فإننا نؤدي أفعالا تمريرية، كما هو الحال ضمن المراسلات وغيرها من أشكال الاتصال البشري. ينظر: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٦م، ص: ٢٠٢.

[٤] العقل واللغة والمجتمع، سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، ص: ٢٠٣.

تكون في تطابق تام بين قول المتكلم وقصده، فالمتكلم يستعمل عبارات صريحة في ذلك خالية من الغموض ولا تخالف مقاصده.

- الأفعال الإنجازية غير المباشرة:

بما أنَّ الفعل المباشر هو مطابقة بين فعل القول وفعل الإنشاء، فإنّ الفعل غير المباشر يتطلب من المستمع أو المتلقي الانتقال من المعنى المباشر للقول إلى المعنى الذي يقصده المتكلم، فالقصدية هنا مضمرة، وليست صريحة، وهو ما يقتضي من المستمع أن يبذل جهده في تحليل السياق لفهم قصد المتكلم، وهذا البحث كان له شأن كبير بالدراسات اللغوية والبلاغية القديمة تحت مسميات المجاز والاستعارة والكناية...[١]، وهو الذي تخالف قوته الإنجازية مراد المتكلم[٢]، وقد ضرب سيرل مثالاً يبين فيه الأفعال الإنجازية غير المباشرة: "إذا قال رجل لرفيق له على المائدة: "هل تناولني الملح؟" فهذا فعل إنجازي غير مباشر، إذ قوته الإنجازية الأصلية تدل على الاستفهام الذي يحتاج إلى جواب، وهو مصدر بدليل الاستفهام (هل) لكن الاستفهام غير مراد للمتكلم، بل هو طلب مهذب ويؤدي معنى فعل إنجازي مباشر هو (ناولني الملح)"[٣]، أي أنَّ الفعل المباشر يحمل في طياته فعلاً آخر غير مباشر وهو المراد.

إنَّ الأفعال الإنجازية غير المباشرة عادة ما تكون أكثر تأدباً من الأفعال الإنجازية المباشرة؛ لأنَّها تمنح المخاطبين اختيارات في كيفية تفسير التلفظ، وذلك يتطلّب من المخاطب تخمين مقاصد المتكّلم، كما أنَّ المقاصد غير المباشرة ينتابها

---

[١] يُنْظر: التداولية في المعاجم العربية قراءة في معجم المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب لنعمان بوقرة، فرحات بلولي، ص: ١٥٤.

[٢] يُنْظر: إنجازيه الخطاب القرآني مقاربة تداولية للفعل الكلامي الكلي في القرآن الكريم، عابد لرزق، جامعة سيدي بالعباس، مجلة المدونة، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية، المجلد ٥، العدد ١، ٢٠١٨م، ص: ٣٠٨.

[٣] آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص: ٥١.

بعض الغموض[1]، فعادة ما تصدر من الصغير إلى الكبير، أو من المملوك إلى مالكه.

فالأفعال الإنجازية غير المباشرة هي أفعال ذات معانٍ ضمنية لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكنَّها تفهم من سياق الكلام، يستعملها المتكلم ليعبِّر عن قصده بطريقة يغاير بها المعنى الحرفي للخطاب (المباشر)، إذ يعبِّر عن قصده من دون أن يقف عنده التلفظ فينجز بذلك فعلاً غير مباشراً.

[1] يُنْظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، تقديم: سليمان العطار مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص: ٣٠ - ٢٩.

المبحث الثاني

أفعال الكلام في الصحيفة الرضوية

إنَّ كلامنا اليومي المتداول في أحاديثنا اليومية وقضاء مهماتنا وأعمالنا وتلبية حاجاتنا، مليء بالأفعال، فإنَّنا عندما نتحدث ننجز أفعالاً ونصدر أخباراً، ولا تقتصر هذه الأفعال على الكلام المتداول في الحديث اليومي فقط، بل تدخل الأفعال في الخطب والأدعية، وكذلك القرآن الكريم احتوى على الكثير من الأفعال الكلامية في آياته الكريمة، وتحاول الباحثة في هذا المبحث الوقوف على الأفعال الكلامية التي جاءت في أدعية الأمام الرضا (عليه السلام) في صحيفته الخالدة.

سنحاول التمثيل في الصحيفة للتقسيم الذي وضعه سيرل للأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة، ولا بدّ من التذكير قبل البدء بالتطبيق بأنَّ الغرض من الدعاء الصادر عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) هو لتعليم الناس أساليب التضرع لله سبحانه ودعائه والتوسل به كما يبين آداب الدعاء، فيدعو الإمام (عليه السلام) بهذه الأدعية المتنوعة التي تشمل جميع المطالب لغرض تعليم الناس وحثهم على الدعاء والعودة إلى الله سبحانه في جميع المطالب، فهو يدعو بصيغة العبد المذنب الفقير إلى ربه ليدعو به عامة الناس، فالتحليل يشير إلى المتكلم ليس فقط إلى منشئ الدعاء أي الإمام الرضا (عليه السلام)، وإنَّما إلى كل من يدعو بهذه الأدعية الشريفة في حوائجه، ويتحدث بها مع خالقه، والدعاء طلب صادر من الأدنى إلى الأعلى أي من العبد إلى خالقه؛ فلا نجد فيه أمراً حقيقياً أو نهياً حقيقياً أو استفهاماً.

أولاً: الأفعال الإنجازية المباشرة في الصحيفة الرضوية

قسّم سيرل الأفعال الإنجازية إلى خمسة أنواع، إذ زاد فيها على أنواع أستاذه أوستين، ومن أنواع الفعل الإنجازي لدى سيرل التي جاءت في الصحيفة هي:

الإخباريات أو التقريريات(Represent)

يتناول هذا النوع الإثباتات التي يخبر بها المتكلم، ويمثل هذا النوع ما جاء به أوستين من الحكميات، فهي أيضاً تعبّر عن حكم أو تقدير ما، فالمتكلم يصف لنا واقعة أو يفسّر حدثاً بدرجة قابلة للصدق أو الكذب، يكون المتكلّم صادقاً في نقل خبره، أما المتلقي فله الحرية في التصديق أو التكذيب، والمتكلم بذلك يحكِم رغبته في جعل الكلام مطابقاً للواقع، وقد احتوت أدعية الإمام الرضا (عليه السلام) على هذا النوع من أفعال الكلام في الصحيفة الرضوية، ويعدّ هذا النوع من الأقوال الإنجازية التي خرجت للإخبار وهي تحمل دلالات مباشرة في نقل الخطاب الخبري وإيصاله للمتلقي، وبما أنَّ المتلقي هو الله سبحانه وتعالى فنحن نعلم أنَّ الله تعالى لا يخفى عليه خبر، فيعلم ما تبدون وما تكتمون، ولكن الغرض من الأسلوب الإخباري عادة في الأدعية هو الطلب أو الدعاء أو التعبير عن غاية أو البوح بالذنوب.

ومن الأدعية التي تضمنت المحتوى الخبري في الصحيفة قول الإمام (عليه السلام) في الصلاة على النبي وآله: **((اللَّهُمَّ إِنِّي أَمَنْتُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ أَرَهُ فَلا تَحْرِمْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ رُؤْيَتَهُ))**[1]، يحمل الفعل الإنجازي (آمنت) القوة الإقناعية عن الإيمان الخالص بمحمد (صلى الله عليه وآله) ولم يره، فكيف به إذا رآه وسمع حديثه، ، فيخبر ويقر بأنَّه قد آمن برسالة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله)، على الرغم من أنَّه لم يعش في زمانه ولم يتشرف برؤيته ولقائه، ولكنه يعلم بصدقه وصدق دعوته ورسالته، فآمن به واعترف له بالتصديق، فيطلب في هذا

---

[1] الصحيفة، ص: ٢٣.

الدعاء من الله سبحانه أن يرزقه رؤيته في الجنان ويحشره معه، ويرى أوستين أنَّ مصطلح (إخباري) يُطلق على القضايا التي تصف حالة من الأحداث الواقعة في العالم ويعدّها من القضايا الوحيدة التي تملك معنى[١]، فالمعنى من القول الإخباري واضح في هذا الدعاء وهو قول مباشر حسب تصنيف سيرل، فالغرض التداولي الذي نجده في هذا الدعاء هو مجيء الفعل الإنجازي (آمنت) وهو فعل كلامي يدل على الإخبار، فالمتكلم بذلك يصدر قولاً وينجز فعلاً كلامياً إخبارياً، وهو الإيمان برسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، ونحن نعلم أن الله تعالى لا يخفى عليه خبر فيريد الإمام عليه من خلال الأسلوب الخبري التعبير والبوح، ويسعى هنا من خلاله إلى نيل شفاعة الرسول (صلى الله عليه وآله) ومرافقته يوم الحشر، كما أنَّ المحتوى القضوي لهذا الدعاء يتمثَّل بوقوع الإيمان والإقرار به.

وكذلك جاء في قوله (عليه السلام) في طلب الاحتراز من شر عدوه: **((بِاللَّهِ أَسْتَفْتِحُ، وَبِاللَّهِ اسْتَنْجِحُ وَبِمُحَمَّدٍ لَّهُ أَتَوَجَّهُ، اللَّهُمَّ سَهِّلْ لي حُزُونَةَ أَمْرِي كُلِّهِ، وَيَسِّرْ لِي صُعُوبَتَهُ، إِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتُثْبِتُ وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ))**[٢]، يصدر الداعي أقوالاً إنجازية مباشرة في الدعاء وهي تتمثل في الأفعال الكلامية: (سهل لي، ويسر لي) وتمثل القوة الإنجازية الصعوبة التي يمر بها الإمام (عليه السلام) من مواجهة شر الأعداء؛ لهذا يطلب الاحتراز من الله تعالى بالتوجه لرسوله الكريم (صلى الله عليه وآله، فيأتي الأفعال: (أستفتح، وأستنجح، وأتوجه)، ويعني بها أنَّه يستفتح أمره بذكر الله سبحانه، وأنَّه يستنجح في مطالبه بطلبها من الله سبحانه، كما أنَّه يتوجه برسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) إلى الله تعالى ويستشفع به إلى الله تعالى في حوائجه، وهذه الأفعال التي ذكرها صاحب الدعاء تحمل قوة إنجازية الغرض منها

---

[١] الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، د. محمد سالم محمد الأمين، دار الكتب الجديد المتحدة، ط ١، ٢٠٠٨م، ص: ١٨٢.

[٢] الصحيفة، ص: ٥٠.

هو الإخبار، فهو يخبر بهذه الأفعال عن طاعته لله سبحانه واعتماده عليه، ويشيد بمكانة رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) وهو يعد المحتوى القضوي للدعاء.

ويسعى الداعي من خلال هذه الأفعال الإنجازية الإخبارية إلى التأثير على المخاطب في تسهيل أموره وتذليل الصعاب أمامه فهو يعلم بقدرته على ذلك، لأنَّ المخاطب هو الله سبحانه وتعالى وهو قادر على تيسير كل أموره وتسهيلها، فالأمر كله لله سبحانه.

ومن الأدعية الأخرى للإمام الرضا (عليه السلام) التي وردت فيها الأفعال الإنجازية المباشرة دعاءه عند الصباح متختماً بالعقيق: **((أَمَنْتُ بِاللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَكَفَرْتُ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ أَمَنْتُ بِسِرِ الِ مُحَمَّدٍ وَعَلَانِيَتِهِمْ وَوِلايَتِهِمْ..))**[1]، نجد في هذا الدعاء أنَّ الداعي يقرّ ويعترف بإيمانه بالله سبحانه، وبكفره بالطواغيت وأعداء الإسلام، كما يقرّ بإيمانه برسالة الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) ويعترف بولاية آل بيته الأطهار (عليهم السلام)، فهو يدعو بأسلوب إخباري، فالأفعال الكلامية (آمنت، وكفرت) تدلّ على إنجاز فعل كلامي وهو الإخبار، وهو فعل إنجازي مباشر يخبر فيه المتكلم عن إخلاصه لله سبحانه، ويتمثّل المحتوى القضوي للدعاء في إيمان المتكلم بالله وكفره بالطواغيت وأعداء الإسلام.

كما يقول الإمام (عليه السلام) في الدعاء عند الخروج من بيت الله الحرام: **((اللَّهُمَّ إِنِّي خَرَجْتُ عَلَى أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ))**[2]، يخبر الإمام (عليه السلام) الله سبحانه ويعترف له في هذا الدعاء بأنَّه توكَّل عليه في عودته من الحج، فلا يمكن الاعتماد على غير الله سبحانه في التوكل، فالفعل (خرجت)، يمثل القوة الإنجازية للخروج من بيت الله الحرام وفيه إخبار عن توحيد الله تعالى، فالإمام (عليه السلام)

---

[1] الصحيفة، ص: ٦٠.

[2] الصحيفة، ص: ٦٨.

يخبر بأنَّه يعتمد في خروجه على الله سبحانه وتعالى، فالله تعالى يعلم بخروجه لكن الإخبار جاء ليعبر فيه عن توحيده لله تعالى وحده لا شريك له.

وفي هذا الصدد يشير سيرل إلى الأفعال الإنجازية المباشرة بقوله: "إنَّ حالات مدلولات الخطاب الأكثر بساطة تكمن عندما يريد المتكلم ما يعنيه قوله بالضبط، ففي هذه الحالة، يملك المتكلّم النية في إحداث أثر ما أو فعل متضمن في القول بطريقة مباشرة جداً، بعبارة أخرى يسعى المتكلم في أن يعرّف للمتلقي نيته أو رغبته بطريقة مباشرة دون أن يلزمه الاعتماد على استدلالات طويلة"[1]، فيقصد سيرل بحالات مدلولات الخطاب الأكثر بساطة، الأفعال الكلامية المباشرة، فيقوم الأمام (عليه السلام) بإيصال مقصدة بطريقة مباشرة، وتمثل في هذا الدعاء بالإخبار الصريح والواضح في التعبير عن مقصده، والذي يزيد من صحة توكله على الله سبحانه هو استعماله أسلوب الحصر أو (القصر) الذي قصر فيه الربوبية لله سبحانه فلا إله غيره يتوكل عليه، ويعتمد عليه في خروجه لحفضه وتوفيقه.

الوعديات أو الإلزاميات (Commit)

في هذا النوع يلزم المتكلم نفسه ويتعهد بإنجاز فعل في المستقبل، ويجب أن يكون مخلصاً في وعده، وهذا النوع يشبه التكليف أو التعهد عند أوستين، وفي نظر سيرل أنَّ الفعل القضوي في هذا النوع هو قيام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل، وتكاد تخلو الصحيفة الرضوية من هذا النوع من الإنجازيات سوى ما وجدناه من مثال واحد فقط يتوعد فيه الإمام (عليه السلام) بالشهادة لإمام زماننا الإمام المهدي (عليه السلام) فهو فعل يتحقق في المستقبل لذلك يعد من الوعديات وهو قول الإمام (عليه السلام) في دعائه لولده المهدي (عليه السلام):

---

[1] الفكر التداولي عند جون أوستين (قراءة في آليات تأويل أفعال الكلام غير المباشرة)، نبيل محمد صغير، جامعة مولود معمري، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، العدد ١٢، ٢٠١٥م، ص: ٥٢.

((اللّهُمَّ فَإِنَّا نَشْهَدُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَوْمَ حُلُولِ الطَّامَّةِ، أَنَّهُ لَمْ يُذْنِبُ ذَنْباً وَلَمْ يَأْتِ حَوْباً، وَلَمْ يَرْتَكِبْ (لَكَ) مَعْصِيَةً، وَلَمْ يُضَيِّعْ لَكَ طَاعَةً وَلَمْ يَهْتِكْ لَكَ حُرْمَةً، وَلَمْ يُبَدِّلْ لَكَ فَرِيضَةً، وَلَمْ يُغَيِّرْ لَكَ شَرِيعَةً، وَأَنَّهُ الْامَامُ الْهَادِي الْمَهْدِيُّ الطَّاهِرُ الْوَفِيُّ الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ))[1]، احتوى سياق الدعاء على فعل إنجازي مباشر وهو الوعد، إذ يعد الإمام (عليه السلام) بقول الشهادة الصادقة يوم القيامة، فهو يعد بأنَّه وجميع المؤمنين سوف يشهدون يوم القيامة بأنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) هو الطاهر الزكي المنزه عن الذنوب والمعاصي، فالإمام (عليه السلام) معصوم عن كل ما لا يرضي الله سبحانه، وأنَّ شيعته ومحبيه وأتباعه سيشهدون له بذلك يوم القيامة، وهو يمثل المحتوى القضوي للدعاء.

ويتمثَّل الفعل الإنجازي في هذا الدعاء بقوله (نشهد) وهو فعل يدل على المستقبل أي أنَّه سيأتي يوم نشهد فيه للإمام (عليه السلام) بالتصديق؛ لذلك فهو من أفعال الوعديات، وهو فعل كلامي مباشر فالوعد مقصد واضح في هذا الدعاء، ففعل الكلام يتحدد بمرجعية مقصد المتكلم أثناء كلامه والآثار الناجمة عنه على السامعين[2]، فالقصد الواضح في الكلام يمثِّل فعلاً إنجازياً مباشراً ينتج عنه تأثير على المتلقي أو على السامعين.

التوجيهيات أو الأمريات (Direct)

هو أن يقوم المتكلم بتوجيه المخاطب لفعل شيء ما، ويجب أن نشير إلى أنَّ الصحيفة الرضوية يوجد فيها الكثير من أفعال الأمر لكنَّها صادرة من الأدنى للأعلى، فهي لا تدل على الأمر وإنَّما تدل على الطلب، فالدعاء هو طلب كما الأمر لكنه بتودد واحترام، فهو يصدر من الصغير إلى الكبير ومن العبد إلى سيده

---

[1] الصحيفة، ص: ٧٤ – ٧٥.

[1] يُنظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين، ص١٨٢.

ومن المملوك إلى مالكه، فهذه الأمريات التي تملأ الصحيفة كلّها تدلّ على طلب من العبد إلى ربه، في طلب العفو والمغفرة ولب تفريج الهموم وطلب القضاء على الأعداء... الخ، ولكن يجب أن يكون الأمر صادر من الأدنى إلى الأعلى، ويكون صاحب الأمر مسؤول عنه، والمخاطب قادر على تنفيذ الأمر في المستقبل، ولا نجد لهذا النوع في الصحيفة سوى مثال واحد يتمثل بأمر صريح صادر من الإمام (عليه السلام)، وهو قول الإمام (عليه السلام) عند هيجان الأمواج، فإذا هاجت عليك الأمواج فاتَّكِ على يسارك وأوم إلى الموجة بيمينك وقل:

((قرى بِقَرارِ اللهِ، وَاسْكُني بِسَكينَةِ اللهِ، وَلا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ))[1]، يأمر الإمام (عليه السلام) الأمواج بالسكون والهدوء في قوله: (قري، واسكني)، وهي أفعال أمر صادرة من الداعي أو المتكلم إلى أمواج البحر، وهي بذلك تكون صادرة من الأعلى إلى الأدنى، فهو أمر حقيقي يريد من ورائه سكون الأمواج وتوقف هيجانها بفضل الله تعالى ونعمته على العباد، ثم يبين أن لا حول ولا قوة إلا بالله، أي أنَّه لا أحد قادر على هذا الأمر سوى الله تعالى فالحول والقوة بيده سبحانه، فبحوله وقوته تقف الأمواج وتهدأ، وهو يستعين بالله تعالى في هذا الأمر لسكون الأمواج.

ومن دعاء آخر له لهذا الغرض أيضاً قوله (عليه السلام): فإن اضطرب بك البحر فاتَّكِ على جانبك الأيمن وقل: **((بِسْمِ اللهِ، اسْكُنْ بِسَكِينَةِ اللهِ، وَقَرَّ بِوَقارِ اللهِ، وَاهْدَأ بِإِذْنِ اللهِ، وَلَا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ))**[2]، إذ يأمر البحر أيضاً بدعاء آخر بالهدوء والسكينة، بالأفعال (اسكن، وقر، واهدأ)، التي جاءت في الدعاء لإصدار أمر، وهي تمثل الفعل الإنجازي المباشر الذي خرج للأمر، ويأمل من ورائه حدوث الاستجابة وهدوء الأمواج، وبفضل الله تكون الاستجابة، فيذكر الإمام الرضا (عليه

---

[1] الصحيفة، ص: ٦٧.

[2] الصحيفة، ص: ٦٧.

السلام) أنه قال: "وإنَّ نوحاً لمَّا ركب السفينة أوحى الله عزَّ وجلَّ إليه يا نوح إن خفت الغرق فهللني ألفاً...، فلم يدرك أن يهلل ألف مرة"[١]، فيسأل الأمواج بالله أن تقر وتهدأ.

التعبيريات أو البوحيات (Express)

ويعني به تعبير المتكلِّم عن حالته النفسية تجاه موقف معين، فهي ترتبط بالسلوك النفسي عند الانسان، لأنَّها تمثِّل ردود فعل على سلوك الآخرين، وهي تقابل الأفعال التمرّسية لدى أوستين، وهي تمثل: الشكر، والاعتذار، والرثاء، والدعاء أقرب ما يكون لهذا النوع من الأفعال الإنجازية، ومن أمثلة هذا النوع في الصحيفة الرضوية:

قول الإمام (عليه السلام) في المناجاة بحمد الله تعالى وشكره: ((**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَرَدِّ نَوَازِلِ الْبَلاءِ، وَمُلِمَّاتِ الضَّرَاءِ، وَكَشْفِ نَوَائِبِ اللأْوَاءِ، وَتَوَالِي سُبوغِ النِّعْمَاءِ، وَلَكَ الْحَمْدُ رَبِّ عَلَى هَنِيءِ عَطَائِكَ، وَمَحْمُودِ بَلَائِكَ وَجَلِيل الائك...**))[٢]، يقدم الإمام في هذا الدعاء صورة للعبد الشاكر لنعم خالقه بأسلوب تداولي يتمثل بورود أفعال كلامية مباشرة تدل على إنجاز أفعال يريدها الداعي وهي الشكر والحمد لله تعالى، فتمثلت الأفعال الإنجازية بقولة: (مرد نوازل البلاء، وكشف نوائب اللأواء، وسبوغ النعماء، وهنيء عطائك، وجليل آلائك)، فهي جميعها تدل على النعم التي يتفضل بها الله تعالى على العباد، فيعبر العبد عن شكره لله تعالى وحمده عليها جميعاً، فيبوح ويعبر عن شكره بتقديم النعم التي منها الله تعالى عليه، وهو يمثِّل المعنى بكل وضوح فالمعنى كقيمة للملفوظ لا تتحكم فيه اللغة بقدر ما يتحكم فيه مستعملوها[٣]، فالأفعال الكلامية إذا تطابقت دلالتها الحرفية

---

[١] الصحيفة، الهامش الرابع، ص: ٦٧.

[٣] الصحيفة، ص: ١٨.

[١] يُنظر: استراتيجية الخطاب، عبد الهادي الشهري، ص: ٢٣.

مع قوتها الإنجازية تسمى أفعالاً كلامية مباشرة وهي تمثل المعنى الصريح الذي يريده الداعي، فهو لديه مقاصد وراء كلامه يحددها سياق الكلام.

كما نجد هذا النوع من الأفعال الإنجازية أيضاً في قول الإمام (عليه السلام) بعد التكبيرات: **((اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَمِلْتُ سُوءً، وَظَلَمْتُ نَفْسي فَاغْفِرْ لِي))**[1]، يبوح الداعي بذنبه ويعبر عن أنَّه عمل عملاً سيئاً، ويشير إليه بالفعل الكلامي (عملت)، ويطلب من الله سبحانه أن يغفر له هذا العمل، فالغرض الإنجازي الذي خرج له هذا الفعل هو الاعتذار وطلب المغفرة، فالمتكلم ينجز فعلاً كلامياً يعترف فيه بذنبه لله تعالى، وهو فعل إنجازي مباشر خرج للبوح بالذنب راجياً من خلاله التأثير على المتلقي بقبول هذا الاعتراف والندم بالمغفرة والصفح، وأنَّ دلالة الفعل الكلامي جاءت مباشرة في الدعاء، إذ إنَّ الداعي يعترف من خلاله بذنبه بصورة واضحة وصريحة ويطلب غفران ذلك الذنب.

وجاء في الدعاء لطلب دفع الشدائد قوله (عليه السلام): **((اللَّهُمَّ فَإِنِّي أُوفى، وَأَشْهَدُ وَاقِرٌ، وَلَا أُنكِرُ وَلا أَجْحَدُ، وَأُسِرُّ وَأُعْلِنُ وَأظهرُ وَابْطِنُ، بأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لك))**[2]، في هذا الدعاء يقر الإمام (عليه السلام) ويعترف بأنَّ الله سبحانه وحده لا إله غيره ولا معبود سواه، وهنا يعبِّر عن اظهاره لتلك الحقيقة وعدم جحده بها وعدم انكاره لها، فيعبر عن اعترافه بالله سبحانه وتصديقه بربوبيته، وعبَّر عن ذلك التصديق بأفعال كلامية أنجز بها فعل الاعتراف والتصديق وهذه الأفعال هي (أوفي، وأشهد، وأقر، وأسر وأعلن، وأظهر وأبطن)، وهي كلّها أفعال إنجازية مباشرة خرجت للتعبير والبوح بأنَّ الله سبحانه وحده إله السماوات والأرضين لا شريك له ولا معبود سواه، فالغرض الإنجازي المباشر الذي يوضحه سياق الدعاء هو الاعتراف بحق الله سبحانه وتعالى واثبات وحدانيته.

---

(١) الصحيفة، ص: ٩٤.

(٢) الصحيفة، ص: ٢٧.

ومن الأدعية التي احتوت أفعالاً إنجازيةً مباشرة قوله (عليه السلام) لطلب الفرج: **((اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ – فُلانٌ– عَدُوٌّ اللهِ وَعَدُوٌّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَأَلِهِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَشِيعَتِهِ جَحَدَ حَقَّاً، وَادَّعَى بَاطِلاً فَانْزِلْ عَلَيْهِ حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ وَعَذَاباً عَاجِلاً، أمين أمين أمين رَبَّ الْعَالَمِينَ))**[1]، يعبّر الداعي عن موقفه تجاه الكافر وعدو الله سبحانه، وعدو الرسول الكريم وأبنائه من الأئمة الطاهرين عليهم السلام أجمعين، فهو يطلب من الله سبحانه أن يعذبه وينزل عليه حسباناً من السماء، فالغرض التداولي الذي خرج له الفعل الإنجازي (أنزل)، هو التعبير عن ردة فعل الداعي تجاه أعداء الله وأعداء الدين، في الطلب من الله سبحانه معاقبتهم على فعلهم هذا، ويعد هذا الفعل فعل إنجازي مباشر يعبّر فيه عن وجهة نظره تجاه من يعادي الله ورسوله ويجحد حق أهل بيته، فالفعل الكلامي (أنزل)، ينجز فعل وهو طلب العقاب لهؤلاء المجحدين، ويمثّل سياق الدعاء المعنى خير تمثيل فهو طلب واضح ومباشر يعبر به عن انتقامه من أعداء الدين الاسلامي.

الاعلانيات أو الايقاعيات(Declare)

وهي إصدار قرارات وأحكام تحدث تغييراً في العالم الخارجي، ويجب أن تطابق العالم الخارجي، مثل: (اشتري، ابيع، أنزوج، أسمي،...) وقد جاءت في الصحيفة في قول الإمام (عليه السلام) إذا اشترى متاعاً أو دابة أو جارية:

((اللَّهُمَّ إِنِّي اشْتَرَيْتُهُ الْتَمِسُ فيهِ مِنْ رِزْقِكَ، فَاجْعَلْ لِي فِيهِ رِزْقاً اللهُمَّ إِنِّي الْتَمِسُ فيهِ فَضْلَكَ، فَاجْعَلْ لِي فِيهِ فَضْلاً اللَّهُمَّ إِنِّي الْتَمِسُ فيهِ مِنْ خَيْرِكَ وَبَرَكَتِكَ وَسَعَةِ رِزْقِكَ، فَاجْعَلْ لي فيهِ رِزْقاً واسعاً، وَرِبْحاً طَيِّباً هنيئاً مريئاً))[2]، فالفعل (اشتريته) يحمل غرضاً إنجازياً وهو الإعلان عن أمر وقع بين شخصين وهو فعل الشراء، فقد يكون هذا الشراء متاعاً أو دابة إلى غير ذلك فيلتمس فيه الداعي الرزق

---

[1] الصحيفة، ص: ٣٣.

[1] الصحيفة، ص:٧٠.

من الله تعالى، ويأمل أن يكون هذا الشراء فيه ربح له بفضل من الله ومنه على عبده، فيريد أن ينال الخير من الله تعالى وراء شراء هذا الشيء، فينادي الله تعالى في بداية الدعاء ويعلن له اتمامه شراء شيئاً ما؛ ليبارك له الله تعالى فيه ويزيده من فضله ويرزقه برزقه الواسع الحلال الطيب.

فنلتمس في هذا الدعاء فعل إنجازي مباشر وصريح وهو فعل الشراء الذي خرج للإعلان وبيان وقوع الفعل، ليأمل فيه الرزق من الله عزَّ وجلَّ، والفضل، والخير والبركة وسعة الرزق، والربح الهنيء الذي لا أذى فيه ولا شقاء.

وجاءت الإعلانيات في الصحيفة الرضوية أيضاً في قول الإمام (عليه السلام) عند الزواج في الخطبة: **((إِنَّ فُلانَ بْنَ فُلانٍ مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ مُرُوءَتَهُ وَعَقْلَهُ وَصَلَاحَهُ وَنِيَّتَهُ وَفَضْلَهُ، وَقَدْ أَحَبَّ شِرْكَتَكُمْ، وَخَطَبَ كَرِيمَتَكُمْ فُلانَةَ، وَبَذَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ كَذَا، فَشَفِّعُوا شَافِعَكُمْ وَأَنْكِحُوا خَاطِبَكُمْ، فِي يُسْرٍ غَيْرَ عُسْرٍ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ))**[1]، جاءت الأفعال الإنجازية في هذا الدعاء بقوله: (خطب، وأنكحوا)، فيعلن الداعي عن تغيير حال شخص من الأعزب إلى المتزوج وهو من الإنجازيات التي يقع فيها الحدث مباشر ففعل الخطبة والنكاح وقع هنا بصورة مباشرة، يعلن فيها المتكلم عن وقوع أمر، ما وتغير حالة اجتماعية، ويعلن عن دفعهه للصداق المعجل والمؤجل لها ليبين به حقها وأنه جدير بتجهيزها، ويشير إلى صفاته الحميدة التي تقنع الطرف الآخر به بقوله: (قد عرفتم مروءة عقلة وصلاحه ونيته وفضله)، فيبين قدرته على تحمل مسؤولية الزواج وبناء الأسرة.

فالإعلان متمثل في فعل الخطبة والنكاح وهو صادر بطريقة مباشرة في سياق الكلام، وهذا يمثل الدرس التداولي فهو يعد من الأفعال الإنجازية التي نبحث عنها في الصحيفة الرضوية.

---

[2] الصحيفة، ص: ٦٩.

ومن دعائه (عليه السلام) عند دخول المسجد الحرام والنظر إلى البيت وعند الحجر: **((اللَّهُمَّ لَكَ حَجَجْتُ، وإِيَّاكَ أَجَبْتُ، وَإِلَيْكَ وَفَدْتُ، وَلَكَ قَصَدْتُ وَبِكَ صَمَدْتُ، وَزِيارَتَكَ أَرَدْتُ، وَأَنَا فِي فِنَائِكَ، وَفِي حَرَمِكَ وَضَيْفُكَ، وعلى باب بَيْتِكَ نَزَلْتُ سَاحَتَكَ، وَحَلَلْتُ بِفِنَائِكَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي وَرَبُّ هَذَا الْبَيْتِ))**[1]، يعلن في هذا الدعاء عن إنجازه فعل ما وهو إتمام الحج، فيبيّن أنَّه زار بيت الله وحجّ إليه وأتم حجته، فهو بذلك أنجز فعلاً ما وهو فعل الحج، أي أنَّ الفعل تحقق على أرض الواقع، فيُعلنه ويبيّنه في قوله: (لك حججت)، فالقيمة التداولية التي يحملها هذا الفعل هو الإنجاز فعل الحج واتمامه فتغير من حالة الشخص الذي لم يمل حجته بعد إلى الحاج المؤدي مناسك الحج ومتمم ركن من أركان الإسلام، فهو يعلن عن إنجازه هذا الفعل بطريقة مباشرة وواضحة من سياق الكلام، وأنَّ الغرض الذي خرج له الفعل الإنجازي هو الإعلان عن وقوع حدث وهو الحجة.

كما جاء الفعل الإنجازي للإعلان كذلك في قوله (عليه السلام) عند الافطار: **((اللَّهُمَّ لَكَ صُمْنَا بِتَوْفِيقِكَ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْنَا بِأَمْرِكَ، فَتَقَبَّلْهُ مِنَّا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))**[2]، يعبر في الدعاء عن قيامه بفعل ما وهو فعل الصوم الذي أتمه وأكمله إلى الإفطار، وهو بذلك ينجز فعلاً على أرض الواقع يعبّر عنه بالأفعال الكلامية الإنجازية (صمنا، وأفطرنا)، أي أكمل صيام يومه إلى الافطار، فيعلن عن التغيير من حالة الصيام إلى حالة الإفطار، إذ يقال هذا الدعاء عند الإفطار، والقصد من إعلان هذا الفعل هو لنيل رضا الله سبحانه ومغفرته وبيان اتمام صيامه، أمَّا المحتوى القضوي للدعاء فتمثَّل وبحمد الله تعالى على إعانته لإتمامه الصيام إلى الافطار والطلب من الله تعالى تقبّل هذا الصيام، ويعبر عنه بطريقة اعلانية مباشرة، فهو يعلن عن اتمامه الصوم بأفعال إنجازية مباشرة.

---

[1] الصحيفة، ص: ١٠٢.

[2] الصحيفة، ص: ٥٩.

ثانياً: الأفعال الإنجازية غير المباشرة في الصحيفة الرضوية

تشير الدراسات النصِّية إلى أنّ الفعل اللغوي يمثِّل التأكيد على أشياء، أو إعطاء أوامر، أو إثارة أسئلة، أو القيام بوعود أو غير ذلك من الأفعال التداولية التي تركّز على تأويل النصوص بوصفها أفعالاً للغة كالوعود، والتهديدات، والاستفهام والطلبات، ومن ثَمَّ فعبارة المتكلم عن قصده هي إنجاز فعل، وترمي الأفعال إلى صناعة مواقف بالكلمات مع الميل إلى التأثير في المخاطب، بحمله على فعل، أو ترك، أو تقرير حكم، أو إبرام عقد أو إفصاح عن حالة نفسية[١].

وكما عرفنا أنَّ الأفعال الإنجازية غير المباشرة "هي الأفعال التي تخالف قوتها الإنجازية مراد المتكلم"[٢]، وقد افترض سيرل كيفية اتمام التواصل في استعمال الأفعال الكلامية غير المباشرة بين المتكلم والمخاطب وذلك بناءً على وجود خلفيات تواصلية لغوية وغير لغوية مشتركة بين الطرفين، وقدرات المستمع العامة في الاستدلال، فقد يعتمد المتكلم على قدرات المستمع المعرفية في فهم أقواله غير مباشرة، وأنَّ هذه الأفعال الإنجازية غير المباشرة قد ذُكرت بكثرة في أدعية الإمام الرضا (عليه السلام) التي احتوتها هذه الصحيفة، ومن أمثلتها:

قوله (عليه السلام) في المناجاة بثناء الله سبحانه: **((يَا شَقْوَتَاهُ إِنْ ضَاقَتْ عَنِّي سَعَةُ رَحْمَتِكَ إِن طَرَدْتَنِي عَنْ بَابِكَ عَلَى بَابِ مَنْ أَقِفُ بَعْدَ بَابِكَ؟!))**[٣]، نجد المحتوى القضوي للدعاء من تعبيره عن عظيم التعب والشقاء الذي سيواجهه العبد إذا لم يشمله الله تعالى بلطفه ورحمته، ويعبّر عن عظمة هذه الشقاوة باستعمال أداة النداء

---

[١] يُنْظر: نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة دراسة تداولية، محمد مدور، ص: ٥٠.

[٢] إنجازية الخطاب القرآني مقاربة تداولية للفعل الكلامي الكلي في القران الكريم، عابد لرزق، ص: ٣٠٨.

[٣] الصحيفة، ص: ٢١.

(يا) قبلها، وهذا يمثِّل دلالة الدعاء الواضحة وهو النداء لكنَّه ليس المقصد المراد، فالمراد هنا هو نيل الشفاعة من الله تعالى وشمله بها فهو طلب بطريقة غير مباشرة، فالفعل الإنجازي غير المباشر الذي يريده الداعي في هذا الدعاء هو الطلب.

وقد أنجز صاحب الدعاء في سياق دعائه هذا فعلاً كلامياً آخر غير مباشر، وهو اظهار التحسر وعظيم الندم إن لم تسعه رحمة الله سبحانه ومغفرته، وهذا الغرض غير واضح وصريح؛ وإنَّما يفهمه المتلقي من التمعن في مضمون الدعاء، فهو فعل إنجازي غير مباشر يسعى الداعي من خلاله الوصول إلى رضا تعالى والظفر برحمته الواسعة.

ويبدو أنَّ هناك فعلاً إنجازينا غير مباشر تمثل في خروج الاستفهام عن مقتضاه، فالإمام (عليه السلام) لا يقصد السؤال وإنَّما كان يريد اظهار التذلل أمام خالقه، وبيان حل العبد المحتاج إلى سيده ولا يملك أحد سواه.

وجاء الفعل الإنجازي غير المباشر كذلك في قوله (عليه السلام) في الصلاة على النبي وآله: ((**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَالِهِ فِي الْأَوَّلِينَ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَالِهِ فِي الْآخِرِينَ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَالِهِ فِي النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ**))[1]، احتوى سياق الدعاء على فعل إنجازي مباشر وهو النداء والطلب وتمثَّل في النداء بـ(اللهم)، وفعل الطلب (صلِّ)، وتكرَّرت هذه الأفعال الإنجازية كثيراً في سياق الدعاء للدلالة على توكيد الطلب، أما ما نبحث عنه في مضمون الدعاء هو الغرض غير المباشر المتمثِّل في مقصد الإمام (عليه السلام) من وراء هذا الطلب، وهو الدعاء للرسول الكريم، فهو يدعو لرسوله الكريم بطلب الصلاة عليه.

---

[1] الصحيفة، ص: ٢٢.

ويذكر صاحب القاموس "إنَّ الصلاة تعني الدعاء والرحمة والاستغفار وحسن الثناء من الله عزّ وجلّ على رسوله (صلى الله عليه وآله)"[١]، وإنَّ الصلاة على النبي تعد من أفضل العبادات وأجل القربات، فقال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[٢]، كما أنَّها تحمل تأثيراً على المتلقي؛ فالصلاة على النبي سبب لقضاء الحوائج ومغفرة الذنوب؛ لذلك نرى أغلب الأدعية تبدأ بالصلاة على الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله)، وهذا يمثِّل الأثر التداولي لهذه الصلاة المباركة.

كما جاء الفعل الإنجازي غير المباشر في قوله (عليه السلام) لطلب دفع الشدائد: ((**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اَللّهُمَّ إِنَّ ذُنُوبِي وَكَثَرَتَها قَدْ أَخْلَقَتْ وَجْهِي عِنْدَكَ، وَحَجَبَتْني عَنِ اسْتِهْالِ رَحْمَتِكَ، وَبَاعَدَتْني عَنِ اسْتِيجَابِ مَغْفِرَتِكَ**))[٣]، وهو من الأدعية التي ثبتها لنا الإمام الرضا (عليه السلام) في طلب دفع الشدائد، كما نرى أنَّ كلّ مفردة في الدعاء أخذت أثرها في النصّ ليمثل السياق مرتكزاً مهماً في إضفاء الترابط على النصّ، فكلام الإمام في أدعيته سلس ومترابط، ويحكي حال العباد في التوجه بحوائجهم إلى الله تعالى، فينادي في الدعاء ربه ويخبره بكثرة ذنوبه وخطاياه، وأنَّ تلك الذنوب والخطايا تباعده عن رحمة الله تعالى ومغفرته، فالقصد الذي خرج إليه النداء في هذا الدعاء هو طلب غفران الذنوب، فالقصد الظاهر في الدعاء هو نداء لله سبحانه، واخباره واعتراف له بالذنوب والخطايا، ولكنَّ هذا الدعاء يحتمل في ثناياه قصداً آخر غير مباشر أو غير ظاهر يفهم من التمعن في دلالة الدعاء ومعرفة قصد الداعي وهو إظهار التحسر والندم على هذه الذنوب التي تباعده من خالقه وتخرجه من رحمته.

---

[١] معجم القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب (الفيروزآبادي)، تحقيق: أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي، دار الكتب الحديثة (القاهرة، الكويت)، دط ، دت، ص: ١٣٠٤.

[٢] سورة الأحزاب، آية: ٥٦.

[١] الصحيفة، ص: ٢٦.

وجاء في قوله (عليه السلام) في طلب دفع الشدائد: ((**اللهُمَّ فَادْعُنِي يَوْمَ حَشْرِي وَنَشْرِي بِإِمَامَتِهِمْ، وَأَنْقِذْنِي بِهِمْ يَا مَوْلايَ مِنْ حَرِّ النَّيرَانِ، وَإِنْ لَمْ تَرْزُقْنِي رَوْحَ الْجِنَانِ، فَإِنَّكَ إِنْ أعتقتني مِنَ النَّارِ كُنتُ مِنَ الْفَائِزِينَ**))[1]، سياق الدعاء يدلّ على وجود أفعال إنجازية وهي النداء المتمثل في قوله: (اللهم)، والفعل الإنجازي الآخر هو الطلب المتمثل بقوله: (أعنّي، وانقذني)، ويوجد فعل إنجازي ثالث وهو النهي بقوله: (فلا تخيبني، ولا تقطع رجائي، ولا تؤيسني)، إذ تردد ثلاث مرات في سياق الدعاء، وهذه كلّها أفعال منجزة بصورة مباشرة، وأنَّ هذه الأفعال تحتمل تأثيراً إنجازياً آخر لكنه غير مباشر، غير صريح وواضح، يُفهم من التمعن في مضمون الدعاء والغرض منه، وهو نيل الشفاعة من الله سبحانه وتعالى بالتقرب لأهل البيت عليهم السلام، فالغرض الإنجازي غير المباشر الذي نبحث عنه في سياق الدعاء هو الرغبة بنيل الشفاعة، وقد يكون للإمام (عليه السلام) مقصد آخر من هذا الدعاء وهو التنبيه على جواز التوسل بأهل البيت (عليهم السلام)؛ فهم الوسيلة إلى الله سبحانه وتعالى.

وإنَّ الغرض الباطن من هذا الدعاء يدلّ على تحقيق الفعل بالمستقبل في قوله: (يوم حشري ونشري)، أي يوم القيامة يكونون شفعاء له من حر النيران، حتى وإن لم يصل إلى مرتبة الجنان، فيتوسل الداعي بهم إلى الله تعالى وبمكانتهم ومنزلتهم عنده، وإنَّ التوسل إلى الله تعالى بالمعصومين (عليهم السلام) له تأثير كبير في استجابة الدعاء.

ومن أدعيته (عليه السلام) لدفع شر الأعداء في القنوت قوله: ((**اللهم بادِرْهُمْ، اللهم عاجلهم، اللهم لا تُمْهِلْهُمْ اللهُمْ غَادِرْهُمْ بُكْرَةً وَهَجِيرَةٌ وَسُحْرَةً، وَبَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ وَضُحى وَهُمْ يَلْعَبُونَ، وَمَكْراً وَهُمْ يَمْكُرُونَ، وَفُجْأَةً وَهُمْ أَمِنُونَ**))[2]، تضمَّن

---

[1] الصحيفة، ص: ٢٨- ٢٩.

[2] الصحيفة، ص: ٤٥.

سياق الدعاء أفعالاً إنجازيةً ذُكرت بشكل واضح وصريح وهي (النداء والطلب والنهي)، فقد تمثل النداء بقوله: (اللهم) وقد ذُكر أربع مرات في سياق هذا الدعاء، وهذا التكرار يدلُّ على تأكيد المناداة لله وحده لا شريك له، وتمثَّل الطلب بالكلمات (بادرهم، وعاجلهم، وغادرهم)، وهي أفعال تدلّ على الأمر لكنَّه خطاب صاعد لا يجوز الأمر فيه فيسمى في الدعاء لله (طلب)، أمَّا النهي فيشير إليه بـ (لا) الناهية، وقد خرجت هذه الأفعال الإنجازية المباشرة لتدلّ على أفعال إنجازية أخرى لكن بطريقة غير مباشرة، فما نفهمه من مضمون الدعاء، هو أنَّ الداعي يعبِّر عن نيته في الانتقام من الأشرار لتخليص الناس من مكائدهم، فالقصد الإنجازي الذي سعى لتحقيقه هو الدعاء على الأعداء لغرض الانتقام منهم؛ لنيل جزائهم المستحق لهم.

ونجد الأفعال الإنجازية غير المباشرة في الدعاء في قوله (عليه السلام): **((يَا مَنْ حَارَتْ فِي كِبْرِيَاءِ هَيْبَتِهِ دَقَائِقُ لَطَائِفِ الْأَوْهَامِ، وَحَسِرَتْ دُونَ إِدْرَاكِ عَظَمَتِهِ خَطَائِفُ أَبْصَارِ الْأَنام، يا عَالِمَ خَطَرَاتِ قُلُوبِ الْعالَمينَ، ويَا شَاهِدَ لَحَظَاتِ أَبْصَارِ النَّاظِرِينَ))**[1]، إنَّ الدخول في مضمون الدعاء وإيصال مقصده في التوجيه الخطابي يكون مباشراً أو غير مباشر[2]، وقد يذكر المتكلم أفعالاً إنجازيةً مباشرةً يريد أن يصل من ورائها إلى إنجاز أفعال غير مباشرة، والظاهر من هذا الدعاء أنَّ الإمام (عليه السلام) ينادي ربه، وهو بذلك ينجز فعلاً مباشراً وهو (النداء)؛ نستدل عليه من وجود حرف النداء (يا)، الذي تكرَّر في الدعاء ثلاث مرات، ولكن هنالك غرض غير مباشر ينجزه الإمام (عليه السلام) من هذا النداء وهو الوصف البليغ لقدرة الله تعالى، وهو أيضاً مدح وتعظيم وتمجيد لله سبحانه، وهو يمثِّل فعلاً إنجازياً غير مباشر وهو المقصود في الدعاء، فالغرض التداولي الذي خرج له الفعل الإنجازي هو

---

[1] الصحيفة، ص: ٤٦.

[2] يُنْظر: قراءة لغوية في الصحيفة السجادية، كريم حسين ناصر الخالدي وحميدة صالح البلداوي، دار صفاء – عمان، ط١، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م، ص: ١٩٠.

التعبير عن قصد غير ظاهر أو غير مباشر للداعي، وهذا يدلّ على فصاحة الإمام (عليه السلام) وبلاغته في هذا الوصف الدقيق الذي يجسد به الذات الإلاهية.

ومن أدعيته (عليه السلام) في العوذة للشقيقة: **((اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَسْتَ بِالْهِ اسْتَحْدَثْنَاهُ، وَلَا بِرَبٍّ يَبِيدُ ذِكْرُهُ، وَلَا مَعَكَ شُرَكَاءُ يَقْضُونَ مَعَكَ، وَلا كَانَ قَبْلَكَ إِلَهُ نَدْعُوهُ، وَنَتَعَوَّذُ بِهِ وَنَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ، وَنَدْعُكَ وَلَا أَعَانَكَ عَلَى خَلْقِنَا مِنْ أَحَدٍ، فَنَشُكُ فِيكَ))**[1]، يحتوي مضمون الدعاء على فعل إنجازي صريح وواضح من سياق الدعاء وهو النداء بقوله: (اللهم) أي: يا الله، وكذلك يوجد فعل آخر أنجزه الإمام (عليه السلام) وهو فعل النفي يشير إليه بأدوات النفي (لست، لا)، بأكثر من موضع في سياق الدعاء، لكنَّ المقصد هنا هو ليس النفي فقط، فعند التمعّن بمضمون الدعاء وما يريد الإمام (عليه السلام) أن يوصله، نرى أنَّ هذا النداء والنفي خرجا ليُنجزا فعلاً آخرَ غير ما هو ظاهر في سياق الدعاء، وهو تعظيم الله سبحانه وتمجيده وإثبات وحدانيته وأزليته، بأنَّه وحده الإله الحق والمقصود بالحوائج ولا إله غيره، إذ يثبت الربوبية لله تعالى وأنَّه لا إله غيره، وهذا ما يعرف بالفعل الإنجازي غير المباشر.

ومن قوله (عليه السلام) بعد تهديده لقبول الولاية: **((اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنّى مُكْرَهُ مُضْطَرٌ، فَلا تُؤَاخِذْنِي، كَمَا لَمْ تُؤْاخِذْ عَبْدَكَ وَنَبِيَّكَ يُوسُفَ حِينَ وَقَعَ إِلَى وِلايَةِ مِصْرَ))**[2]، أحتوى سياق الدعاء على أفعال إنجازية صريحة حملت معانٍ إنجازية أخرى مضمرة أو غير صريحة وتسَّمى في المنظور التداولي غير مباشرة، فيبدأ الإمام (عليه السلام) دعائه بالنداء بقوله (اللهم)، كما أنَّه يقرّب العبد من ربه، لذلك ينادي الله سبحانه بهذا القول.

---

[1] الصحيفة، ص: ٥٦.

[2] الصحيفة، ص: ٧١.

ونجد في الدعاء أيضاً فعلاً إنجازياً مباشراً آخر وهو النهي في قوله: (لا تؤاخذني)، ونصل من خلال هذه الأفعال الإنجازية المباشرة إلى أفعال إنجازية غير مباشرة، وهي المقصودة في الدعاء، وهي الاعتذار من الله سبحانه وتبرئة نفسه من هذا الفعل الخاطئ، وهو مبايعة الظالمين، فيبيّن أنَّه مجبر على هذا الأمر ويطلب العفو والصفح على ذلك، فالغرض الإنجاز غير المباشر الذي خرج له الفعل هو الاعتذار وطلب العفو والصفح.

ومن ذلك أيضاً جاء في دعائه لولده المهدي (عليه السلام): **((اللّهُمَّ فَإِنَّا نَشْهَدُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَوْمَ حُلُولِ الطَّامَّةِ، أَنَّهُ لَمْ يُذْنِبُ ذَنْباً وَلَمْ يَأْتِ حَوْباً، وَلَمْ يَرْتَكِبْ (لَكَ) مَعْصِيَةً، وَلَمْ يُضَيِّعْ لَكَ طَاعَةً وَلَمْ يَهْتِكْ لَكَ حُرْمَةً، وَلَمْ يُبَدِّلْ لَكَ فَرِيضَةً، وَلَمْ يُغَيِّرْ لَكَ شَرِيعَةً))**[1]، وردت أفعال إنجازية كثيرة في هذا الدعاء منها النداء بقوله: (اللهم)، وكذلك الفعل الإخباري (نشهد)، وكذلك النفي الذي جاء بكثرة في نفي أفعال عن الإمام (عليه السلام)، وتمثل بحرف النفي (لم)، فكل هذه أفعال إنجازية جاءت في الدعاء.

لكن ما نبحث عنه هو الغرض الإنجازي المضمر في الدعاء، فالقصد هنا غير ظاهر أو غير مباشر، فيجب إمعان النظر في نص الدعاء للوصول إلى ما يريده الإمام (عليه السلام)، فالغرض الإنجازي الذي يقصده الإمام (عليه السلام) في هذا الدعاء هو المدح بالإمام المهدي (عليه السلام) وذكر صفاته الحميدة والتنبيه والتأكيد على عصمة الإمام المهدي (عليه السلام).

وفي دعائه (عليه السلام) لهداية رجل إلى مذهب الحق: **((اللَّهُمَّ خُذْ بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَمَجَامِعِ قَلْبِهِ حَتَّى تَرُدَّهُ إِلَى الْحَقِّ))**[2]، يشير الدعاء إلى وجود أفعال إنجازية مباشرة وهي النداء بقوله: (اللهم)، والطلب المتمثل بفعل الأمر (خذ)، ولكن مضمون

---

[1] الصحيفة، ص: ٧٤.

[2] الصحيفة، ص: ٧٨.

الدعاء يحمل بعداً إنجازياً آخرَ غير مباشر، يفهم من التمعن في سياق الدعاء، وفي هذا الدعاء الفعل الإنجازي غير المباشر هو الهداية، فالداعي يطلب من الله سبحانه ويناديه لغرض هداية شخص ما وجعله يبصر طريق الحق، كي يكون على الطريق المستقيم.

وتمثل (حتى) مقصد الدعاء خير تمثيل، فالغاية من الأخذ بسمع المدعو له وبصره وقلبه، لكي يهتدي إلى طريق الحق والإيمان، أي أن يتولى الله تعالى السيطرة على أهوائه وإبعاده عن الضلالة، حتى يعيده إلى طريق الحق الذي زال عنه واتبع هواه.

وقوله (عليه السلام) في قنوت صلاة الكسوف: **((اللهُمَّ لَا تُعَذِّبْنَا بِعَذَابِكَ وَلا تُسْخِطْ عَلَيْنَا بِسَخَطِكَ، وَلا تُهْلِكْنا بِغَضَبِكَ، وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنا، وَاعْفُ عنا وَاغْفِرْ لَنَا، وَاصْرِفْ عَنَّا الْبَلَاءَ، يَا ذَا الْمَنْ وَالطَّوْلِ))**[1]، احتوى الدعاء على فعل إنجازي يتمثَّل بالنهي، وتدل عليه أداة النهي (لا)، ولكنَّ هذا النهي خرج لينجز فعلاً كلامياً غير مباشر وهو الطلب لأن النهي لا يتحقق في الدعاء؛ لأنه صادر من العبد إلى خالقه، فبالنظر إلى مضمون الدعاء نجد أنَّ هذا النهي المراد منه هو طلب الصفح والعفو والمغفرة، فالغرض التداولي الذي نبحث عنه في سياق الدعاء هو المعنى الخفي غير الظاهر، أو كما أسماه سيرل غير المباشر وهو الفعل الذي أنجزه في هذا الدعاء وهو الطلب، فيطلب من الله سبحانه أن لا يعذبه وأن يرضى عنه ولا يسخط عليه.

ونرى أنَّ الإمام (عليه السلام) يدعو لجماعة لا لنفسه فحسب، والذي يدلّ على ذلك هو إشارته بالضمير المتصل (نا) الذي يدل على جماعة المتكلمين، وهذا يدل على رأفة الإمام (عليه السلام) ورحمته وعطفه، فهو يدعو لنفسه وللمؤمنين، ونستدل

---

[1] الصحيفة، ص: ٩٦.

من ذلك على أخلاق الداعي وهو الإمام الرضا (عليه السلام)، في شمل الناس معه في الدعاء، فهو يرسم لنا صورة واضحة للتآخي والتراحم بين الناس.

المبحث الثالث

المقاصد في الصحيفة الرضوية وعلاقتها بنظرية أفعال الكلام

أولاً: المفهوم القصدية

ذكرها ابن منظور (٧١١هـ) في مادة (قصد): الْقَصْدُ: اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ، قَصَدَ يَقْصِدُ قَصْداً فَهُوَ قَاصِدٌ، وَجاءَ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾[١]، أَيْ عَلَى اللهِ تَبْيِينُ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ وَالدُّعَاءُ إِلَيْهِ بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ الْواضِحَةِ، وَهُناكَ طَرِيقٌ جَائِرٌ أَيْ غَيْرُ قَاصِدٍ وَطَرِيقٌ قَاصِدٌ: سَهْلٌ مُسْتَقِيمٌ، وَيُقَالُ لِلسَفَرِ قَاصِد أَيْ سَفَرٌ سَهْلٌ وَقَرِيبٌ وَغَيرُ شَاقٍ، وَطَرِيقٌ قَاصِدٌ: سَهْلٌ مُسْتَقِيمٌ، وَالْقَصْدُ الْعَدْلُ، وَجاءَ فِي الْحَدِيثِ: كَانَتْ صَلاَتُهُ قَصْداً وَخُطْبَتُهُ قَصْداً، وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضَاً: عَلَيْكُمْ هَدْياً قَاصِداً، أَيْ طَرِيقاً مُعْتَدِلاً، وَقَصَدْتُ قَصْدَهُ: نَحَوْتُ نَحْوَهُ[٢].

وجاءت القصدية في صحاح العرب للجوهري (٣٩٨هـ)، في مادة (قصد)، القَصْدُ: إِتيَانُ الشَّيءِ، تَقُولُ قَصَدْتُهُ وَقَصَدْتُ لَهُ، وَقَصَدْتُ إِلَيه بِمَعنَى، وَقَصَدْتُ قَصْدَهُ: نَحَوْتُ نَحْوَهُ، وَقَصَدْتُ العودَ قَصْداً: كَسَرتَهُ، وَأَقْصَدَ السَّهمُ: أَيْ أَصَابَ فَقَتَلَ مَكَانَه، وَالقَصْدُ: العَدْلُ[٣].

ونستنتج من ذلك أنَّ القصد في المعنى اللغوي هو إتيان الشيء لغاية في نفس المتكلم، وهو العدل والاستقامة والبيان، ويستمد القصد مفهومه من كلّ فعل كلامي يفترض فيه وجود نية التواصل والإبلاغ.

---

[١] سورة النحل، آية: ٩.

[٢] يُنْظر: معجم لسان العرب، ، دار صادر _ بيروت، ط٢، ١٩٩٧م، ٣/ ٣٥٣ .

[٣] يُنْظر: معجم تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث ـــ القاهرة، ٢٠٠٩م، حرف القاف، ص: ٩٤٤.

أمَّا في الاصطلاح فيعرّف برنتانو (ت ١٩١٧)[١] (Brentano Clemens Franz) القصدية: "بأنَّها صفة للأفعال العقلية أو الذهنية التي يتجه الوعي بها نحو شيء ما، بطريقة أو بأخرى، أو هي وصفٌ للأفعالِ العقليةِ والوجدانية التي تتوسط بيننا وبين الأشياء"[٢]، فالقصدية كما يرى برنتانو تعد سمة من سمات العقل.

ويعرِّف (هوسرل (ت ١٩٣٨))[٣] القصدية بأنَّها: "تلك الخاصية المتعلقة بالكثير من الحالات العقلية والأحداث، التي من خلالها تكون موجهة إلى، أو متعلقة بِ، أو حول موضوعات بعينها، أو قضايا في العالم"[٤]، فيربط هوسرل القصدية بالعقل فهو الموجّه لقضايا العالم الخارجي، فيرتبط بما يفكِّر فيه العقل ويسعى إلى الوصول إليه.

---

[١] برنتانو فرانز (١٨٣٨-١٩١٧)، وهو فيلسوف ألماني، درس الفلسفة في برلين وميونخ، كلف برنتانو في عام ١٨٦٦ بإلقاء محاضرات في عدد من الجامعات، وفي عام ١٨٧٤، عين أستاذاً في جامعة فيينا، إذ اكتسب شهرة واسعة، لكنه اضطر في عام ١٨٨٠إلى مغادرة النمسا؛ نتيجة خلافات سياسية ودينية نشبت بينه وبين السلطات، ومن مؤلفاته: (في مختلف دلالات الوجود حسب أرسطو عام ١٨٦٢، و مذهب ارسطو في أصل الذهن البشري عام ١٩١١، علم النفس المنظور الاختباري عام ١٨٧٤). يُنْظر معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص: ١٦٩

[٢] المنطق عند أدموند هوسرل، يوسف سلامة، دار حوران، ط١، ٢٠٠٢م، ص: ١٢٤.

[٣] أدموند هوسرل (١٨٥٩-١٩٣٨)، وهو فيلسوف ألماني، تتلمذ على يد برنتانو، نشر عام ١٨٩١م فلسفة الحساب حلل فيها مسائل الاختراع واستخدام الرموز العددية، انتقد هوسرل النزعة السيكولوجية، طرح المسألة الانطولوجية، وقدم المنطق الصوري مثله مثل الرياضيات، على أنَّه نظرية في الموضوع، وله عدة مؤلفات منا: (مباحث منطقية ١٩٠٠، والفلسفة كعلم صارم ١٩١١، المدخل العام إلى الفينومينولوجيا الخالصة ١٩١٣، والمنطق الصوري والمتعالي ١٩٢٩). يُنْظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص: ٧١٢ - ٧١٣.

[٤] مفهوم القصدية في اللسانيات التداولية، د. بن زحاف يوسف، المركز الجامعي أحمد زبانه، غليزان، الجزائر، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، المركز الديمقراطي العربي، العدد ١٢، المجلد ٣، آذار مارس ٢٠٢٠م، ص: ٢٣.

أمَّا (سيرل) فيرى أنَّ القصدية: "هي تلك السمة العقلية التي يتوجه بها العقل إلى أو حول أو عن الموضوعات وظروف العالم، وهي قبل كل شيء ظاهرة بيولوجية مشتركة بين البشر وبعض الحيوانات الأُخرى"[١]، ويرى أنَّ للقصدية أشكالاً وهي: الأشكال البدائية: بيولوجيا مثل الوعي، والإدراك، والأفعال المتعددة، والجوع، والعطش، والمشاعر مثل: الغضب والشهوة والخوف، وأشكال ثانوية: هي أشياء مثل الإيمان، والرغبة، والأمل[٢]، فيربط سيرل القصدية بالشعور، إذ لا يمكننا فهم القصدية إلا من خلال الشعور.

فنجد أنَّ جميع التعريفات السابقة تربط القصدية ربطاً مباشراً بالعقل، فالقصدية تعد صفة للأفكار العقلية التي تربط الوعي بالأشياء، أي تربط حالات الفرد الذهنية بالعالم، والتي بموجبها يتمّ اختيار موضوعات العالم الخارجي؛ لذلك فهي تحتل مكانة متقدمة في اللسانيات التداولية، ولا يمكن للتحليل التداولي أن يستغنى عنها.

ثانياً: الظهور الفلسفي للقصدية

إنَّ الاهتمام بمفهوم (القصدية) قديم في الفكر الفلسفي الأوربي، وهو يرجع إلى العصر الوسيط، بل يرجع إلى ما قبل العصر الوسيط إلى بواكير الفلسفة اليونانية[٣]، فكانت نظرية القصد سائدة لدى فلاسفة العصور الوسطى، والقصد عندهم هو الفعل الذي يتجه فيه العقل نحو الموضوع ليدركه، وفعل القصد هو فعل التوجه نحو

---

[١] رؤية الاشياء كما هي نظرية الإدراك، جون سيرل، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم علي، علم المعرفة، ٢٠١٨م، ص: ٤٣.

[٢] يُنْظر: رؤية الاشياء كما هي نظرية الإدراك، جون سيرل، ص: ٤٣.

[٣] يُنْظر: مفهوم القصدية في اللسانيات التداولية، بن زحاف يوسف، ص: ٢٣.

الموضوعات الخارجية[١]، أي إدراك العقل للموضوعات في العالم الخارجي وتوجيه الأفكار نحوها.

ويعد برنتانو أول من أدخل مفهوم القصدية إلى الفكر الحديث بقصد التمييز بين الظاهرة الطبيعية والظاهرة النفسية، وانتهى إلى عدّها الصفة الأساسية التي تميِّز الظواهر النفسية، فتمييز الظاهرة النفسية يكون من خلال الوجود القصدي للموضوع الذي يميز الظاهرة الذهنية عن الطبيعية، فكل ظاهرة ذهنية تتميَّز بما أسماه المدرسيون الوجود القصدي أو العقلي للموضوع[٢]، فالقصدية في فكر برنتانو هي نشاط عقلي يميز من خلاله الظواهر النفسية والعقلية التي يريدها المتكلم.

وأشار برنتانو إلى وجود فئتين من العلاقات، علاقات أولية وعلاقات ذهنية، فأمَّا العلاقات الأولية فعنده ترتبط بالظواهر الطبيعية، أي العالم الخارجي، وأمَّا العلاقات الذهنية فهي تستند إلى أفعال قصدية، كالتخيل والحكم والرغبة...، وتساعد هذه الأفعال على ترابط الموضوعات فيما بينها[٣]، فيؤكد برنتانو على أنَّ القصدية هي السمة المميزة للظواهر العقلية.

كما يرى برنتانو أنَّ القصدية هي الخاصية الأساسية المميزة لكل الخبرات أو الظواهر النفسية، إذ ترتبط كل ظاهرة بموضوعها ارتباطاً تلازمياً، وهو الأمر الذي

---

[١] يُنْظر: أسس المنهج الظواهري عند (إدموند هوسرل)، فريدة غيوة، مجلة التواصل، ع٤، جوان ١٩٩٤ م، ص: ٩٤.

[٢] يُنْظر: إشكالية القصدية في الممارسة النقدية، بوزيد صابرية، إشراف هواريب القاسم، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص: ٨٤.

[٣] يُنْظر: الفينومينولوجيا المنطق عند أدموند هوسرل، يوسف سليم سلامة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ٢٠٠٧م، ص: ١٢٤.

يعدَّه هوسرل اكتشافاً عظيماً بدونه ما كان يمكن للفينومينولوجيا أن تقوم على الاطلاق[١]، وبذلك فهو يرى أنَّ القصدية تعد سمة مميزة للظواهر العقلية.

ثم جاء (هوسرل) فأخذ فكرة القصدية عن أستاذه برنتانو، وتُمثِّل القصدية عنده العنصر الذاتي، بل النفسي الخالص في المعرفة، فالقصد كما يقول هوسرل: " اتجاه الذات نحو موضوع متجه إليه"[٢]، أي الموضوع الذي يميل إليه ذات الإنسان فيقصده، وبعضهم من يرى بأنَّ هوسرل أول من جاء بفكرة القصدية فيقول جارود: "الفكرة الجديدة التي أدخلها هوسرل في الفلسفة المعاصرة هي فكرة الاتجاه القصدي"[٣].

لم يبقَ مفهوم القصدية على ما أراده برنتانو في تمييز الظواهر النفسية والطبيعية، وإنَّما أدخل عليه هوسرل تعديلات فقام بتحويله من مجرد مقولة نفسية سيكولوجيّة إلى مقولة منطقية، فقد أصبحت عند هوسرل نظرية أساسية في الفينومينولوجيا، وطوَّرها هوسرل عبر ثلاث مراحل: (المرحلة الرياضية، والمرحلة المنطقية، والمرحلة الفينومينولوجيا)[٤].

حاول هوسرل في كتابه فلسفة الخطاب عام (١٨١٩م)، حل المشكلات الرياضية والمنطقية وتفسير المفاهيم والتصورات الأساسية الرياضية تفسيراً نفسياً،

---

[١] يُنْظر: الخبرة الجمالية دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية، هيدجر سارتر ميرلو بونتيد وفرينان جاردن، سعيد توفيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص : ٣٠.

[٢] تأملات ديكارتية أو المدخل إلى الفينومينولوجيا، أدموند هوسرل، ترجمة: تيسير شيخ الأرض، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٨م،، ص: ١٣٢.

[٣] نظرات حول الإنسان، روجيه جارودي، ترجمة: د. يحيى هويدي، القاهرة، ١٩٨٣م، ص: ٣٦.

[٤] يُنْظر: الفينومينولوجيا عند هوسرل دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر، سماح رافع محمد، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، العراق ــ بغداد، ط١، ١٩٩١م، ص: ١٨٩.

فاشتق المفاهيم الأساسية في الرياضة من أفعال نفسية محددة[١]، فوجد أنَّ فكرة القصدية يمكنها أن تقدم تفسيراً نفسياً لكيفية تحقيق الوحدة الداخلية للتكوين العددي عن طريق ربط المجال الخارجي للموضوعات المتعددة بفعل الإدراك الشعوري الداخلي[٢]، فأصبحت طبيعة القصدية في هذه المرحلة نفسية محدودة.

ثم تراجع هوسرل عن النتائج التي توصل إليها في التفسير النفسي التجريبي في المرحلة الرياضية، وجعل القصدية للشعور الإدراكي في المرحلة المنطقية، ودمجها بالمشكلات النفسية، وأهمل الطابع التجريبي النفسي الجامد، فقام هوسرل بانتقاد أستاذه برنتانو في قصديته الشعورية النفسية[٣]، فاشتق قوانين المنطق من قوانين علم النفس، وجعل القوانين المنطقية قوانين نسبية واحتمالية؛ لأنَّها تستند إلى الاستقراء[٤]، فارتقى في هذه المرحلة إلى المعنى الخالص للمعرفة وإدراك قيمة الماهيات.

ثم رأى هوسرل أنَّه يجب تأسيس علم نفس فينومينولوجي جديداً يكون هدفه الاختيار النسقي المنظم لأنماط وأشكال التجربة القصدية، وردَّ مكوناتها إلى مقاصدها الأولية بوصفها الخلفية الثابتة التي تؤسس عليها المعرفة اليقينية المطلقة[٥]، فهو بذلك يرى أنَّ مهمة علم النفس الفينومينولوجي تكمن في استكشاف الوعي القصدي.

يجمع الباحثون على أنَّ الظاهراتية أو الفينومينولوجيا التي أوجدها هوسرل هي تطور لفلسفة برنتانو، الذي يرى أنَّ ماهية الوعي دائماً وعيٌ بشيء، فقد استعمل هوسرل الفينومينولوجيا للدلالة على منهج فكري واضح، ففي علم النفس تدل على

---

[١] يُنْظر: الفينومينولوجيا المنطق عند ادموند هوسرل، يوسف سلامة، ص: ١٣٨.

[٢] يُنْظر: إشكالية القصدية في الممارسة النقدية، بوزيد صابرية، ص: ٨٧- ٨٨.

[٣] يُنْظر: المصدر السابق، ص: ٨٨.

[٤] يُنْظر: الفينومينولوجيا المنطق عند ادموند هوسرل، يوسف سلامة، ص: ١١٩.

[٥] يُنْظر: الفينومينولوجيا عند هوسرل دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر، سماح رافع محمد، ص: ١٨٦.

الظواهر النفسية (كالإدراك، والرغبة، ومظاهر الوعي،...)، أما في الفلسفة فاستعملها في معالجة مشكل الوجود لأية ظاهرة واتصالها بالوعي، بقصد رصد تركيبات الظواهر الجوهرية الثابتة التي تتجلى للوعي[١].

وأنَّ أهم المفاهيم التي تستند إليها الفينومينولوجيا هو الطابع القصدي للوعي، فهو يعد بمثابة المفتاح للفينومينولوجيا الذي يساعدها في فهم العلاقة بين الوعي والوجود الخارجي بموضوعاته ومكوناته[٢]، وأنَّ هذا التطور الذي انتهى إليه هوسرل جعل للقصدية معنىً معقداً، فإنَّ فعل القصد عنده أصبح وسيلة نخلق به لأنفسنا موضوعاً بعد أن كان شيئاً غير معيَّن أو يصعب وصفه[٣].

ثم جاء سيرل ففسَّر قصدية اللغة بقصدية العقل وليس العكس، فالأصوات والعلامات تشير إلى أشياء وحوادث؛ لأنَّ العقل يفرض قصدية عليها، أي أنَّ معنى اللغة هو قصدية مستمدة من قصدية العقل[٤]، فيقول في ذلك: "إنَّ الأشكال الأساسية للوعي والقصدية يسببها سلوك العصابات وتتحقق بجهاز الدماغ الذي هو بدوره يتشكل من عصابات"[٥]، فالعطش، والجوع، والخوف، والرغبة، والإدراك،... كلّها ظواهر قصدية، وهي حالات ذهنية تتشكَّل داخل الذهن البشري، ويقول سيرل:

---

[١] يُنْظر: القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، وشن دلال، كلية الآداب واللغات جامعة محمد خضير، بسكرة الجزائر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد: ٦، ٢٠١٠م، ص: ٧- ٨.

[٢] يُنْظر: الفينومينولوجيا والبحث في الإنسان، د. مجدي عرفة، مجلة الإنسان والتطور، أبريل ١٩٨٠م، ص: ٥.

[٣] يُنْظر: الفينومينولوجيا المنطق عند أدموند هوسرل، يوسف سلامة، ص: ١١٩.

[٤] يُنْظر: العقل مدخل موجز، جون سيرل، ترجمة : أ. د. ميشيل حنا متياس، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٧م، ص: ١٤٠.

[٥] العقل مدخل موجز، جون سيرل، ص: ١٤٢.

"القصدية تمتلك توجه تناسب عالمي نحو العقل، أو مسؤولية تناسب العالم نحو العقل"[١]، فهو يرى أنَّ القصدية تربط حالات الفرد الذهنية بالعالم الواقعي.

ويرى سيرل أنَّ مصطلح (القصدية intentionality)، لم يكن دقيقاً وأدَّى في معظم الحالات إلى نوع من الخلط داخل المذهب التقليدي نفسه، فهو لا يُلزم نفسه بالصفات التي ينسبها التراث الفلسفي لمصطلح القصدية، ويطرح وجهة نظره في مصطلح القصدية في ثلاث نقاط:

١- يرى سيرل أنَّ هناك حالات تكون قصدية، وهناك حالات لا تكون قصدية، فالحالات التي تكون قصدية هي الحالات غير الموجهة، ويطلق عليها سيرل الحالات غير المباشرة مثل: البهجة، والقلق، والاحباط، والانفعالات، والسعادة،...، تأتي من غير تحسب مسبق لها، أمَّا الحالات التي يعدها سيرل قصدية وهي الحلات الموجهة، أو التي يسميها سيرل المباشرة مثل: المعتقدات، والمخاوف، والرغبات،...، فيميِّز سيرل بين هاتين الحالتين وفقا للطريقة التي يتمّ بها التعبير عن الكلام ومقاصده، ووفقا للقيود التي تخضع لها تلك الحالات[٢].

٢- فرَّق سيرل بين القصدية والوعي، فهو يرى بأنَّ هناك العديد من الحالات الواعية ليست قصدية، مثل الفرح أو الشعور المفاجئ بالسعادة، وفي المقابل هناك حالات قصدية لكنَّها غير واعية، مثل المعتقدات الثابتة التي لم نفكر بها، فلا يوجد هناك داعي للتفكير بها[٣].

٣- تعد المقاصد والقصد مجرد صورة من صور القصدية، فيفرّق سيرل بين القصد والقصدية عن طريق المعنى العلمي لكلا الكلمتين، فالقصدية تعني التوجه،

---

[١] المصدر السابق، ص: ١٤٥.

[٢] يُنْظر: القصدية بحث في فلسفة العقل، جون سيرل، ترجمة : أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ٢٠٠٩م، ص: ٢١- ٢٢.

[٣] يُنْظر: المصدر السابق، ص: ٢٢.

والقصد يعني قصد عمل شيء معين أو النية، ويعدّ القصد نوعاً من أنواع القصدية وصورة من صورها، فحسب وجهة نظر سيرل لا يكون القصد من القيام بفعل معين إلا مجرد صورة من صور القصدية، وقد أدَّى التركيز على القصدية والقصد إلى تصور أنَّ المقاصد بالمعنى العادي لها دور خاص بالنظرية القصدية[1].

والقصدية كما يراها فلاسفة اللغة تعد توجهاً يطلقه الوعي تجاه موضوع ما، فهي تمثِّل نمط العلاقة التي تربط الوعي بمضمون الظاهرة، فقد ربط الفلاسفة الوعي بالقصدية ارتباطاً وثيقاً؛ لأنَّ المقاصد تنبع من توجه الفرد نحو شيء ما وهذا التوجه نابع عن وعي تام بالموضوعات التي يتوجه إليها.

ثالثاً: القصدية ونظرية أفعال الكلام

تشكِّل نظرية أفعال الكلام محور التداولية، وقد أرسى قواعدها أوستين ثم طوَّرها وعمَّقها تلميذه سيرل، وتعدّ هذه النظرية من أهم النظريات التي اهتمت بالمضامين والمقاصد التواصلية، وأخذ أوستين مبدأ القصدية من هوسرل وأدخله في تحليله لنظرية أفعال الكلام، وعدَّ أوستين كلّ فعل كلامي يقوم على مبدأ القصدية، وكذلك للسياق أهمية كبيرة في فهم قصد المتكلم في الخطاب[2]، كما أنَّ اللغة العامل المهم في تعبير المتكلم عن قصده، فاللغة هي التي تحدد معنى الكلام أو الخطاب، وأنَّ غاية قصد المتكلم هي إفهام السامع.

يرتبط الفعل الإنجازي بمقاصد المتكلم ارتباطاً وثيقاً، ويعدّ الفعل الإنجازي فعلاً هاماً في نظرية أفعال الكلام، فيحقق المتكلمون بمساعدة الفعل الإنجازي أشد مقاصدهم تعقيداً، وعادة ما يحقق الناس مقاصدهم بطريقة غير مباشرة، فقد يفرِّق الناس في لغتهم السائرة بين ما يقال وما يقصد بشكل حدسي، فالمعنى يتعلَّق بالجانب الإنجازي للفعل الكلامي، فالإنجاز يعد جانياً قصدياً في نظرية أفعال

---

[1] يُنْظر: المصدر السابق، ص: ٢٣.

[2] يُنْظر: استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، ص: ١٨٢.

الكلام؛ لأنَّه يشمل الموقف التواصلي الكلي[١]، فلا يتمّ إنجاز الأفعال دون تفاعل وتواصل بين طرفين أو عدة أطراف في العمليات الخطابية.

ويرى أوستين أنَّ المقاصد تتعلق بالفعل وخاصة بالفعل الإنجازي وما يحمله من إشباع يمثِّل مقصد المتكلم، ويقول محمود نحلة: "أنَّ الفعل الإنجازي يرتبط عند أوستين ارتباطاً وثيقاً بمقصد المتكلم وعلى السامع أن يبذل الجهد الكافي للوصول إليه"[٢]، فعند ما نحلِّل خطاباً معيناً أو كلاماً موجهاً يجب أن نعرف مقاصد هذا الكلام حتى يتسنى لنا فهمه، وبذلك تُعد المقصدية إحدى المقومات الأساسية للنصِّ، باعتبار أنَّ لكل منتج خطاب غاية يسعى إلى بلوغها، أو نية يريد تجسيدها، فيرى أوستين أنَّ للقصدية أثراً كبيراً في تحقيق الأفعال الإنجازية وإثباتها.

ركَّز جون سيرل على مفهوم القصدية فاعتبر "أنَّ فعل الكلام يعد مظهرًا من مظاهر القصدية؛ لأنَّ معرفة الرسالة أو القول لا تنحصر في فهم نظام اللغة وحده، بل يتطلب الأمر معرفة مسبقة بالسياقات التي تتجاوز حدود الدلالة اللسانية التقليدية إلى خلق دلالات تنسجم وتتلاءم وفعل الكلام باعتباره مظهرًا للقصدية..."[٣]، ومن هذا نرى أنَّ كلّ عملية قول معينة هي تقصد شيئاً بعينه.

يرى سيرل بأنَّ المضمون القضوي أمر مهم في الحالات القصديَّة، فكلّ كلام يحتوي على مقاصد فيه مضمون قضوي، وأنَّ وجود القصدية أكثر أهمية من وجود المضمون القضوي في نظرية أفعال الكلام، فأحياناً توجد أفعال كلام لا تحتوي على

---

[٢] يُنْظر: مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، زتسيلاف وأورزنياك، ترجمة : أ. د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص: ٢١ - ٢٢.

[٢] آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص: ٦٩.

[٣] عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير، افريقيا الشرق – المغرب، ٢٠٠٦م، ص٧١ .

مضمون قضوي مثل: (آخ، وأهلا، ومع السلامة،...)[١]، إذ يقول سيرل: "إنَّنا عند تقديم فعل كلامي ذي مضمون لغوي، نعبِّر عن حالة قصدية معينة بهذا المضمون اللغوي (القضية)"[٢]، فيقصد سير أنَّ كلّ فعل كلامي نريد فيه طرح قضية، أو توضيح مضمون، أو طلب، أو أمر، أو نهي، فلا بدَّ من أن يكون هناك قصد وراء هذا المضمون، فإذا أصدرتُ وعداً بفعل شيء ما فإنّي أُعبِّر عن قصد أو نية القيام بهذا الفعل، وإذا أعطيت أمراً بفعل شيء ما فإنّي أقصد التعبير عن رغبتي في القيام بهذا الفعل، ويذكر سيرل أنَّه يجب أن تكون المقاصد والنوايا صادقة، فإنَّك عندما تهنئ شخصاً بنجاحه يجب أنْ يكون قصدك صادقاً في التعبير عن فرحتك له، ولا يكون في داخلك الحزن لنجاح ذلك الشخص[٣].

ويستنتج لنا سيرل الصلاة والروابط بين أفعال الكلام والقصدية[٤]:

١- كل حالة قصدية تتكون من مضمون تمثيلي وفي حالة نفسية معينة، أي أنَّ القصد يتعلق بحالة الشخص النفسية وما يدور فيها.

٢- إنَّ الحلات القصدية تمثِّل أحوال الأشياء والموضوعات المختلفة بالمعنى نفسه الذي تمثِّل به نظرية أفعال الكلام للموضوعات وأحوال الأشياء.

٣- إنَّ الحالات القصدية التي تحتوي على مضمون لغوي ولها أتجاه للتطابق، فإنَّها تقدِّم شروط تحقيقها بالمعنى نفسه الذي تمثِّل به أفعال الكلام ذات المضمون اللغوي (القضية)، ولها اتجاه للتطابق وشروط تحقيقها.

فالقصدية تعدّ ركيزةً أساسيةً في نظرية الفعل الكلامي؛ لأنَّ الفعل الكلامي لا يكون ناجحاً إلَّا إذا حقق المقصد منه، وإذا لم يتحقق القصد من الكلام فإنَّ النتيجة

---

[١] يُنْظر: القصدية بحث في فلسفة العقل، جون سيرل، ص: ٢٨.

[٢] المصدر السابق، ص: ٣٠.

[٣] يُنْظر: القصدية بحث في فلسفة العقل، جون سيرل، ص: ٣٠.

[٤] يُنْظر: المصدر السابق، ص: ٣٢ - ٣٣.

الفعلية تكون غير حقيقية، فالفعل الكلامي لا يكون موفَّقاً إلا إذا حقق مقصده، وتعين على المخاطَب فهم قصد المخاطِب حتى يوفَّق في تحقيق الأغراض المطلوبة، كما يجب أن تكون المقاصد واضحة حتى يتسنَّى معرفتها بسهولة، لأنَّ المتكلم يعد مبلغاً، فلا يقوم الفعل الكلامي على إنتاج اللغة فحسب؛ بل عليه أن يخضع لمبادئ اللغة؛ فإنَّ فهم الخطاب يكمن في فهم مقاصده وأغراضه.

رابعاً: المقاصد في الصحيفة الرضوية

الذي يدعونا لدراسة مقاصد الإمام الرضا (عليه السلام) في صحيفته الخالدة والتأمل بها، هو دلالاتها الواسعة، وكمالها وإيجاز ألفاظها، وما احتوته من معانٍ تصبّ في مصلحة الناس وهدايتهم إلى شرائع دينهم، وحثّهم على التوجه إلى الله سبحانه ودعائه عند كل شدة وعسر، فهو وحده سبحانه العالم بحال عباده، وأنَّ مفتاح الوصول إلى الله سبحانه والتقرب إليه هو الدعاء.

إنَّ الدعاء الصادر عن الإمام المعصوم لا يخرج اعتباطاً من دون أن يحمل مقاصد تحثّ الناس على الخير وتوجههم إلى الطريق الصحيح، فالأئمة (عليهم السلام) هم امتداد لرسول الله (صلى الله عليه واله)، والرسول لا ينطق عن الهوى، إذ كلّ كلام صادر عن الرسول والأئمة (عليهم السلام أجمعين) يحمل مقاصد جمة تتمثَّل بإرشاد الناس وتوجيههم وهدايتهم إلى ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم.

ويُعد الدعاء مُخُّ العبادة والبلسم الشافي من كل داء، كما يعد الدعاء سلاح المؤمن وسُلم وصوله إلى مبتغاه، وقد ركزَّ القرآن الكريم في آيات عدة على أهمية الدعاء للإنسان في نواحي حياته المختلفة، إذ إنَّها مليئة بالمحن والشدائد التي يلجأ العبد من خلالها إلى الله تعالى لتخليصه منها، وكما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1]، ففي هذه الآيات

---

[2] سورة الأعراف، الآيات: ٥٥-٥٦.

الكريمة حثّ واضح على الدعاء وبيان حصول الاستجابة فإنَّ رحمة الله محيطة بكل شيء.

لا يمكن أن يتكلم أحد بكلام معين دون أن يكون وراء كلامه قصد معين، فإذا طلب أحدهم أن تجلب له ماء يكون وراء طلبه هذا قصد، فإما أن يكون عطشاناً، أو أنَّ يديه متسختان ويريد أن يغسلهما، أو...، وفي المقابل يجب على السامع أن يدرك قصد المتكلم لكي يحصل التفاعل بينهما، فيقول محمود نحلة: "إنَّ مراتب السامعين تتفاوت في إدراك مقصود المتكلمين تبعاً لتفاوت قدراتهم العقلية واللغوية والثقافية"[١]، فمن كان قريب من أفكارك يعلم مقاصدك جيداً.

والقصد نابع عما يدور في ذهن المتكلم، فهو منشئ النصّ الذي يعبّر به عن رغباته وكما يرى (دي بوجراند ت١٩٩٨)[٢] في تعريفه للقصد على المستوى النصي: "بأنَّه يتضمن موقف منشئ النصّ بكونه صورة ما من صور اللغة، قصد بها أن تكون نصاً يتمتع بالسبك والالتحام، وأنَّ مثل هذا النصّ وسيلة (INSTRUMENT) من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها"[٣]، فللقصد تأثير على بنية الكلام وأسلوبه، فالمتكلم يختار كلاماً معيناً ويستخدم وسائل لغوية معينة تلائم مقاصده حتى يسهل فهمها من قبل السامع.

وقد تعددت المقاصد في الصحيفة الرضوية، فمنها مقاصد واضحة وبينه من سياق الدعاء، ومنها مقاصد تحتاج إلى تمعن في مضمون الدعاء لمعرفتها، فيرى الدكتور صالح بن فاضل هزازي أنَّ المقاصد قد تكون مباشرة وتستنبط من النصّ

---

[١] آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص:٨٩.

[٢] روبرت دي بوجراند ١٩٩٨، (وهو لساني أمريكي، بلغت معه الدراسات النصية ذروتها، وله كتاب يتحدث عن علم النص وهو(النص والخطاب والاجراء). يُنْظر: علم لغة النص، مؤيد جاسم، موقع جامعة كربلاء، https://uokerbala.edu.iq/archives/٩٦٠٨.

[٣] النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ترجمة : د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ص: ١٠٣.

مباشرة فلا تحتاج إلى تأويل وتوضيح، وقد يكون المقصد غير مباشر فيستنبط من الأدلة الضمنية الدلالية في النصّ[١]، وقد تعددت المقاصد في الصحيفة فمنها:

- في تعظيم شأن الله سبحانه، وبيان قدرته:

تضمنت الصحيفة الرضوية للإمام الرضا (عليه السلام) الكثير من الأدعية التي تبيّن قدرة الله تعالى وعظيم شأنه ورحمته بالعباد، ومما جاء في ذلك من الأدعية:

قول الإمام (عليه السلام) في التسبيح لله سبحانه: **((سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدرَتِهِ، وَأَتْقَنَ مَا خَلَقَ بِحِكْمَتِهِ، وَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ مَوْضِعَهُ بِعِلْمِهِ، سُبْحَانَ مَنْ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ))**[٢]، فالقصد الذي يتضمَّنه هذا الدعاء هو بيان قدرة الله سبحانه، كما يدعونا لخشية الله سبحانه، فليس قصد الإمام (عليه السلام) من الدعاء هو المناجاة والدعاء وحسب، بل يقصد من خلاله إيصال المفاهيم الدينية والتعريف بقدرة الخالق سبحانه وتعالى، ويحثنا أيضاً على مخافة الله سبحانه في السر والعلن، فهو يعلم السر وحتى النوايا التي في القلوب لا يعلمها إلا الله سبحانه.

وقوله (عليه السلام) في قصد التعريف بعظيم قدرته على خلق كلّ الموجودات: **((سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ، سُبْحَانَ خَالِقِ الظُّلْمَةِ، سُبْحَانَ خَالِقِ الْمِيَاهِ سُبْحَانَ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ، سُبْحَانَ خَالِقِ الْأَرَضِينَ سُبْحَانَ خَالِقِ الرِّيَاحِ وَالنَّبَاتِ، سُبْحَانَ خَالِقِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ سُبْحَانَ خَالِقِ الثَّرَى وَالْفَلَوَاتِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ))**[٣]، نرى في سياق الدعاء التسبيح لله تعالى على ما خلقه لنا من ليل ونهار وسماء وأرض و

---

[١] يُنْظر: مقاصد الشريعة المفهوم وطرق الاستنباط والحجية، صالح بن فاضل هزازي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالاسكندرية، العدد ٣٦، المجلد ٩، ص: ٨١١.

[٢] الصحيفة، ص: ١٧ .

[٣] الصحيفة، ص: ١٧.

نباتات وكل شيء، والقصد من وراء ذلك هو أنَّ الإمام (عليه السلام) يريد أن يعرفَّنا في هذا الدعاء بعظيم خلق الله تعالى وقدرته، فهو خالق كلّ شيء، وقادر على كلّ شيء، وينزهه من كلّ ما لا يليق به، كما يشير إلى قدرته على الموت والحياة، فالغرض الذي خرج له هذا الدعاء هو التعريف بعظمة الله سبحانه، والحثّ على التسبيح له وذكره.

وكذلك قول الإمام (عليه السلام) في الدعاء لدفع شر الأعداء عند القنوت: **((يا مَنْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِهَيْبَتِهِ، وَخَضَعَتِ الرِّقَابُ لِجَلالَتِهِ وَوَجِلَتِ الْقُلُوبُ مِنْ خِيفَتِهِ، وَارْتَعَدَتِ الْفَرَائِصُ مِنْ فَرَقِهِ))**[1]، يبدأ الإمام (عليه السلام) دعائه بمناداة الله سبحانه وتعالى بعظمته وهيبته، ويبيّن حال المتقين أمامه من الخضوع والخشية والتسليم لأمره تعالى، وما يقصده من ذلك هو تعريف الناس بعظمة الخالق وجلالته، وهي أيضاً إشارة تخويف للناس وحثّهم على طاعته وتجنب معصيته، والنداء هنا كما يدلّ سياق الدعاء خرج للاستغاثة بالله سبحانه؛ لذلك يذكر قدرته وهيبته، فهو يستغيث بقدرة الله تعالى على عباده، ويظهر القصد في الأفعال الإنجازية في الدعاء فالجملة الفعلية: (عنت الوجوه لهيبته) تدل الفعل الذي أنجزته الوجوه أمام الله تعالى وهو الإذعان والخضوع أمام هيبته وعظمته، وكذلك الجملة الفعلية في قوله: (خضعت الرقاب لجلالته)، إذ يبين الفعل المنجز وهو الخضوع والخشوع أمام جلالته وعلوه، وكذلك قوله: (وجلت القوب من خيفته) فمخافة الله تعالى جعلت القلوب تنجز فعلا وهو الفزع والخوف من الله تعالى، وهي من صفات المؤمن الحق الذي إذا ذكر الله وجل قلبه أي: حاف منه، وجاءت الجملة الفعلية في الدعاء بقوله: (وارتعدت الفرائص من فرقه)، لتبين الفعل المنجز وهو الفزع والخوف الشديد، فالأفعال الإنجازية بينت المقاصد في هذا الدعاء.

- في شكر نعم الله سبحانه، ومنِّه على العباد:

---

[1] الصحيفة، ص: ٤٦.

احتوت أدعية الصحيفة الرضوية للإمام الرضا (عليه السلام) على الكثير من الأدعية التي جاءت في ذكر نعم الله تعالى على العباد وشكره عليها، ونذكر هنا بعض الأدعية، منها:

قوله (عليه السلام) في المناجاة بحمد الله تعالى وشكره: ((**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَرَدِّ نَوَازِلِ الْبَلاءِ، وَمُلِمَّاتِ الضَّرَاءِ، وَكَشْفِ نَوَائِبِ اللأَوَاءِ، وَتَوَالِي سُبوغِ النِّعْمَاءِ**))[1]،الحمد في هذا الدعاء قصد واضح يفهم من السياق، فجاء الدعاء في حمد الله سبحانه والثناء عليه لنعمه وعطاياه الفاضلة، ولرئفته بالعباد وكشف ما بهم من ضُرٍّ، كما ينقل لنا الإمام (عليه السلام) من خلال هذا الدعاء صورة واضحة يبيّن فيها قدرة الله سبحانه وتعالى على كشف الضراء، ورد البلاء، وعلى عطاياه الهنيئة، فالله سبحانه يعطي من سأله ومن لم يسأله، فهو سبحانه عالم بما في نفوس عباده وما تكمنه صدورهم.

وقوله (عليه السلام) عند ركوب الدابة في السفر والحج، إذ يقول الإمام (عليه السلام): من قال إذا ركب الدابّة هذا الدعاء حفظت له نفسه ودابته حتى ينزل والدعاء هو: ((**بسم اللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ**))[2]، يبيّن لنا الإمام (عليه السلام) من خلال هذا الدعاء قدرة الخالق عزَّ وجلّ، حيث يحتوي الدعاء على قصد واضح، وهو حمد الله تعالى وشكره على تسخيره الأمور لصالح العباد وتيسيرها على الرغم من صعوبتها على العبد وعجزه وحده عن تيسيرها، كما نجد مقصداً آخرَ وراء الحمد والثناء وهو الاعتراف بفضل الله تعالى ونعمه، وبيان قدرته سبحانه، فهو بقدرته يسخّر لنا الأمور لتجري على ما نحب ونرضى.

- في طلب العفو والمغفرة من الله سبحانه:

---

[1] الصحيفة، ص: ١٨.

[2] الصحيفة، ص: ٦٦.

تضمَّنت الصحيفة الرضوية الكثير من الأدعية التي جاءت في طلب المغفرة والصفح عن الذنوب والخطايا من العباد، ونذكر منها:

قوله (عليه السلام) في آخر شهر شعبان: **((اللَّهُمَّ إِنْ لَمْ تَكُنْ قَدْ غَفَرْتَ لَنَا فِيمَا مَضَى مِنْ شَعْبَانَ، فَاغْفِرْ لَنَا فيما بَقِيَ مِنْهُ))**[1]، يقصد الإمام (عليه السلام) تعظيم هذا الشهر الفضيل، وهو شهر شعبان، ويسأل الله سبحانه المغفرة بحق هذا الشهر الفضيل؛ فلهذا الشهر فضل كبير عند الله سبحانه وتعالى ومغفرة للذنب واستجابة للدعاء، إذ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذكر فضائل شهر شعبان: "شهر شريف وهو شهري وحملة العرش تعظِّمه وتعرف حقه، وهو شهر تزداد فيه أرزاق المؤمنين كشهر رمضان وتزيَّن فيه الجنان، وإنَّما سمي شعبان لأنَّه يتشعب فيه أرزاق المؤمنين"[2]، فالقصد من الدعاء هو طلب مغفرة الذنوب ببركات هذا الشهر الفضيل.

ومن ذلك أيضاً قول الإمام (عليه السلام) في دعاءه يوم عرفة: **((اللَّهُمَّ كَمَا سَتَرْتَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَعْلَمْ، فَاغْفِرْ لِي مَا تَعْلَمُ، وَكَمَا وَسِعَنِي عِلْمُكَ، فَلْيَسَعْنِي عَفْوَكَ، وَكَمَا بَدَأْتَنِي بِالْإِحْسَانِ، فَأَتِمَّ نِعْمَتَكَ بِالْغُفْرَانِ، وَكَمَا أَكْرَمْتَنِي بِمَعْرِفَتِكَ فَاشْفَعْهَا بِمَغْفِرَتِكَ))**[3]، القصد من هذا الدعاء واضح ومباشر فالداعي يسأل الله سبحانه المغفرة، فالله تعالى وحده العالم بذنوب عبادة وبيده مغفرتها، فينادي الداعي ربه ويدعوه ليتمم عليه نعمه بالعفو والمغفرة، وقد تمثل بالطلب في أدوات الطلب (اغفر، واتمم، واشفع)، وهي كلّها أفعال أمر خرجت لإنجاز مقصد معين يريده الداعي وهو طلب العفو والمغفرة، فنجد طلب المغفرة تكرر ثلاث مرات في الدعاء الأولى بقعل

---

[1] الصحيفة، ص: ٥٨.

[2] أمالي الصدوق، الشيخ أبي جعفر الصدوق، ص: ٢٠.

[3] الصحيفة، ص: ٥٩.

الأمر (اغفر) والثانية بالمصدر (غفرانك) والثالثة بالاسم (مغفرة)، وهي جميعاً تتناسب مع عنوان الدعاء طلب المغفرة.

- من أدعية الإمام الرضا (عليه السلام) في تنزيه الله سبحانه:

كثرت الأدعية في الصحيفة في تنزيه الله تعالى وتعظيم شأنه وبيان قدرته، ومن الأدعية في هذا الصدد:

قوله (عليه السلام) في المناجاة لطلب الفرج: **((الهي بَدَتْ قُدْرَتُكَ وَلَمْ تَبْدُ هَيْئَةٌ لَكَ، فَجَهِلُوكَ، وَقَدَّرُوكَ والتَّقْدِيرُ عَلَى غَيْرِ مَا بِهِ شَبْهُوكَ ... بَلْ شَبَّهُوكَ بِخَلْقِكَ، فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعْرِفُوكَ، وَاتَّخَذُوا بَعْضَ أَيَاتِكَ رَبّاً فَبِذلِكَ وَصَفُوكَ، فَتَعَالَيْتَ يا الهي، وَتَقَدَّستَ عَمَّا بِهِ الْمُشَبِّهُونَ نَعَتُوكَ))**[1]، يشير الدعاء إلى قدرة الله سبحانه الظاهرة، رغم هيئته المجهولة، ولكنّ الكفار جهلوا هذه القدرة ووضعوا له هيأة وشبهوه بالمخلوقات لجهلهم به، والقصد هنا هو تنزيه الله سبحانه مما وصفه به الجاهلون، والتحسر على الكافرين وما وصفوا به الله سبحانه من صفات لا تليق بجلالته؛ لتظاهرهم بالجهل فهم يعرفون الله تعالى جيداً لكن قلوبهم مليئة بالحقد والبغض، فالتنزيه لله تعالى عما نسب إليه من تشبيه وأوصاف هو القصد المراد في الدعاء.

وكذلك جاء في قوله (عليه السلام) لطلب الاحتراز: **((بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا مِثَالَ لَهُ، أَنْتَ الله لا إله إلَّا أَنْتَ، وَلا خَالِقَ إِلَّا أَنْتَ تُفْنِي الْمَخْلُوقِينَ، وَتَبقى أَنْتَ، حَلُمْتَ عَمَّنْ عَصَاكَ، وَفِي الْمَغْفِرَةِ رِضَاكَ))**[2]، ينادي الإمام (عليه السلام) ربه بصفاته الجليلة، فينفي وجود شبيه لله سبحانه وتعالى، فهو إله السماوات والأرضين لا إله سواه، كما يذكر حلمه ومغفرته بعباده التائبين العائدين إليه، والقصد من هذا الدعاء هو لتعظيم شأن الله سبحانه وطلب عفوه ومغفرته، فالله

---

[1] الصحيفة، ص: ٢٠.

[2] الصحيفة، ص:٤٩- ٥٠.

سبحانه بحلمه يغفر لمن يشاء من عباده، فالقصد من النداء والنفي في هذا الدعاء هو الطلب، وكذلك بيان عظمة الله تعالى وقدرته وحلمه.

- في الدعاء للرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله):

قوله (عليه السلام) في الصلاة على النبي وآله: **((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ فِي الْأَوَّلِينَ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ فِي الْآخِرِينَ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ فِي النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، اللهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّداً صَلى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ الْوَسيلَةَ وَالشَّرَفَ وَالْفَضِيلَةَ وَالدَّرَجَةَ الْكَبِيرَةَ))**[1]، هذا الدعاء واضح المقاصد فالإمام (عليه السلام) يدعو إلى الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله)، بالصلاة عليه والدعاء له، فالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أفضل العبادات وأجلّ القربات، فقد أمر الله تعالى بها عباده المؤمنين، فقال تعالى في كتابه العظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[2]، ففي الآية الكريمة حثّ على الصلاة على رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله)، ونجد الأفعال الكلامية في الدعاء (صلِّ، واعطِ) خرجت لتؤدي مقاصد واضحة أرادها الإمام (عليه السلام) في ثنايا دعائه الكريم، وهو طلب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله).

- في الدعاء على الأعداء الظالمين وطلب النجاة منهم والقضاء عليهم:

كانت حياة الإمام (عليه السلام) محاطة بالظالمين والأعداء الذين يسعون إلى القضاء على الشيعة والموالين والقضاء على عترة الرسول الكريم وذريته وطمس مذهبهم الشيعي، فلابدَّ أن نجد الكثير من الأدعية على هؤلاء الملحدين الظالمين ومن أدعيته في ذلك:

---

[1] الصحيفة، ص: ٢٢.

[2] سورة الأحزاب: ٥٦.

قوله (عليه السلام) في طلب الاحتجاب من العدو: **((خَبَانِي اللهُمْ فِي سترِكَ عَنْ شِرَارِ خَلْقِكَ، وَاعْصِمْني مِنْ كُلِّ آذى وَسُوءٍ، بِمَنْكَ وَاكْفِنِي شَرَّ كُلِّ ذِي شَرٍّ بِقُدْرَتِكَ))**[1]، هذا الدعاء واضح المقاصد فالإمام (عليه السلام) يطلب من الله سبحانه وينادي أن يكفيه شر الأشرار، ويحميه بحمايته، وأن يعصمه ويحفظه بحفظه من الأعداء، فالله سبحانه قادر على كل شيء، وقدرته غلبت كل شيء، فالله سبحانه وحده المنجي من الأعداء وإليه الملجأ في القضاء عليهم، والله سبحانه هو المنَّان بالعطايا على العباد فلا يرد سائله ولا يخيب من لجأ إليه، كما نستدل من خلال الدعاء على قدرة الله تعالى وسلطانه على جميع خلقه.

ومن دعائه (عليه السلام) في قنوت الوتر لدفع الظلمة وتبديد عزائمهم قال: **((اللهُمَّ العَنِ الظَّلَمَةَ والظّالِمينَ الَّذينَ بدَّلُوا دينَكَ، وحَرَّفوا كِتابك وغيروا سنة نبيك...))**[2]، جاء الطلب في هذا الدعاء لغرض الانتقام من الظلمة والظالمين الذين يسعون إلى تحريف الدين بما يناسب أهوائهم ومصالحهم، والقصد من ذلك هو حفظ الدين الإسلامي والدعوة لثبات رسالة خاتم الأنبياء محمد (صلى الله عليه وآله)، بالقضاء على أعداء الدين، الذين يسعون إلى هدم الدين وتبديد عزائمه، والسعي إلى رفعِ راية الكفر، وجاءت المقاصد بالترتيب في السياق الكلامي للدعاء، فيدعو عليهم باللعن بسبب ما فعلوه من أعمال، فالعمل الأول وهو الأعلى في الترتيب وهو تبديل دينك، حاربوا الدين الإسلامي بصورة عامة، ثم بدأوا بتحريف الكتاب المنزل بالدين الإسلامي، ثم بعد ذلك حاربوا النبي وغيروا سنته وخالفوا أقواله وحرفوا أحاديثه، فالمقاصد جاءت في هذا الدعاء بالترتيب.

---

[1] الصحيفة، ص: ٤٧.

[2] الصحيفة، ص: ٩١.

- في قصد طلب الشفاء من كل داء:

أشبع الإمام الموضوع هذا ما يتناسب مع مضمون الدعاء، فقد جاءت في مواطن عده الكثير من الأدعية في طلب الشفاء ومنها:

قول الإمام (عليه السلام) في العوذة للسل: **((يا اللهُ، يَا رَبَّ الْأَرْبَابِ، ويَا سَيِّدَ السَّادَاتِ، وَيَا إِلَهَ الآلهة، وَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ، وَيَا جَبَّارَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، اشْفِنِي وَعَافِنِي مِنْ دائي هذا فَانّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ، أَتَقَلَّبُ فِي قَبْضَتِكَ، وَنَاصِيَتِي بِيَدِكَ))**[1]، ينادي الداعي خالقه في ذكر عظمته وسلطانه وقدرته، ثم بعد ذلك يقدم طلبه إلى الله تعالى وهو طلب العافية، ويذلل نفسه أمام الله تعالى فيذكر أنَّه عبدٌ لله وابن عبديه، فالقصد واضح في هذا الدعاء وهو الشفاء من كل داء، وقد ذكر الإمام (عليه السلام) انَّ هذا الدعاء يقال للشفاء من مرض السل، فالدعاء والاستغاثة بالله تعالى هو أيسر طريق للتخلّص من الداء ونوال الشفاء والعافية، وجاء بالترتيب القصدي في هذا الدعاء فينادي الإمام (عليه السلام) الله تعالى بالترتيب فيبدأ بقوله: يا رب الأرباب لأن الربوبية أعلى المراتب، ثم يقول: يا سيد السادات، فالسيد اقل مرتبة من الرب، ثم يقول: يا إله الآلهة، وبعدها: يا ملك الملوك، يا جبار، ثم يطلب حاجته المقصودة من الدعاء.

وجاء في قوله (عليه السلام) للشفاء من جميع العلل: **((يا مُنَزِّلَ الشَّفَاءِ، وَمُذْهِبَ الدَّاءِ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَنْزِلْ عَلَى وَجَعِي الشَّفَاءَ))**[2]، يبدأ الإمام (عليه السلام) الدعاء في النداء لله تعالى وذكر نعمه في شفاء المرضى رحمة منه ورأفة بالعباد، ثم يوجه الطلب مباشرة في قوله: (أنزل على وجعي الشفاء)، وهو القصد من الدعاء، كما يحتمل الدعاء مقصد آخر، وهو الاستغاثة بالله سبحانه ليشفيه من داءه، كما يحتمل أن يكون القصد منه الاخبار، فيذكر بأنَّ الله سبحانه

---

[1] الصحيفة، ص: ٥٥.

[2] الصحيفة، ص: ٥٤.

هو الذي يشفي المرضى ويزيل عنهم الداء والألم، أي هي رسالة توجيه إلى الناس للتوجه إلى الله تعالى في مواجهة المرض والألم، وقد ابتدأ طلبه بالصلاة على محمد وآل محمد؛ سعياً للاستجابة، فالصلاة على النبي محمد (صلى الله عليه وآله) تسِّهل في استجابة الدعاء.

الفصل الثالث

الحـــجـــاج في الصـــحيفـــة الرضـــويـــة

المبحث الأوّل : الحـــــجـــــاج.

المبحث الثاني : الحجـاج في الصحيفة الرضوية

أولاً : الروابط الحجاجية

ثانياً : العوامل الحجاجية

ثالثاً : السلالم الحجاجية

المبحث الأول

الحجاج

أولاً: مفهوم الحجاج

يعد الحجاج ركيزة النصوص الموجهة التي تتضمن قضايا نقاشية وجدلية وقصدية ونقدية، ولا يخلو أي نصّ أو خطاب منه، و عند التنقيب عن المعنى اللغوي للحجاج نجد ما جاء به ابن منظور في لسانه يكاد يجمع ما جاءت به المعاجم من معانٍ للحجاج فهو يرى "أنَّ الحَجُّ: القَصدُ، حَجَّ إلينا فلانٌ أَي قَدِمَ، وحَجَّه يَحُجُّه، حَجّاً: قصده، ...، والحُجَّة: الْبرْهان، وقيل: الحُجَّة ما دُوفِعَ به الخصم، وهو رجل مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ، والتَّحاجُّ: التَّخاصُم، واحْتَجَّ بالشيءِ: اتخذه حُجَّة، وجَعَلْتُ أُحُجَّ خصمي أَي أَغْلِبُه بالحُجَّة، يُقال: حاجَجْتُه فأنا مُحاجٌّ وَحَجِيجٌ"[1].

وفي القاموس المحيط: الحَجُّ: القَصْدُ والكَفُّ والقُدُومُ، وسَبْرُ الشَّجَّةِ بالمِحْجَاجِ: لِلمِسْبارِ، والغَلَبَةُ بالحُجَّةِ وكَثْرَةُ الاخْتِلافِ والتَّرَدُّدِ، وقَصْدُ مَكَّةَ لِلنُسُكِ وهو حاجٌّ وحاجِج، الجمعُ: حُجَّاجٌ وحَجِيجٌ وحَجٌّ، وهي حاجَّةٌ من حَواجَّ، وبالضَم: البُرْهانُ، والمِحْجاجُ: الجَدِلُ، وأَحْجَجْتُهُ: بَعَثْتُهُ لِيَحُجَّ، وحَجَّةِ اللهِ لا أَفعلُ بفَتح أوله وخفض آخره: يَمِينٌ لهمْ[2].

يتبين من المفهوم اللغوي أنَّ للحجاج العديد من المعاني ومنها: (التخاصم، التنازع، التغالب، واستعمال الدليل والبرهان)، وكذلك القصد إلى فعل الشيء ما، أو قصد الذهاب إلى مكان محدد، والحج القصد إلى بيت الله الحرام في موسم محدد، وكذلك من المعاني الأخرى الحجج وهي البراهين والأدلة حول موضوع ما، وكذلك المحاجج كثير الجدل والتخاصم في أمر معين، وتدلّ هذه المعاني على أنَّ أساس

---

[1] لسان العرب، ٢/ ٢٢٦ – ٢٢٨.

[2] يُنظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، باب الجيم، ص: ١٨٣.

الحجاج الارتكاز على دليل معين قصد إثبات قضية من القضايا، ومن ثَمَّ بناء موقف ما.

أمَّا مفهوم الحجاج اصطلاحاً فقد تعددت تعريفات الحجاج الاصطلاحية فالعديد من الفلاسفة والعلماء الغرب والعرب أعطوا تعريفاً للحجاج، وممن عرفه من علماء الغرب (ميشال مايير)[١] الذي يرى بأنَّ: "الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه"[٢]، إذن فالحجاج عنده يقوم على البحث عن الربط بين الظاهر من الكلام (الصريح) والمتضمن فيه.

ويعرفه أيضاً (بيرلمان وتيتكا)[٣] بقولهما: "هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في

---

[١] ميشال مايير (١٩٥٠ – ٢٠٢٢)، هو فيلسوف بلجيكي يعد من أهم الباحثين الذين اعتنوا بدراسة الأنطولوجيا والفلسفة التحليلية، وقد أعطى أهمية كبرى للغة والبلاغة متأثراً في ذلك بأستاذه حاييم بيرلمان، ركز كثيراً على المساءلة والأشكلة الحجاجية القائمة على نظرية السؤال، وقد بقي مايير وفياً للتقاليد الأرسطية في مجالي التأثير والإقناع، وقد قدم تصورات جديدة حول البلاغة والخطابة والحجاج وفلسفة اللغة، بالتوقف عند حجاج المساءلة والسؤال. يُنْظر: الفلسفة والأسئلة الكبرى عند ميشيل مايير، جميل حمداوي، دار الريف للطبع والنشر الالكتروني، المملكة المغربية، ط١، ٢٠١٩م، ص: ٧.

[٢] الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م، ص: ٣٧.

[٣] بيرلمان حاييم (١٩١٢ – ١٩٨٤)، وهو فيلسوف بلجيكي ومنظّر حجاجي، قام برد الاعتبار للمسألة البلاغية بعد الحرب العالمية الثانية، ارتبطت أعماله بالبلاغة الجديدة وعدت بمثابة اعادة سبك للخطابة، بهدف اعادة تعريف قضايا الحجاج، ويعد فكره ذا أهمية لكل من القانون والفلسفة الاخلاقية والتداولية اللسانية والدراسات الأدبية، ومن مؤلفاته: (اطروحة حول الحجاج البلاغة الجديدة ١٩٥٨) الفه مع تيتكا، و(البلاغة والفلسفة ١٩٥٢). يُنْظر: قاموس التداولية، جوليان لونجي وجورج ايليا سرفاتي، ص: ١٨٩.

تيتكا لوسي أولبرخت (١٨٩٩ – ١٩٨٧)، وهي عالمة سوسيولوجية بلجيكية، درست العلوم الاجتماعية والعلوم الاقتصادية ولديها معرفة واسعة بمفاهيم علم النفس، اضافة إلى ممارستها

درجة ذلك التسليم"[١]، فيشيران في هذا التعريف إلى أنَّ الحجاج وسيلة للإقناع، يؤدي بالأذهان إلى تقبل ما يطرح عليها من مسائل أو أحداث، وذلك بتقديم حجج مقنعة.

والحجاج في أعمِّ تعريف له: "هو العملية التي يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بوساطة الوسائل اللغوية"[٢]، ويعد هذا التعريف من أهم تعاريف الحجاج، فقد اعتمد في صياغته على آراء بيرلمان وتيتكا.

وعرفه طه عبد الرحمن انطلاقاً من مبدأين أساسيين هما (قصد الادعاء) و(قصد الاعتراض)، إذ يقول: "إذ حد الحجاج أنَّه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[٣]، أي أنَّه يرى أنَّ الحجاج عبارة عن توجيه دعوى لشخص ما بتقديم وسائل مقنعة لقبول دعوته، ويحق له الاعتراض عليها، فدلالة الحجاج في رأي طه عبد الرحمن ترتكز على وجود اختلاف بين الباعث للرسالة اللّغوية والمستقبل لها ومحاولة الباعث إقناع المستقبل بحجة ودليل يقدمه له؛ لاستمالة عقله والتّأثير فيه، ومن ثمَّ إقناعه.

ونستدلّ من خلال هذه التعريفات على أنَّ الحجاج متعلق بالخطاب، يبنى على قضية أو فرضية معينة بين المتخاطبين، يعرض فيها المتكلم دعواه ومقترحاته ويؤيدها بالتبريرات والأدلة عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطاً منطقياً قاصداً إلى إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية.

للبحث الاحصائي، عمدت إلى تأليف البلاغة الجديدة مع زميلها بيرلمان. يُنْظر: بيوغرافيا البلاغة الجديدة، لوسيأولبرخت – تيتكا، أنوار طاهر، ٢٠١٩، موقع ويكيبيديا، https://www.academia.edu/٤٣٦٥٥٨٣٦/.

[١] فيُ نْظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١م، ص: ١٣.

[٢] المصدر السابق، ص: ٦٨.

[٣] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص: ٢٢٦.

ثانياً: الأساس اللغوي للحجاج

نال الدرس الحجاجي نصيباً من الاهتمام والعناية لدى الكثير من الباحثين الغرب، وقد استندوا في دراستهم للحجاج على المنطلقات الأساسية التي تمثلت بجهود القدامى من علماء الغرب أمثال (أرسطو، وإفلاطون)[١]، وعند التتبع التاريخي لموضوع الحجاج نجد بداياته قديماً مع السفسطائيين[٢]، فقد وضعوا الأسس الأولى للحجاج، وقد ارتبط الحجاج منذ نشأته بالخطابة والبلاغة والإقناع، وارتبط كذلك بالجدل والمناظرة، وقد اهتم السفسطائيون بالخطابة من خلال محاولة فرض آرائهم على الناس، فقد أصبحت الخطابة أداة للتمويه والخداع والإقناع، عن طريق التلاعب بمشاعر الناس وإقناعهم[٣]، فقد كان أسلوب السفسطائيين في الحجاج مليئاً بالمغالطات والغوايات والتضليل والتشكيك؛ لإبطال الحجج ونقض الأدلة، فهم يؤمنون بقوة اللغة وسلطانها في إقناع الناس والسيطرة عليهم، فقد كانوا متمكنين من اللغة ويعلِّمون أصول البلاغة والكلام للطبقات العالية من المجتمع للتشبث بالسلطة، فقد كان لكلامهم قوة كبيرة في الإقناع والتأثير في عواطف الناس وتغيير أحوالهم

---

[١] يُنْظر: الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، حسين بوبلوطة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الجزائر، ٢٠١٠م، ص: ٢٥.

[٢] السفسطة وهي حركة فلسفية وظاهرة اجتماعية ظهرت في اثينا في القرن الخامس قبل الميلاد، وتميز رواد هذه الحركة بالكفاية اللغوية البلاغية وبالجدل، ومعنى السفسطائي يعني الحكيم أو الخبير، كما أنهم اهتموا بالحجاج والإقناع في خطاباتهم، وقد كانت سلطة القول هي الغالبة على سياستهم، فقد أدى وجودهم دوراً في تطوير البلاغة القولية التواصلية، يُنْظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الامين الطلبة، ص: ٢٤.

[٣] يُنْظر: تقنيات الحجاج في البلاغة اليونانية القديمة مقاربة لمشروع: السفسطائيين وافلاطون وارسطو، شعبان أمقران وحفيظة روابنية، جامعة باجي مختار– الجزائر، المجلد ٢٥، العدد ٢، ٢٠١٩م، ص: ٣٣ – ٣٤.

النفسية وأهوائهم إلى ما يريدون الوصول إليه[١]، فقد كانت نواياهم تصب في مصلحتهم في استعمال الأسلوب الحجاجي في الكلام.

وعندما جاء إفلاطون سعى إلى تخليص الخطابة من استعباد السفسطائيين، فقد سعى إلى محاربة كل أشكال التوظيف السلبي للملكة الخطابية وتخليصها مما علق بها من تصورات السفسطائيين الباطلة وممارساتهم المنحرفة[٢]، فقد دعا إلى رفض الخطابة التي تأتي بالاعتماد على التأثير والجدل في مقابل تحقيق الحقيقة والعدل، كما نادى بالاعتماد على العلم في تحقيق الاقناع، فالعلم يقوم على مبادئ صادقة وثابتة، أراد أفلاطون في مشروعه أن يجعل الحجاج بين الناس يتضمن الشؤون الاجتماعية والسياسية صادراً عن حقيقة لا عن احتمال وظن، ويرى أنَّ القصد من هذا الخطاب هو تحقيق الفضيلة والخير.

وعندما جاء أرسطو اقتفى الأثر نفسه الذي سار عليه أفلاطون في محاربة أفكار السفسطائيين، والسعي إلى تأسيس نمط خطابي جديد عبَّر عنه في كتابه (الخطابة)، وفي كتابه (المغالطات السفسطائية)، الذي كشف فيه عن مغالطات السفسطائيين القائمة على الجدل والمخادعات اللفظية[٣].

كان الحجاج موضوعاً لمحاولات التكييف والاستملاك طوال فترة ما قبل أرسطو، ولم يكن لها مكان خاص في حقل العلوم إلّا بعد أن كتب أرسطو حول البلاغة، إذ كانت موضوعاً يتناوله السفسطائيون وبعض الفلاسفة، وكان لأفكار السفسطائيين أثر بالغ في تعميق نظريات الحجاج، حيث إنَّ أرسطو حاربها وتغلب

---

[١] يُنْظر: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، د. حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديثة، الأردن ، ط١، ٢٠١٠م، ١/ ٨.

[٢] يُنْظر: المصدر السابق، ص: ٨.

[٣] يُنْظر: المصدر السابق، ص:٩.

عليها حتى تشكَّلت ثقافة الإقناع[١]، ولم تكن نظرية الحجاج عند القدماء نظرية لغوية بل كانت أقرب منها إلى البلاغة والخطابة، فالحجاج عند أرسطو يعد أحد مكونات الخطاب؛ لأنَّه ذو طابع تحاوري، وقد أرسى أرسطو معالمه من خلال كتابه (الخطابة)[٢]، فالحجاج كان يدخل ضمن الخطابات والتحاور بين المتكلمين في نظر أرسطو.

والخطابة عند أرسطو هي صناعة تدور حول الاقناع من خلال إنتاج قول يدور حول مسألة خلافية قابلة للنقاش، وبذلك فالخطابة يشترك فيها طرفان متخاصمان حول قضية ما، فيحاول أحد الطرفين إقناع الطرف الآخر برأيه، وذلك بالتأثير فيه وميله إلى جانبه أو إقناعه برأيه[٣]، فقد سعى أرسطو إلى تحويل الاهتمام في الخطابة من التأثير في السامع إلى إقناعه؛ سعياً منه لتحقيق التعادل بين التأثير والإقناع.

ومن الباحثين المحدثين (بيرلمان، وتيتكا)، إذ قاما بتطوير نظرية الحجاج من خلال مؤلفهما المشترك بينهما (مصنف في البلاغة الجديدة) عام ١٩٥٨م، فقد مثَّل هذا الكتاب ولادة جديدة للحجاج، فقد حددا الحجاج بقولهما: "تهدف نظرية الحجاج إلى دراسة التقنيات الخطابية الهادفة إلى إثارة الأذهان وادماجها في الأطروحة

---

[١] يُنْظر: تاريخ نظريات الحجاج، فليب بروتون وجيل جوتييه، ترجمة: الدكتور محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط١، ٢٠١١م، ص: ١٩ – ٢٠.

[٢] يُنْظر: البلاغة الجديدة النظرية الحجاجية عند بيرلمان– محاولة تأصيل، نورالدين يوزناشة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ص: ٢٠٨.

[٣] يُنْظر: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صعود، كلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، ص: ١٢.

المقدمة وتفحص أيضاً شروط انطلاق الحجاج أو نموه وما ينتج عنها من آثار"[١]، فقد جعلا الحجاج نظرية تدرس التقنيات الخطابية كوظيفة حجاجية، يعتمد على الحوار والتفاهم بين المتخاطبين.

وسعى بيرلمان من خلال هذا الكتاب (مصنف في البلاغة الجديدة) إلى تطوير ما جاء به أرسطو في تأسيسه لموضوع الحجاج، فهو يسهم في إثراء أحد موضوعات البلاغة وهو الحجاج،[٢] فقد عمد بيرلمان وتيتكا في كتابهما إلى إحياء التصور البلاغي الذي قدَّمه أرسطو، فهما يريان أنَّ الحجاج عبارة عن بعض الوسائل والتقنيات البلاغية الموجودة داخل النص، والتي تجبر المتلقي على قبول ما يعرض عليه وإقناعه، فهي تؤثر على عقل المتلقي من خلال هذه التقنيات، كما يرى بيرلمان أنَّ للجدل دوراً في التأثير على المتلق وإقناعه، فقد جعل الجدل متجانساً مع الحجاج، واعتمد على الجدل والخطابة في الحجاج[٣].

ثم تطورت موضوعات الحجاج متجاوزة ما جاء به بيرلمان، فقد أصبح الحجاج أقرب إلى اللغة من البلاغة عندما جاء الفيلسوف (أزوالد ديكرو)[٤]، إذ جعل الحجاج

---

[١] النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ص: ٤٤.

[٢] يُنْظر: البلاغة العربية الجديدة مسارات ومقاربات، عماد عبد اللطيف، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن – عمان، ٢٠٢١م، ص: ٢١.

[٣] يُنْظر: سلطة النص وآليات الحجاج قراءة في نونية أبي إسحق الإلبيري، منتصر نبيه محمد صديق، مجلة الدراسات العربية، ص: ٥٦٠٧.

[٤] ازوالد ديكرو (١٩٣٠)، وهو لساني ومنطقي وفيلسوف فرنسي شهير، وهو أحد كبار اللسانيين المعاصرين وعلماء الدلالة والتداولية، وهو أحد مؤسسي نظرية الحجاج في اللغة، وله نظريات دلالية وتداولية كثيرة منها: (نظرية الاقتصاء، ونظرية الاصواتية)، ومن مؤلفاته (البنيوية في اللسانيات عام ١٩٦٨، و قل ولا تقل عام ١٩٧٢، والقاموس الموسوعي لعلوم اللغة عام ١٩٧٢، السلميات الحجاجية عام ١٩٨٠). يُنْظر: السلميات الحجاجية، أزوالد ديكرو، ترجمة: أبو بكر العزاوي، مطبعة وراقة بلال المغرب، ط١، ٢٠٢٠م، ص: ١١ – ١٢.

نظرية لغوية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية، وهو بذلك يتعارض مع ما جاء به أفلاطون وأرسطو في جعل الحجاج نظرية بلاغية، ومع بيرلمان وتيتكا في نظرية البلاغة الحديثة، وعد بعضهم الحجاج منتمياً إلى المنطق الطبيعي، فقد جعل ديكرو الحجاج نظرية لغوية لسانية خالصة وأبعدها عن البلاغة، وهو بذلك يريد أن يثبت أنَّ اللغة في جوهرها تحمل وظيفة حجاجية، نجد هذه الوظيفة في بنية الأقوال الطبيعية، فديكرو ينطلق من المقولة الشائعة: "إننا نتكلم عامة بقصد التأثير" أي أنَّ اللغة تحمل قوة التأثير[١].

إنَّ الحديث عن الحجاج اللغوي يقتضي منا التوقف عند مؤلفات ديكرو لا سيما كتابه (الحجاج في اللغة) عام ١٩٨٣م، الذي شاركه في تأليفه أنسكومبر[٢]، فقد أسهم ديكرو وأنسكومبر إسهاماً واضحاً في بلورة الفكر الحجاجي، إذ تمثِّل أعمالهما المساهمة الأساس في بناء الحجاجيات اللسانية، فقد تحدَّث ديكرو في هذا الكتاب عن حجاج مختلف عن الحجاج عند بيرلمان، فهو حجاج يقوم بالأساس على اللغة، بل يكمن فيها، بينما عرَّف بيرلمان الحجاج بوصفه مجموعة أساليب وتقنيات في الخطاب تكون شبه منطقية أو شكلية أو رياضية[٣].

وقد تحوَّل الحجاج من الدرس البلاغي والفلسفي والمنطقي إلى الدرس اللساني، فجعلوا الحجاج حجاجاً لسانياً بحتاً، وقد استندوا في ذلك إلى نظرية أفعال الكلام، فقد

---

[١] يُنْظر: اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، منتديات سور الازبكية، ط١، ٢٠٠٦م، ص: ١٤.

[٢] أنسكومبر جان كلود (١٩٤٢)، وهو عالم دلالة فرنسي، وقد شارك مع ديكرو في إبراز نظرية الحجاج في اللغة، وقد شارك في تأليف كتاب الحجاج في اللغة، وأشرف على كتاب نظرية المواضع، كان مهتماً أيضاً بالأمثال والأشكال الحكمية، بالزمان والهيئة، وقد شارك في تنويع الدراسات في إطار مفهوم تداولي للدلالة. يُنْظر قاموس التداولية، جوليان لونجي وجورج ايليا سرفاتي، ص: ٣٦.

[٣] يُنْظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه، سامية الدريدي، إربد – الأردن، ٢٠١١م، ص: ٢٢.

انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من داخل نظرية الفعل الكلامي، وقد قام ديكرو بتطوير هذه النظرية وأضاف عليها فعلين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج،[١] فهو يتطرق للحجاج بوصفه فعلاً كلامياً منبتاً في صميم البنية اللغوية للملفوظ، فقد شق ديكرو لنظرية الحجاج طريقاً يبعدها عن الخطابة والبلاغة ويربطها بالتداولية.

كما ذكر ديكرو في كتابه هذا أنَّ الحجاج متجذر في اللغة، ولذلك لا يمكن فصل الحجاج عن اللغة، ويقول في هذا الصدد: "إنَّ الحجاج يكون بتقديم المتكلم قول (١) أو مجموعة من الأقوال، يفضي إلى التسليم بقول آخر (٢) أو مجموعة من الأقوال"[٢] أي تقديم سبب أو مجموعة أسباب تؤدي إلى النتيجة التي يريد المتكلم الوصول إليها، إذ يقول ديكرو: "إننا حين نتكلم إنما نهدف إلى التأثير في السامع أو مواساته أو إقناعه أو جعله يأتي عملاً ما، أو إزعاجه، أو إحراجه، وغير ذلك"[٣]، فالغرض من التخاطب والتحاور في نظر ديكرو هو للتأثير في المخاطب.

سعى كل من ديكرو وأنسكومبر من خلال نظريتهما إلى القول بأنَّ اللغة تحتوي على وظيفة حجاجية فضلاً عن وظيفتها التواصلية، فالحجاج عندهم لصيق باللغة وملازم لها ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فاللغة ذات توجيه حجاجي؛ فهي تتوفر فيها عوامل وروابط لسانية توجه المعنى إلى ما يقصده المتكلم[٤]، ويتمثل الحجاج عندهم على "تحقيق فعلين، هما فعل التصريح بالحجة من جهة، وفعل

---

[١] يُنْظر: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، حافظ اسماعيلي علوي، ص: ٥٧.

[٢] الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، ص: ٣٣.

[٣] التداولية عند علماء الأصول الشوكاني نموذجا، بهلول اليزيد وبن عبد العزيز مرحات، ص: ٢٣.

[٤] يُنْظر: نظرية الحجاج اللغوي عند ديكرو وأنسكومبر، جايلي عمر، جامعة بالأغواط، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد٣ ، ٢٠١٨م، ص: ١٩٨.

النتيجة من جهة أخرى، سواء كانت النتيجة صريحة أم ضمنية"[١]، أي أنَّ وراء الحجة أو السبب نتيجة يقصدها المتكلم، سواء أكانت هذه النتيجة موجودة في سياق الكلام بشكل صريح أم أنَّها متضمنة في الكلام.

وقد وضع ديكرو وأنسكومبر تصوراً آخرَ للحجة فهي عنصر دلالي يوجهه المتكلم إلى عنصر دلالي آخر، ولا يرد الحجاج في الخطاب صريحاً دائماً فعادة ما يضمر ركن من أركانه فقد يقدِّم المتكلم النتيجة فقط ويحذف الحجة، وقد يقدم الحجة ويحذف النتيجة، أو قد يحذق الرابط الحجاجي ويفهم المحذوف ويستدل عليه من سياق الخطاب[٢]، أي معاني يوجهها المتكلم لفهم معانٍ أخرى، وقد يحذف أحد أركان العملية الحجاجية.

ركَّز ديكرو في كتابه أيضاً على التداوليات المدمجة، وتقوم هذه على تصور خطي لعلاقة التركيب والدلالة والتداول، وتعتمد التداولية المدمجة في نجاحها على مدى تأثيرها في السامع لذلك فهي تركز على الجانب النفسي وحسن تقديم الحجج المناسبة للسامع لتحقيق التأثير المرغوب فيه، فالتداولية المدمجة تربط التداول بالوصف الدلالي الذي يربط المعنى بالقول، وتشتغل التداولية المدمجة مباشرة على البنية التركيبية للجملة[٣]، فالتداولية المدمجة في الدلالة تعني البحث في الجوانب التداولية الكامنة في بنية اللغة ودلالة الجملة لاستخراج الأشكال اللغوية ذات القيمة

---

[١] البنية الحجاجية في شعر عز الدين ميهوبي، فوزية زيار، إشراف عبد الحليم بن عيسى، أطروحة في كلية الآداب والفنون قسم اللغة والادب العربي، جامعة وهران، ٢٠١٩م، ص: ٩٧.

[٢] يُنْظر: المصدر السابق، ص: ١٠٠.

[٣] يُنْظر: تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجاً، حياة دحمان، الجمهورية الجزائرية، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية ٢٠١٣م، ص: ٧٣.

التداولية لضبط شروط استعمالها؛ فقد ركَّز في بنائه للعملية الحجاجية على نموذج خاص به أسهم بقسط كبير في بلورة العملية الحجاجية، ومن أهم هذه النماذج[1]:

- الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج.

- المكون الحجاجي في المعنى أساسي والمكون الإخباري ثانوي.

- عدم الفصل بين الدلاليات والتداوليات.

نستنتج أنَّ الحجاج نظرية لسانية؛ لأنَّها تدخل في بنية اللغة، كما نستنتج أنَّ للسياق دوراً كبيراً في إبراز الحجة أو النتيجة، وأنَّ ديكرو يسعى من خلال نظريته لبيان أنَّ اللغة هي الأساس في بناء العملية الحجاجية، والقصد من وراء الحجاج في اللغة هو التأثير والإقناع وليس الإخبار، وقد حصر الباحثان درس الحجاج في نطاق دراسة اللغة، لا في البحث عما هو واقع خارجها.

ثالثاً: أركان الحجاج

عدَّ الحجاج من أهم الموضوعات التي أنتجتها الدراسات اللغوية الحديثة في الحقل اللساني التداولي، بوصفه مجموعة من التقنيات والآليات الخطابية التي توجه إلى المتلقِّي لغرض إقناعه والتأثير فيه، وتتكون العملية الحجاجية من أركان رئيسية تتم من خلالها العملية الحجاجية وهي:

- **المتكلم:** يعد المتكلم الركن الرئيس في العملية الحجاجية فبدونه لم يكن هناك حجاج أصلاً؛ لأنَّ المتكلم هو الذي يبدأ العمل الحجاجي بتقديم حجته ونتيجته التي يرمي إلى الحصول عليها بتقديم هذه الحجج، وبذلك يعد المتكلم الركن الأساس في العملية الحجاجية فهو صاحب الخطاب الحجاجي.

---

[1] يُنْظر: خطبة واصل بن عطاء(ت ١٣١هـ) مقاربة حجاجية تداولية، أحمد حلمي عبد الحليم، مجلة الزهراء، العدد٣٢، ٢٠٢٢م، ص: ١٥٢٤-١٥٢٥.

- **المتلقي:** يوجه المتكلم حجته إلى متلقٍ يستمع له فإذا لم يكن هنالك متلقٍ إلى من يوجه خطابه ويضع حججه، وقد يكون المتلقي واحداً أو يكون مجموعة، والغرض من القول الحجاجي هو إقناع المتلقي، فبدون الملتقي لا تتم العملية الحجاجية، وكما قيل: "ففي النهاية الإقناع هو اقناع شخص ما، ولا وجود لإقناع بدون هذا الطرف"[1]، فالإقناع يوجه للمتلقي، ولولا وجود المتلقي لما كان هناك داعٍ إلى القول الإقناعي.

- **الحجة:** وهي الوسائل الإقناعية التي يستعملها المتكلم في الخطاب لغرض تحقيق غاية يسعى إلى بلوغها، فيلجأ المتكلم إلى تقديم حججه لإقناع المقابل، أو أسباب يبرر من خلالها قضية ما وفعل ما، وهي تعد من الأساليب التي تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الاقتناع بما يعرض عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقتناع، فهي ركن مهم جداً من أركان العملية الحجاجية.

- **النتيجة:** وتمثِّل القضية الخلافية التي يسعى المتكلم إلى الوصول إليها واقناع المتلقي بها من خلال تقديم الأسباب المقنعة التي تمثِّل حججاً تلزم المتلقي على الاقتناع بها وقبولها، وهي تمثل غاية الكلام الحجاجي، فلم يُقدِّم قولٌ حجاجي إلَّا لإقناع المقابل بالنتيجة التي يريد الوصول إليها.

---

[1] الحجاج بين النظرية والتطبيق، أبو بكر العزاوي، (مداخلة، محمد الولي، ممهدات الخطابة البيرلمانية)، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، أربد- الأردن، ط١، ٢٠٢٠م، ص: ٥٣.

المبحث الثاني

الحجاج في الصحيفة الرضوية

أولاً: الروابط الحجاجية

إنَّ للحجة حضوراً كبيراً في ميادين الحياة المعاصرة، إذ توغلت في جميع مجالات التواصل بين الناس، فالسياسي يستعمل طرق الإقناع في خطاباته وإدارته، والأستاذ يحتاج للحجج في محاضراته لحصول الإقناع وتيسير إيصال المعلومات، وكذلك المجرم يقدم حججه لتبرئة نفسه، كما أنَّ المذنب عندما يدعو ربه يقدِّم له الحجج التي ساقته لارتكاب الذنب لإعفائه منه وحصوله على المغفرة، وإن أراد فضل الله وتوفيقه قدم له الحجج بالتضرع والدعاء؛ لأنَّه سبحانه يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[1]، فللحجاج حضور قوي في مجالات التواصل بين عوام البشر، ويمكن اقتناص القيمة الحجاجية لهذا التواصل عِبر وجود روابط لغوية في سياق الكلام، وتسمى بالروابط الحجاجية.

وتعرَّف الروابط الحجاجية بأنَّها "روابطُ تربط بين قولين أو حجتين على الأصح (أو أكثر) وتسند لكل قول دوراً محدداً داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة"[2]، أي أنَّها تقوم بعملية الانسجام أو التلاؤم بين فعلين كلاميين مختلفين، أو بين قضيتين أو أكثر، تربطهما علاقة معينة كعلاقة التعارض، أو السببية، أو الإضافة، أو الاستنتاج، أو الإضراب أو غيرها[3].

---

[1] سورة غافر، آية: ٦٠.

[2] اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص: ٢٧.

[3] يُنْظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ص: ١٥٣.

وتعرف أيضاً بأنَّها "مورفيم يصل بين ملفوظين أو أكثر، جرى سوقهما في إطار الاستراتيجية الحجاجية نفسها"[١]، فالجملة بإمكانياتها تحتوي على مورفيمات أو صيغ تصلح لإعطاء توجيه حجاجي حيث توجه المتلقي إلى الاتجاه المراد، فهي إذن موصلات تداولية منفصلة بعضها عن بعض، فـ"الرابط هو الذي يربط بين فعلين لغويين اثنين وبالتالي فهو موصل تداولي"[٢]، وتعمل هذه الروابط على إيجاد علاقة للأفعال اللغوية في سياق الكلام تجسد قيمتها الحجاجية، فهي عبارة عن وحدات صرفية تؤدي وظيفة الربط بين ملفوظين مختلفين داخل الخطاب.

ومن الروابط الحجاجية التي تزخر بها العربية (بل، لكن، إذن، حتى، لاسيما، فضلاً عن، مع ذلك، مادام، لأنَّ، بما أن، إذ، إذا، الواو، الفاء، اللام، كي،... الخ)[٣]، وهي أدوات لغوية تعمل على الربط الحجاجي بين قضيتين، كما تقوم بترتيب درجاتها بوصفها حجاجاً في الخطاب، كما أنَّ الروابط بحد ذاتها لا تدلّ على أي معنى، فإنَّ مهمتها هي الربط فقط بين الألفاظ المختلفة لبيان العلاقة القائمة فيما بينها[٤]، فالروابط الحجاجية لها دور كبير في بناء تسلسلات الخطاب وفي الاستنتاج المعرفي في الربط بين السبب والنتيجة التي يسعى المتكلم للوصول إليها، كما أنَّ الروابط تؤدي وظيفة دلالية وحجاجية في آن واحد فهي تقوم بدور مهم في فهم الخطاب وتأويله؛ لأنَّها تسهم بصورة أساسية في توجيه العمليات التأويلية[٥]، والتعبير عن المعنى المراد في سياق الكلام، وأنَّ دور هذه الروابط في استثمار دلالاتها في الكلام يكمن في ترتيب الحجج ونسجها في خطاب واحد متكامل فهي تفصّل مواضع

---

[١] الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وأنسكومبر، د. الراضي رشيد، مجلة عالم الفكر، العدد١، مجلد ٣٤، يوليو سبتمبر ٢٠٠٥م، ص: ٢٣٥.

[٢] المصدر السابق، ص: ٢٣٤.

[٣] اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص: ٢٧.

[٤] يُنْظر: استراتيجية الخطاب، الشهري، ص: ٥٠٨.

[٥] يُنْظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ص: ١٥٤.

الحجج، كما أنَّها تقوّي كل حجة منها الحجة الأخرى[1]، فالروابط الحجاجية تقوِّي الأواصر والعلاقة بين الحجة والنتيجة.

ومن هذا يتبيَّن أنَّ الروابط الحجاجية أدوات لغوية تبيِّن لنا علاقة داخل السياق تمثِّل القول الحجاجي، فهي تقوم بعملية الربط بين سبب أو مسبب ونتيجة ليمثِّل حجة، كما أنَّ الروابط تساعد على توجيه المتلقي لاستخلاص النتائج المراد الوصول إليها في الكلام، وهذه النتائج تمثِّل الحجة المقنعة للمتلقي، ويشترط في الحجة أن تكون صادقة في الدعاء؛ لأن الدعاء هو نصوص معصومة صادرة عن الإمام المعصوم، وتقوم الروابط بعملية التأثير والإقناع من خلال ربط السبب بالنتيجة أو رد النتيجة إلى المسبب الذي أتت منه، وأنَّ للدعاء الصادر من العبد إلى خالقه حججاً صادقة يواجه بها العبد ربه في تبرير موقفه وطلب الحاجات؛ لأنَّ الدعاء خطاب صاعد من الأدنى إلى الأعلى.

وقد أسهمت الروابط الحجاجية إسهاماً مهماً في تأطير نصوص الدعاء في الصحيفة الرضوية بالخاصية الحجاجية اللغوية، فقد توافرت فيها الكثير من الروابط التي أسهمت إسهاماً كبيراً في إبراز القيمة الحجاجية للأقوال وتوجيه دلالاتها، فقد احتوت أدعية الإمام الرضا (عليه السلام) على الحجج لبيان توكيد مطلب المتكلم للمساعدة في قبول الدعاء والاستجابة، ونورد هنا بعض الروابط التي تمثل الحجج في الصحيفة الرضوية وهي:

- الرابط الحجاجي (الفاء)

هي حرف عطف يفيد الترتيب والتعقيب وإفادة التشريك، وهي تعطف المفردات والجمل ولا يفصل بينها وبين معطوفها فاصل، كما أنَّ المعطوف لا يتقدم على

---

[1] استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص: ٤٧٢.

المعطوف عليه، وقد تأتي الفاء سببية، فيكون المعطوف متسبباً عن المعطوف عليه[١]، وهذا ما تدل عليه الفاء في معناها اللغوي والنحوي.

أمَّا من الناحية الحجاجية فهي من حروف العطف التي تضطلع بمهمة حجاجية، إذ إنَّها تربط بين النتيجة والحجة من أجل التعليل والتفسير، فهي أداة ربط تفيد التعليل والاستنتاج في الخطاب الحجاجي التداولي، كما أنَّها تجمع بين قطبين غير متباعدين في الدلالة على التقارب بين الأحداث، فضلاً عن الدلالة على الترتيب والاتصال، وأكثر ورودها كون ما بعدها أو المعطوف متسببا عما قبلها[٢]، وقد اشتملت الصحيفة الرضوية على الكثير من الشواهد الحجاجية التي استعمل فيها الرابط الفاء ليكون حجة وسبباً للدعاء تأملاً للإجابة والتأثير في المخاطب، ومن هذه الأدعية قول الإمام الرضا (عليه السلام) في طلب الاحتجاب من العدو:

((اسْتَسْلَمْتُ [يا] مَوْلايَ لَكَ، وَأَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَتَوَكَّلْتُ فِي كُل أُمُوري عَلَيْكَ، وَأَنَا عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدَيْكَ، فأَخْبَانِي اللهُمْ فِي سترِكَ عَنْ شِرَارِ خَلْقِكَ، وَاعْصِمْني مِنْ كُلِّ آذى وَسُوءٍ، بِمَنْكَ وَاكْفِنِي شَرَّ كُلِّ ذِي شَرٍّ بِقُدْرَتِكَ))[٣]، يعلن في الدعاء استسلامه تجاه خالقه فهو يخاطب الله سبحانه وتعالى ويخبره بالتسليم لأمره والتوكل عليه في كلِّ الأمور، ويعترف بالعبودية لله سبحانه، وهو تذليل للعبد أمام خالقه وإذعان له وتوكل عليه، لكن وراء كل هذا شيء بالمقابل يريد الداعي الوصول إليه أو نتيجة يريد أن يظفر بها من وراء هذه الحجج أو الأسباب التي قدَّمها، وهي أن يحفظه الله عزَّ وجلَّ من شر أعدائه ويعصمه من الأذى ويبعد عنه شر كلّ من

---

[١] يُنْظر: النحو الوافي، مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، عباس حسن، انتشارات ناصر خسرو– طهران، أربع مجلدات، ط٨، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م، ٣/ ٥٧٣– ٦٥٥.

[٢] يُنْظر: رسائل الإمام علي (ع) في نهج البلاغة دراسة حجاجية، مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة، سلسلة الرسائل الجامعية العراق، وحدة علوم اللغة العراقية سلسلة الرسائل الجامعية العراق، ١٥ وحدة علوم اللغة العربية، ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م، ص: ١٢٤.

[٣] الصحيفة، ص: ٤٧.

يحمل الشر في داخله، فهو دعاء حجاجي دلَّ عليه الرابط الحجاجي (الفاء) الذي توسط الحجة والنتيجة، وقد جاء بهذا الرابط؛ لأنَّ هذا الرابط يدلّ على التعقيب من دون تراخٍ فيبدو أنَّ المتكلم يعاني من مضايقة الأشرار وإحاطتهم به فهو يدعو الله سبحانه بتخليصه منهم وذلك بتقديم حججه الواضحة في أنَّه عبد ذليل فقير لله تعالى قد أسلم أمره كله إليه سبحانه، ويمكن التمثيل له بالشكل الآتي:

الحجة	الرابط الحجاجي	النتيجة
اسْتَسلمتُ يا مولايَ لَك، وأَسْلمتُ نَفسي إِليك، وتَوكَّلتُ في كل أموري عَليك، وأَنا عبدُك وابنُ عبديكَ	الفاء	أَخبأنِي اللهُم فِي سترِكَ عَنْ شرار خَلقِكَ، وَاعْصمني مِنْ كلِّ أذى وسوء

وكذلك جاء الرابط الحجاجي (الفاء) في دعائه (عليه السلام) في يوم عرفة: **((اللَّهُمَّ كَمَا سَتَرْتَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَعْلَمْ، فَاغْفِرْ لِي مَا تَعْلَمُ، وَكَمَا وَسِعَنِي عِلْمُكَ، فَلْيَسَعْنِي عَفْوَكَ، وَكَمَا بَدَأْتَنِي بِالْإِحْسَانِ، فَآتِمَّ نِعْمَتَكَ بِالْغُفْرَانِ، وَكَمَا أَكْرَمْتَنِي بِمَعْرِفَتِكَ فَاشْفَعْهَا بِمَغْفِرَتِكَ،...))**[1]، يطلب في الدعاء من خالقه الكثير من المطالب، ويقدِّم لكلّ مطلب حجة مقنعة ليتيسر قضاء حاجته وتقويم طلبه، كما أنَّه استعمل الرابط (الفاء) ليدلّ على التعجيل في قضاء مطالبه وحوائجه؛ لأنَّ الفاء حرف تعقيب بدون تراخٍ، فيطلب الداعي من خالقه المغفرة من كلّ ذنب أذنبه، وهو لا يعلم وخفى عليه وعلى البشر، فإنَّ الله سبحانه لا يخفى عليه ذنب، فيقدم حجته

[1] الصحيفة، ص: ٥٩.

بقوله: (كما سترت علي ما لم أعلم)، يلحقها بالنتيجة المرادة وهي قوله: (فاغفرلي ما تعلم).

وكذلك في قوله: (كما وسعني علمك)، وهو حجَّة يقدِّمها يريد بها نتيجة على شاكلتها، أي كما أنَّك تعلم ما في داخلي وتعلم نياتي وإساءتي وإحساني وتعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فأطلب؛ منك أن تتفضل عليَّ بالعفو والمغفرة؛ لأنَّك وحدك الذي يعلم بهذه الذنوب، كما أنَّه وحده سبحانه القادر على مغفرتها فيطلب منه العفو في قوله: (فليسعني عفوك)، فقد ربط في هذا الدعاء بين سبب (حجة) ونتيجة برابط حجاجي هو (الفاء).

ويحتوي هذا الدعاء على حجاج آخر بهذا الرابط أيضاً في قوله: (وكما بدأتني بالإحسان فأتمَّ نعمتك علي بالغفران)، فالحجة هي دوام الإحسان من قبل الخالق، والرابط هو (الفاء)، والنتيجة التي يريد الوصول إليها في الدعاء هي الطمع بهذا الإحسان وزيادته ليشمل مغفرة ذنوبه، فالإمام (عليه السلام) يعبِّر عن طمعه بفضل الله تعالى وجميل إحسانه ورحمته في طلب المزيد من هذا التفضل وهذه النعم، وهنا نجد الرابط الفاء قد عمل على التقريب والاتصال؛ للتسارع في حصول النعم.

كما نجد طلباً آخرَ في هذا الدعاء يزيّنه بحجة تأدباً مع خالقه وإذلالاً لنفسه وإذعاناً لقضائه، بقوله: (كما أكرمتني بمعرفتك فاشفعها بمغفرتك)، فيطلب الشفاعة للنفس ومغفرة الذنوب والمعاصي، وقدَّم حجته وهي إكرام الله سبحانه عليه بنعمة الإيمان، فالله سبحانه بقدرته جرف قلبه إلى الإيمان، أليس بقادر على أن يزكي هذه النفس من الخطايا ويشفع لها ويحفظها من وساوس الشيطان، فيربط بين الحجة والنتيجة بالرابط الحجاجي (الفاء)، فقد احتوى هذا الدعاء على اسلوب حجاجي استعمل فيه الرابط حرف (الفاء) العاطفة في الربط بين الحجج والنتائج التي يريد المتكلم الوصول اليها والظفر بها، ويمكن التمثيل لهذا بالجدول الآتي:

الحجة	الرابط الحجاجي	النتيجة
كما سترت عليَّ ما لم أعلم	الفاء	اغفر لي ما تعلم
كما وسعني علمك	الفاء	فليسعني عفوك
وكما بدأتني بالإحسان	الفاء	أتمَّ نعمتك علي بالغفران
كما أكرمتني بمعرفتك	الفاء	اشفعها بمغفرتك

- الرابط الحجاجي (حتى)

تعدَّدت معاني (حتى) في النحو، فقد تأتي حتى حرف عطف ولكن بشروط منها: (أن يكون المعطوف بها إسماً لا فعلاً ولا حرفاً، كما يجب أن يكون اسماً ظاهراً لا ضميراً لا مضمراً، وأن يكون المعطوف بعضاً حقيقياً من المعطوف عليه، كما يجب أن تكون الحسية أو المعنوية منها محققة لفائدة جديدة)، وقد تأتي (حتى) حرف جر، وهو الشائع في أشعار العرب، وتأتي (حتى) حرف ابتداء، إذا دخلت على جملة فعلية فعلها ماضٍ، كما قد تأتي ناصبة للفعل المضارع بعدها بأن مضمرة وجوباً وهي تدل على الغاية[1]، وقد تعَّددت معاني (حتى) النحوية حسب موقعها من الجملة.

أمَّا دلالتها الحجاجية فهي من الروابط المدرجة للحجج القوية والمتساوقة التي تؤدي إلى نتيجة واحدة، وهي تربط بين حجتين لها التوجه الحجاجي نفسه، وإنَّ دور هذا الرابط يتمثَّل في إدراج حجة جديدة أقوى من الحجة المذكورة قبلها، والحجتان تخدمان نتيجة واحدة ولكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية، وإنَّ حتى الجارة لا تكون حجاجية إلا حينما يكون ما بعدها داخلاً فيما قبلها، فيجمع النحاة

[1] يُنْظر: النحو الوافي، عباس حسن، ٣/ ٥٨٠ – ٥٨٣.

على أن يكون ما بعد حتى غاية لما قبلها[١]، فلذلك يكون ما بعدها حجة وسبب لما قبلها.

ولكن تبقى الحجة التي يأتي بها الرابط (حتى) هي أقوى من الحجة التي سبقتها، أي أن يكون ما بعدها غاية لما قبلها؛ ولذا نرى ديكرو يقرَّ بأنَّ "الحجة المربوطة بوساطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي أنَّها تخدم نتيجة واحدة، والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى؛ لذلك فإن القول المشتمل على الأداة (حتى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي"[٢]، وإنَّ ردّ الحقائق إلى أسبابها يتضمن فعلاً حجاجياً يجعل تلك الحقائق أمراً ممكناً ومصادرات راسخة لا تبَّدل ولا تحَّول، وتؤخذ مأخذ العقائد الكلية التي تضاف إلى الإيمان بقداسة الخطاب وعلو منزلته[٣]، وقد اشتملت الصحيفة الرضوية على الكثير من الحجج التي احتوت على هذا الرابط ومنها:

قول الإمام (عليه السلام) في الدعاء لوالديه الغريبين: **((وَأَنْ تَرْحَمَ وَالِدَيَّ الْغَرِيبَيْنِ فِي بُطُونِ الْجَنَادِلِ، الْبَعِيدَيْنِ مِنَ الْأَهْلِ وَالْمَنَازِلِ صِلْ وَحْدَتَهُمَا بِأَنْوَارِ إِحْسَانِكَ، وَأَنِسْ وَحْشَتَهُمَا بِأَثَارِ غُفْرَانِكَ، وَجَدِّدْ لِمُحْسِنِهِمَا فِي كُلِّ وَقْتٍ مَسَرَّةً وَنِعْمَةً، وَلِمُسِيئِهِمَا مَغْفِرَةً وَرَحْمَةً، حَتَّى يَأْمَنَا بِعاطِفَتِكَ مِنْ أَخْطَارِ الْقِيَامَةِ...))**[٤]، يدعو الإمام (عليه السلام) لوالديه محبةً ووفاءً للوالدين، فيطلب من الله عزَّ وجلّ الرحمة لهما والإحسان بهما، كما أنَّه يطلب المغفرة لهما ودوام الإحسان وإرضائهم به، ويقدِّم هذا المطالب لغاية يريد إيصالهم إليها، وهي البر بوالديه في الدعاء لهم

---

[١] يُنْظر: النحو الوافي، عباس حسن، ٣/ ٥٨٠.

[٢] اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص: ٧٣.

[٣] يُنْظر: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة (بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، د. علي الشبعان، تقديم حمادي صمود، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط١، ٢٠١٠م، ص: ٢٨٤.

[٤] الصحيفة، ص: ٢٢.

بالرحمة والإحسان، ثم يأتي بحجة أخرى –بعد الرابط الحجاجي (حتى)– تقوي الحجة الأولى وتساوقها وهي قوله : (حتى يأمنا من أخطار القيامة) فيطلب لهما الأمان من أخطار القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فيأتي في الدعاء بحجج مترابطة ومتساوقة تخدم نتيجة يريد الوصول إليها وهي الدعاء لوالدية في النجاة في الدنيا والآخرة، فيربط المطالب والحجج بالحرف الذي جاء هنا للغاية وهو (حتى)، وهو هنا رابط حجاجي ربط بين مطالب تكون سبباً لغاية يريد المتكلم الوصول إليها وهي التفضل على والديه يوم القيامة بالأمن من أخطار ذلك اليوم والعتق من النار، ويتبين الخطاب الحجاجي من خلال الدعاء الذي يعد سبباً يريد الداعي من خلاله الوصول إلى نتيجة وهي العتق من النار لوالديه، وذلك عن طريق تقديم حجج مترابطة بالرابط الحجاجي (حتى).

ومن استعمال (حتى) الحجاجية كذلك في الصحيفة قوله (عليه السلام) في الدعاء لولده المهدي (عليه السلام): ((**وَاقْصِمْ بِهِ رُؤُوسَ الضَّلالَةِ، وَشارِعَةَ الْبِدْعَةِ، وَمُمِيتَةَ السُّنَّةِ، وَمُقَوِّيَةً الباطل، واذْلِلْ بِهِ الْجَبَّارِينَ، وَاَبِرْ بِهِ الْكَافِرِينَ (وَالْمُنَافِقِينَ) وَجَمِيعَ الْمُلْحِدِينَ حَيْثُ كَانُوا وَأَيْنَ كَانُوا مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا وَبَرِّهَا وَبَحْرِهَا وَسَهْلِهَا وَجَبَلِهَا، حَتَّى لَا تَدَعَ مِنْهُمْ دَيَّاراً ولا تُبْقِي لَهُمْ أثاراً**))[1]، يقدّم الإمام (عليه السلام) أسباباً ويضع رابطاً يسوق إلى نتيجة مراده، فيطلب من الله عزَّ وجلّ أن يظهر عبده الصالح الإمام المنتظر(عليه السلام)، ليقصم به رؤوس الضلال ويقضي على من يخالف السنة وأصحاب الباطل، كما يذلُّ بظهوره المنافقين والجبارين في جميع أنحاء العالم، ويسوق لذلك حجة أخرى بالرابط الحجاجي (حتى) في قوله: (لا تدع منهم ديارا ولا تبقي لهم آثارا)، وذلك ليصل إلى نتيجة؛ وهي أمان الناس بإخلاء الأرض من الظالمين وتطهيرها من شرورهم والقضاء عليهم، وقد ساق لذلك أداة ربط ربطت بين الحجج وهي الأداة (حتى)، إذ دلت في سياق الدعاء على عملها

---

[1] الصحيفة، ص: ٧٥.

الحجاجي في الغاية التي يريد الداعي الوصول إليها؛ لأنَّها تسوق الحجج للوصول إلى النتيجة، فالحجة من دعاء الإمام لولده المهدي (عليه السلام) بتقوية عزائمه وتدعيمه ضد الكافرين والمنافقين، تؤدي إلى نتيجة مرادة وهي تطهير الأرض منهم ومن أمثالهم.

ومن الدعاء في الرابط الحجاجي (حتى) قوله (عليه السلام) لهداية رجل إلى مذهب الحق: **((اللَّهُمَّ خُذْ بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَمَجَامِعِ قَلْبِهِ حَتَّىٰ تَرُدَّهُ إِلَى الْحَقِّ))**[1]، يطلب العبد من خالقه في هذا الدعاء الأخذ بسمع وبصر شخص ما وكذلك الأخذ بقلبه، والمراد هنا هو تولي زمامها وتوجهها وتقربها إلى الله تعالى في سماع قول الحق وغض البصر عن كل ما يغضب الله سبحانه، ومسايرة قلبه إلى حب الإيمان والتعلق بكل ما يرضي الله سبحانه، ثم يسوق حجة أخرى يربطها بالحجة الأولى بالرابط الحجاجي (حتى) في قوله: (ترده إلى الحق) فيطلب أيضاً إرجاع هذا الشخص إلى طريق الحق وتثبيته على الصراط القويم، وهذه كلّها أسباب يريد المتكلم من خلالها الوصول إلى نتيجة معينة وهي، هداية هذا الشخص وتثبيته على الإيمان حتى يأمن من أخطار القيامة، ويدلنا على ذلك ورود الرابط الحجاجي (حتى) الذي ربط بين السباب أو الحجج للوصول الى النتيجة أو الغاية المطلوبة، فحتى هنا حرف غاية.

- الرابط الحجاجي (لكن)

وهو من الناحية النحوية حرف استدراك يتوسط بين جملتين كاملتين، بينهما اتصال معنوي لا إعرابي، وتكون في صدر الجملة الثانية، ويدل على المغايرة والمخالفة بين الجملة التي تسبقها والجملة التي تليها، فتدل على إبعاد معنى وإثبات الآخر، أي تستدرك على كلام بإبطاله وإثبات نقيضه، ويعبر النحاة على هذا

---

[1] الصحيفة، ص: ٧٨.

الاستدراك بقولهم: "تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته أو اثبات ما يتوهم نفيه"[١]، كما أنها تستعمل أحياناً لمجرد تأكيد المعنى.

أمَّا في استعماله الحجاجي فهو رابط يربط بين حجتين، حيث إنَّه يقع بين حجتين متضادتين، فيقدم المتكلم الحجة الأولى لتدل على نتيجة معينة، ثم يأتي بالحجة الثانية التي تخدم نتيجة مضادة للنتيجة الأولى[٢]، فتمثَّل أسلوباً حجاجياً في الكلام بالربط بين جملتين تدحض الأولى وتثبت الأخرى لتؤكدها وترجحها لإقناع المخاطب بها، وجاء هذا الرابط في الصحيفة الرضوية في مواضع يمثِّل حجة يقدمها العبد إلى خالقه ليرضي خالقه ويظفر بالعفو والمغفرة، ومن هذه الأدعية التي احتوت على الحجاج بهذا الرابط منها:

دعاءه (عليه السلام) لدفع شر الأعداء: **((وَأَنْتَ اللهُمَّ مُشاهِدُ هَوَاجِسَ النُّفُوسِ، وَمُرَاصِدُ حَرَكاتِ الْقُلُوبِ، وَمُطالِعُ مَسَراتِ السَّرَائِرِ، مِنْ غَيْرِ تَكلُّف وَلا تَعَسُّفٍ، وَقَدْ تَرَى اللَّهُمَّ مَا لَيْسَ عَنْكَ بِمُنْطَوِي وَلكِنْ حِلْمُكَ أَمَنَ اَهْلَهُ عَلَيْهِ جُرْأَةٌ وَتَمَرُّداً، وَعُتُوا وَعِناداً،...))**[٣]، يبيِّن السياق كلاماً حجاجياً بين المتكلم (الداعي) والمخاطب (خالقه)، يبين فيه حجة ونتيجة ثم يسترك عليه بحجة ونتيجة أقوى، برابط حجاجي هو (لكن)، إنَّ ما أحدثه هذا الرابط في الدعاء هو استدراك ورفع مايتوهم بثبوته، فيقدم حجة تؤدي إلى نتيجة مرادة، ثم يستدرك على حجته بحجة أخرى تؤدي إلى نتيجة أقوى من الحجة والنتيجة السابقة، وتتمثل الحجة بقوله: (وأنت اللهم مشاهد هواجس النفوس ومراصد حركات القلوب ومطالع مسرات السرائر من غير تكليف ولا تعسف وقد ترى اللهم ما ليس عنك بمنطوي)، ويقصد أنَّ الله سبحانه لا تخفى عليه خافية، حيث يعلم ما يدور داخل النفس وما تحب وما تكره وما تريد،

---

[١] النحو الوافي، عباس حسن، ١/ ٥٧٢.

[٢] يُنْظر: اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص: ٥٨.

[٣] الصحيفة، ص: ٤٥.

وكذلك يعلم بحركات القلوب وأهوائها، ويعلم كلّ ما تخفيه النفس وتسره من دون تكلف ولا تعب فسبحانه أقرب إلينا من حبل الوريد، ويعلم ما يفعله العبد من معاصي في الخفاء، والنتيجة التي يريد الوصول إليها هي اثبات قدرة الله تعالى على ذلك، ثم يستدرك بحجة أقوى ينقض فيها هذه الحجة والنتيجة وهي قوله: (ولكن حلمك أمن أهله عليه جرأة وتمرا)، فجاء بحرف الاستدراك (لكن) ليربط به حجة أخرى مناقضة للحجة الأولى وهي حلم الله تعالى بالعباد، رغم قدرته لكنه يعفو ويصفح، وهذا العفو والصفح يؤدي إلى نتيجة خطيرة وهي تمرد العباد وزيادة جرأتهم وعنادهم مع الله تعالى.

ويحتوي السياق على حجة أخرى لكن من دون رابط حجاجي في قوله: (حلمك أمن أهله عليه جرأةً وتمرداً وعتواً وعناداً)، هذا العفو والصفح يؤدي بالعبد إلى التمرد والاستمرار بالمعاصي؛ ظناً منه بعدم معاقبته على أعماله، فعلى الرغم من معرفة الله سبحانه بأسرار الإنسان وذنوبه الخفية إلّا أنَّه يعفو ويصفح.

ويتمثَّل الحجاج بهذا الرابط في الصحيفة بقوله (عليه السلام) في المناجاة بثناء الله تعالى: ((**وَلَوْ أَنِّي سَلَكْتُ سَبِيلَ الْحَيَاءِ لَخِفْتُ مِنْ مَقَامِ الطَّلَبِ وَالدُّعَاءِ، وَلَكِنِّي يَا رَبِّ لَمَّا سَمِعْتُكَ تُنَادِي الْمُسْرِفِينَ إِلَى بَابِكَ، وَتَعِدُهُمْ بِحُسْنِ إِقَالَتِكَ وَثَوَابِكَ جِئْتُ مُمْتَثِلاً لِنِّدَاءِ، وَلَائِذاً بِعَوَاطِفِ أَرْحَمِ الرُّحَمَاءِ**))[1]، يربط في الدعاء بين جملتين متناقضتين بالرابط الحجاجي (لكن)، فنجد في الجملة الأولى الحجة أو السبب الذي يسوق إلى نتيجة معينة، ونجد في الجملة الثانية حجة وسبب يقود إلى نتيجة أيضاً، وفي هذا الدعاء جملة الحجة تمثلت بقوله: (لو إني سلكت سبيل الحياء لخفت من مقام الطلب والدعاء)، يربط بين جملة الحجة وهي: (لو أنّي سلكت سبيل الحياء) وجملة النتيجة وهي قوله: (لخفت من مقام الطلب والرجاء)، إذ يبين الداعي جرأته في التوجه والدعاء رغم ذنوبه ومعاصيه، ولكنه يستدرك على هذا الكلام بحجة

[1] الصحيفة، ص: ٢١.

ونتيجة أقوى منها بالرابط الحجاجي (لكن) بقوله: (لما سمعتك تنادي المسرفين إلى بابك، وتعدهم بحسن إقالتك وثوابك)، ويقصد بها أنَّه لمّا سمع نداء ربَّه إليه بقبوله اعتذاره والصفح عنه، حيث إنَّه كان يستحي من خالقه أن يدعوه ويتوجه إليه؛ لأنَّه مليء بالذنوب والخطايا التي لا يستطيع أن يواجه بها العبد ربه، ثم يأتي بجملة النتيجة بقوله: (جئت ممتثلا للنداء)، ليبيّن معرفته بحلم الله سبحانه في قبوله المسرفين إذا تابوا وأحسنوا، فجاء مسرعاً لسماعه بأنَّ الله سبحانه يقبل توبة التائبين ويصفح عن المسرفين حيث جاء لينال الرحمة والمغفرة، وهذا يعد من السياقات الحجاجية الذي يقدم به العبد حجته بأنَّه عبد يستحي من ذنوبه فيخشى التوجه إلى خالقه حياءً منه، لكنَّه يعلم بأنَّ الله سبحانه يقبل توبة التائبين ويهدي الضالين المسرفين، فجاء بالنتيجة وهي مجيئه مسرعاً لكي يظفر برحمة ربه، كما أنَّ الرابط هنا (لكن) مثل المعنى خير تمثيل في جعل الكلام حجاجياً ورسم لنا صورة حجاجية واضحة في هذا الدعاء تمثل في حجة العبد الأولى في الجملة الأولى ونتيجته بجرأته على الدعاء رغم ذنوبه، ثم الاستدراك عليها بحجة أقوى تدحضها، وهي قبول الله أصحاب المعاصي إذا تابوا وأصلحوا، فالله سبحانه رحيم بالعباد عطوف حليم، ونتيجته وهي العودة إلى الله سبحانه لنيل المغفرة.

ثانياً: العوامل الحجاجية

تمثِّل العوامل الحجاجية محركاً رئيساً من ضمن المحركات التي تقوم عليها عملية التخاطب، فهي تؤدي وظيفة الربط بين وحدتين دلاليتين داخل الفعل الكلامي نفسه أو القضية الواحدة وتتصف هذه العوامل في توجيه دلالة الملفوظ وجهة دون أخرى انسجاماً مع النتائج المراد التعبير عنها[١]، وبما أنَّ العامل يربط بين وحدتين دلاليتين داخل الفعل اللغوي نفسه فهو يعد موصِّلاً قضوياً[٢]، أي يربط بين مقصدين أو معنيين في الكلام ولكن يفضل مقصد على آخر، فهو يوصِّل بين قضيتين ولكن يفضل أحداهما.

ويرى ديكرو وأنسكومبر أنَّ للعوامل بعداً لسانياً حجاجياً، فتعد العوامل عندهم مورفيمات تحمل وظيفة إقناع المتقبل ودفعه إلى تحديد نتيجة معينة، فإذا احتوى الملفوظ على عامل حجاجي يكون من السهل اكتشاف الخطة الخطابية التي يقوم عليها هذا الملفوظ، فهي تساعد على اكتشاف الوجهة الحجاجية التي يقصدها منشئ الخطاب، كما تعمل العوامل الحجاجية على تناسق الخطاب وترابطه وتكامل بنيته،[٣] فيعرَّفان العامل الحجاجي بأنَّه " مورفيم إذا جرى تطبيقه في محتوى أو ملفوظ معين، يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ"[٤]، أي بيان المراد من الكلام؛ بتحديد النتيجة التي يريد المتكلم إيصالها إلى المخاطب، فيُعد العامل الحجاجي أداة يمكن أن نصل عِبره إلى النتيجة المرادة من الملفوظ.

---

[١] يُنْظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ص: ١٥٢.

[٢] يُنْظر: الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وأنسكومبر، الراضي رشيد، ص: ٢٣٤.

[٣] يُنْظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، د. عزالدين الناجح، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، تونس ، ط١، ٢٠١١م، ص: ٣٣.

[٤] الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وأنسكومبر، الراضي رشيد، ص: ٢٣٥.

فالعوامل الحجاجية هي عناصر لسانية تقوي درجة التوجيه في الخطاب، وكما يقول ديكرو وأنسكومبر في كتابهما: "إنَّ وجود بعض المورفيمات في بعض الجمل يعطيها توجيهاً حجاجياً... للوصول إلى نتيجة محددة دون غيرها"[١]، فهما يريان بأنَّ الانتقال من القول١ إلى القول٢ يسمى التوجه.

والعوامل الحجاجية كما يرى العزاوي " لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة وبين مجموعة حجج) ولكنَّها تقوم بحصر وتقييد الامكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل (ربما، تقريباً، كاد، قليلاً، كثيراً، ما...إلا، وجلّ أدوات القصر)"[٢]، وتعد العوامل عناصر تدخل الإسناد مثل الحصر، أو مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة، فهي تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية لقول ما[٣]، كما وتعد أدوات النفي في العربية (لا، ولن، ولم، وما، وليس) عوامل حجاجية أيضاً، حيث يرى ديكرو بأنَّها مورفيمات تقوم بتوجيه القول وتوجيه المتلقي في آن واحد "إذ يحقق بها المتكم وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتلقي وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى النتيجة"[٤]، ومن هذا النوع أيضاً نجد النفي والاستثناء المفرغ والشرط والجزاء، وما إلى ذلك مما يغيِّر قوة الجملة دون محتواها الخبري[٥]، فالعوامل الحجاجية لا تربط بين حجة ونتيجة وإنَّما تقيِّد الحجة وتحصرها لنتيجة ما.

فالعوامل الحجاجية تحدث متغيرات في الكلام تؤدي إلى النتيجة المرادة؛ بما تحدثه من انسجام في الخطاب لإذعان المستمع والتسليم للاتجاه الذي يريده المتكلم

---

[١] العوامل الحجاجية في اللغة، عز الدين الناجح، ص: ٣٢.

[٢] اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص: ٢٧.

[٣] يُنْظر: البنية الحجاجية في شعر عز الدين ميهوبي، فوزية زياد، ص: ١١٤ – ١١٥.

[٤] العوامل الحجاجية في اللغة، عز الدين الناجح، ص: ٤٧.

[٥] يُنْظر: رسائل الامام علي (ع) في نهج البلاغة دراسة حجاجية، رائد مجيد جبار، ص: ١٠١.

والإخضاع له، فهي عوامل تؤثر في المخاطب لإقناعه وإرضائه بما يريده المتكلم من خلال تقوية الحدث التوجيهي في الخطاب، وقد وردت العوامل الحجاجية في أدعية الإمام الرضا (عليه السلام) في الصحيفة الرضوية وهي:

١- القصر

يؤدي أسلوب القصر إلى تضمين الخطاب بعداً حجاجياً، حيث يزيد من تأكيد الكلام؛ لأنَّ القصر بالنحو أسلوب يُفيد التوكيد، ويُوجِز الكَلام، ويُمكِّنه مِن الذهن، وينفي عنِ الفِكر كُل إنكار وشَكٍّ، وأنَّ غاية كلّ حجاج هي أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فالحجاج الناجح هو ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه[١]، وإنَّ القصر يؤكِّد الحجة ويقوِّيها فيساعد في إقناع المخاطب وتسليمة لما يقصده المتكلم.

وللقصر أنواع منها: قصر افراد ويتمثل بتخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثانٍ، مثل زيد شاعر لا منجم، وقصر قلب مثل، ما شاعر إلا زيد، كما أن للقصر أربع طرائق منها[٢]:

- **العطف**، هو قصر الموصوف على الصفة، مثل: زيدٌ شاعرٌ لا منجمٌ، وقصر الصفة على الموصوف مثل: ما عمرو شاعرٌ بل زيدٌ.

- **النفي والاستثناء**، ويتمثل بقصر الموصوف على الصفة مثل: ما محمدٌ إلَّا رسولٌ، ليس زيدٌ إلَّا شاعراً، وقصر الصفة على الموصوف مثل: ما شاعرٌ إلَّا زيدٌ.

---

[١] يُنْظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم الأمين، ص: ١٠٧ – ١٠٨.

[٢] يُنْظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ص: ٢٨٨ – ٢٩٢.

- **استعمال إنَّما**، تفيد معنى القصر؛ لأنَّها تضمن معنى (إلا الاستثنائية وما النافية)، فقصر الموصوف على الصفة مثل: إنَّما زيدٌ جاء، أو قصر الصفة على الموصوف مثل: إنما يجيءُ زيدٌ.

- **التقديم**، أي تقديم ما حقه التأخير فيقصر الموصوف على الصفة مثل: تميميٌ أنا، وتقصر الصفة على الموصوف مثل: زيداً ضربت أو ما زيداً ضربت.

وللقصر طرفان هما المقصور والمقصور عليه، واعتماد أداة النفي مع الاستثناء يخص أحد الطرفين على الآخر، وبذلك يكون القصر في الحجاج بمثابة تقديم التدعيم (الحجة) والنتيجة داخل الخطاب، هذا التدعيم المعتمد عن طريق القصر، يأخذ مرتبة البرهان الذي لا يردّ ولا يدحض ويجعل ذهن المتلقي محصوراً بين هذا التدعيم وتلك النتيجة المقصودة، دون النظر إلى احتمالات أخرى، وخاصة أنَّه يرد بعد الاستثناء، فيبرز الجانب التداولي لأداة الاستثناء في القصر فهي تمثِّل حجَّة تدعم نتيجة معينة[١]، وقد احتوت الصحيفة الرضوية على الكثير من هذا الأسلوب في قصر العظمة لله سبحانه وحده وقصر الربوبية له حده، والكثير من الصفات التي تميزت باختصاصها بالله وحده، ومن أساليب القصر هو أداة الاستثناء (إلا) المسبوقة بأداة نفي وهي:

- **العامل الحجاجي (لا...إلا)**

وتمثل هذا العامل الحجاجي في دعاءه (عليه السلام) عند الخروج من المنزل: **((بِسْمِ اللَّهِ خَرَجْتُ وبِسْمِ اللَّهِ وَلِجْتُ، وَ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ))**[٢]، يقصر الإمام (عليه السلام) الحول والقوة لله سبحانه وحده، فلا قدرة إلَّا قدرته ولا توفيق إلَّا به سبحانه، ويستعمل لذلك عاملاً حجاجياً متمثلاً

---

[١] يُنْظر: العوامل الحجاجية وروابطها في التمثيلات النبوية، زقنون نصيرة، جامعة أحمد بنبلة وهران، مجلة جسور المعرفة، المجلد ٥، العدد ٤، ٢٠١٩م، ص: ٦٩٦.

[٢] الصحيفة، ص: ٦٦.

بأسلوب القصر ب(لا... إلا)، التي ضمَّنت الدعاء أسلوباً حجاجياً تمثِّل بالتوكل على الله سبحانه لحفظه؛ لأنَّه لا حافظ إلا هو سبحانه، فقد استعمل الإمام (عليه السلام) هذا الأسلوب للتعبير عن قدرة الخالق في حفظه، فالقيمة الحجاجية لقول ما ترتبط بالنتيجة التي يمكن أن تؤدي إليها أي بتكملته الممكنة والمحتملة، ولا ترتبط بتاتاً بالمعلومات التي يتضمنها[١]، فالحجاج يتعلق بالحجة والنتيجة والعامل الذي يساعد في تأدية الحجاج، وكما نرى في هذا الدعاء يقِّدم الإمام (عليه السلام) حجته وهي أنَّه يعلم بأنَّ القدرة والقوة لله سبحانه وحده في حفظه عند خروجه من المنزل، فقد قصر القوة لله سبحانه وحده، لذلك جاءت النتيجة بالتوكل على الله سبحانه في خروجه، وقد قيل الدعاء عند الخروج من المنزل ليتحصَّن الإنسان بالله تعالى.

وكذلك جاء الحجاج بهذا العامل الحجاجي في الصحيفة بقوله(عليه السلام): **((اللهُمَّ اَنْتَ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَمِلْتُ سُوءً، وَظَلَمْتُ نَفْسي فَاغْفِرْ لي ذُنُوبي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ))**[٢]، يطلب العبد من خالقه غفران ذنوبه بتقديم حجته وهي أنَّه لا يغفر الذنوب أحد سواه، فالناس والملائكة وكل المخلوقات لا تستطيع أن تفعل هذا الفعل وهو غفران الذنوب، فالله سبحانه وتعالى وحده القادر على ذلك، فطلب غفران الذنوب تمثل النتيجة التي يريد الداعي الوصول إليها، وأنَّ الله سبحانه وحده القادر على تحقيق هذا الطلب، فقدرة الله تعالى تمثّل الحجة المقدَّمة لحصول النتيجة المرادة وهي غفران الذنوب، فنرى أنَّ هنالك تناسباً دلالياً بين القضية الواردة في الجزء الأول من المثال والقضية الواردة في الجزء الثاني، بتقديم حجة أو سبب مقنع واستعمال عامل حجاجي مناسب يقيد الحجة ويحصرها لنتيجة ما، وهي أنَّ الله سبحانه وحده القادر على غفران الذنوب، فإلى من يلجأ المذنبون إلّا إلى خالقهم فهو أرحم الراحمين وهو العفو الغفور.

---

[١] يُنْظر: اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص: ٢٦.

[٢] الصحيفة، ص: ٨٦.

وكذلك تضمَّن الحجاج في قوله (عليه السلام): ((**اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لي فيما أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ إِنَّكَ تَقْضِي ولا يُقضى عَلَيْكَ، لا منجا وَلا مَلَجَأَ وَلا مَفَرَّ وَلَا مَهْرَبَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ سُبْحَانَكَ وَحَنَانَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ...**))[1]، الأفعال المتقدِّمة (لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك) أي لا مهرب ولا ملاذ ولا مخلِّص من عقوبتك إلّا إلى رحمتك، وتقديره لا ملجأ منك إلى أحد إلّا إليك ولا منجا منك إلّا إليك، وهو أسلوب حجاجي يثبت فيه الإمام (عليه السلام) نتيجة، وهي أنَّه لا يمكن الاستعانة بأحد سوى الله سبحانه وتعالى، فيجب الاستعانة بالله سبحانه في جميع الأمور، فلا مهرب من الذنوب إلّا إلى الله سبحانه وبجواره يلوذ الخائف من الأخطار فلا عاصم غيره، وقد استعمل العامل الحجاجي (إلّا) الاستثنائية المسبوقة بأداة النفي(لا)، وهي مِن أساليب القصر حيث قصر التوجه والملاذ لله تعالى وحده لا لأحد سواه، فالإمام (عليه السلام) يريد أن يصل إلى نتيجة وهي الحصول على الهداية والحفظ والوقاية من الله سبحانه، بتقديم حجَّته وهي أنَّ هذه الأمور كلَّها لا تُستطاع ولا تُنال إلّا بفضل الله تعالى عليه وحمته، فيقيد الحجة لنتيجة مرادة.

وجاء هذا العامل الحجاجي أيضاً في قوله (عليه السلام) عند الاحرام للتمتع بالعمرة إلى الحج: ((**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنِي مِمَّنِ اسْتَجَابَ لَكَ، وَأَمَنَ بِوَعْدِكَ وَاتَّبَعَ أَمْرَكَ، فإنّي أَنَا عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ، وَفِي قَبْضَتِكَ، لَا وَاقٍ إِلَّا مَا وقَيْتَ، وَلَا أَخِذٌ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَ**))[2]، يطلب الداعي من خالقه أن يهديه إلى طريق الحق، ويأخذ بقلبه إلى الإيمان، والتثبيت على اتباع أوامر الله سبحانه واجتناب نواهيه، وهذا الطلب يعد نتيجة يريد الوصول إليها، عبر تقديم حجة مفادها أنَّه قصر القدرة لله سبحانه وتعالى، إذ لا يوجد أحد في الكون قادر على أن يقيه من المعاصي والذنوب سوى الله سبحانه وتعالى، كما أنَّه لا يمكن أن يفعل الإنسان شيء إلّا بأمر الله سبحانه،

---

[1] الصحيفة، ص: ٨٧.

[2] الصحيفة، ص: ١٠٠.

فالله سبحانه هو المتحكم بتوفيق العباد، وكلّ شيء عنده بمقدار، وقد استعمل في هذا الدعاء أسلوباً حجاجياً تمثَّل بالعامل الحجاجي(لا... إلا)، فقد عمل على نفي الوقاية من الناس وقصرها على الله سبحانه، وكذلك العطاء، فالحجة في هذا الدعاء هي أنَّ الوقاية والعطاء بيد الله سبحانه وحده، والنتيجة المرادة هي طلب الهداية والوقاية منه سبحانه، وأمّا العامل الحجاجي الذي ربط الحجة بالنتيجة هي أداة الاستثناء المسبوقة بالنفي.

- **العامل الحجاجي(إنَّما)**

جاء هذا الرابط في قوله (عليه السلام) في الدعاء عند التوجه إلى منى في الحج: **((وَأَسْأَلُكَ اَنْ تَمُنَّ عَلَيَّ فِيهَا بِمَا مَنَنْتَ بِهِ عَلَى أَوْلِيَائِكَ وَأَهْلِ طَاعَتِكَ وَخِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَأَنْ تُوَفِّقَ لَنَا مَا وَفَّقْتَ لَهُم مِنْ عِبادِكَ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ، وَفِي قَبْضَتِكَ))**[1]، تضمَّن سياق الدعاء بعداً حجاجياً تمثّل بأداة القصر (إنَّما) التي عملت كعامل حجاجي في الدعاء وبينت حجَّة ونتيجة مقتصرة عليها، حيث قدَّم طلبه بخضوع وتذليل وتصغير للنفس وهو يطلب الوصول إلى منزلة أوليائه الصالحين، ثم جاء بأداة القصر (إنَّما) ليقصر بها حجته وهي أنَّه عبد ذليل بيد الله سبحانه، لغرض الحصول على التوفيق وجعله من عباده الصالحين، فالحجاج يهتم بموضوع واحد وهو العملية أو الطريقة التي يتم من خلالها تقديم أسباب من أجل إقناع محاور أو مستمع ووحدات هذه العملية هي الحجة[2] المقنعة التي يقدّمها الداعي، وحجته هي الخضوع لله تعالى والتسليم لأمره، ليظفر بالنتيجة المرادة وهي التحرر من الخطايا والوصول لتلك المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة عند الله تعالى، ويمكن القول إنَّ

---

[1] الصحيفة، ص: ١٠٦.

[2] يُنْظر: تاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون، وجيل جوتييه، ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي، ص: ١٥.

العامل الحجاجي هنا ساعد على اظهار المنحنى الحجاجي اللغوي في الدعاء؛ وذلك بتحقيق وظيفته الحجاجية، وهي قصر العبودية لله تعالى.

٢- النفي

يعد النفي من العوامل الحجاجية التي يستثمرها المحاجج أو المخاطب، لتوجيه الفعل الحجاجي وجهة واحدة لإقناع مخاطبه بحقيقة تمثل نتيجة للملفوظ الحجاجي التي يريد الباث إقناع المتلقي بها[١]، وقد احتوت الصحيفة الرضوية على هذا النوع من الحجاج الذي يتمثل بالعامل الحجاجي النفي بأنواعه، ومنها:

- العامل الحجاجي (لا)

جاء النفي عاملاً حجاجياً في أدعية الإمام الرضا (عليه السلام) في المناجاة بالحمد لله تعالى وشكره حال السجدة قوله: ((**لَكَ الْحَمْدُ إِنْ أَطَعْتُكَ، وَ لَا حُجَّةَ لِي إِنْ عَصَيْتُكَ، وَلَا صُنْعَ لِي وَلا لِغَيْرِي في إِحْسَانِكَ، وَلَا عُذْرَ لي إِنْ أَسَأْتُ ما أصابَني مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْكَ**))[٢]، يستعمل الإمام (عليه السلام) الأسلوب الحجاجي في هذا الدعاء باستعمال أداة النفي (لا)، وهي تعد من العوامل الحجاجية التي تبين حجة ونتيجة، فيبيّن حجته بقوله: (لا حجة لي إن عصيتك)، أي لا عذر لي ولا دليل مقنع على عصيانك؛ فلذلك أطعتك ولك الحمد على توفيقك لهذه الطاعة، فالحجة هي أنَّه لا يملك عذر لعصيان الله تعالى، أمَّا النتيجة فهي الطاعة، حيث أطاع لأنَّه لا يملك حجة للعصيان، كما يقِّدم في هذا الدعاء حجة أخرى وهي أنَّ الاحسان خاص بالله تعالى ولا يمكن للإنسان صنعه، فالله ولي الإحسان، فالحجة هي أنَّه لا يستطيع أن يصنع الاحسان لنفسه ولا يستطيع أحد من الناس صنعه له فهو توفيق من الله سبحانه، فالنتيجة هي أنَّ الإحسان خاص بالله تعالى، ويدلّ على ذلك في تكملة دعائه بقوله: (ما أصابني من حسنة فمنك)، كما يقدِّم مضمون الدعاء حجة أخرى

---

[١] اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص: ٢٩.

[٢] الصحيفة، ص: ١٩.

يريد بها نتيجة مضمرة يدلّ عليها سياق الدعاء، وهي قوله: (لا عذر لي إن اسأت)، وهو يعد حجة يقصد بها أنَّه لا يستطيع الإساءة لله لأنَّه لا يوجد لديه عذر للإساءة، فالله سبحانه دائم الإنعام والإحسان مع العباد، فلا يمكن للعبد أن يرد هذا الإحسان بالإساءة، وقد ذكر العامل الحجاجي وهو النفي ب(لا)، وذكر الحجة وهي ليس له عذر للإساءة وترك النتيجة تفهم من السياق وهي أنَّه يجب أن يحسن مع الله سبحانه.

- العامل الحجاجي (لم)

كما ذكر النفي كعامل حجاجي في الصحيفة بقول الإمام (عليه السلام) لدفع شر الأعداء: **((اللهُمَّ فَبَادِرْنَا مِنْكَ بِالْعَوْنِ الَّذى مَنْ أَعَنْتَهُ بِهِ فَازَ وَمَنْ أَيَّدْتَهُ لَمْ يَخَفْ لَمْزَ لَمَّاز))**[1]، يحتوي سياق الدعاء على عامل حجاجي وهو النفي بالأداة (لم)، التي تعمل على توجيه الحجة إلى نتيجة معينة، فيطلب الإمام (عليه السلام) في هذا الدعاء العون من الله تعالى، فمن استعان في الله لن يخيب، وكما جاء في الذكر الحكيم في الحث على الاستعانة بالله:﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِين﴾[2]، أي لا نستعين بغير الله تعالى، فطلب العون من الله عِزة ورفعة، إما الطلب من غير الله ففيه ذل واستحياء، وكما قال الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله): "إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله"[3]، وأنَّه إذا حصل على هذا العون من الله تعالى فلم يخف بعد لَمز لمَّاز، وهذا دليل على أنَّ هذا العون لا يقدر عليه إلّا الله سبحانه، فقد يكون هذا العون هو الحفظ من الناس أو إصلاح الحال أو التوفيق للإيمان، فيقدِّم الإمام (عليه السلام) دعاءه بأسلوب حجاجي يتكون من حجة ونتيجة وعامل حجاجي، فالحجة تتمثل في قوله: (بادرنا منك بالعون)، وقوله: (ومن أيدته)، أي من يحصل على

---

[1] الصحيفة، ص: ٤٥.

[2] سورة الفاتحة، الآية: ٥.

[3] بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الأطهار، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط ٣، ٩٠/ ٣١٤.

عون الله وتأييده، والنتيجة لهذا التأييد والعون هي قوله (لم يخف لمز لماز)، فنتيجة التأييد والدعم هي حصول العبد على التحصين والأمان من الله سبحانه وتعالى.

ثالثاً: السلم الحجاجي

تعدّ هذه النظرية من أركان نظرية الحجاج اللغوي، فقد ألف ديكرو كتاباً وأسماه (السلميات الحجاجية) عام ١٩٨٠م، فهو يرى أنَّ هناك قوة حجاجية تحتّم على الحجج أن توضع بطريقة تراتبية، فلا تتوزع الحجج اعتباطاً في الخطاب، كما أوضح ديكرو أنَّ الحجج تنتظم ضمن طبقة حجاجية واحدة إلّا أنَّها تختلف من حيث القوة والضعف، لذلك عمد على تنظيم هذه الحجج عن طريق وضع السلم الحجاجي[١]، ويعتمد مفهوم السلم الحجاجي في الخطاب على مبدأ التدرج في الحجج والأدلة والعلاقة الترتيبية بينها.

ويرى طه عبد الرحمن أنَّ السلم الحجاجي هو "عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوَّدة بعلاقة ترتيبية"[٢]، كما يرى العزاوي أنَّه "علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها بالرمز:

ن = النتيجة، أما (ب، ج، د) فهي حجج و أدلة تخدم النتيجة"[٣]، فقد أُدرجت هذه النظرية في الحجاج اللغوي لكونها تمثل مجموعة من الأقوال المزودة بعلاقة ترتيبية

---

[١] يُنْظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ص: ١٤٨.

[٢] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص: ٢٧٧.

[٣] اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص: ٢٠.

في عملية تفاعلية بين قول الحجة والنتيجة، ونظرية السلالم الحجاجية تنطلق من إقرار هذا التفاعل والتلازم.

وتعد هذه النظرية النواة المهمة التي تطورت عنها نظرية الحجاج، فقد لاحظ ديكرو أنَّ الحجج ليست على درجة واحدة من القول، بل تندرج في القول حتى تصل إلى أقواها؛ لذا سميت نظرية (السلالم)، فكما يرتقي السلم بالشخص للوصول إلى هدفه كذلك السلَّم الحجاجي يرتقي بالحجة إلى أن يصل إلى النتيجة المطلوبة[١]، وقد يأتي السلم عكسياً من الأقوى إلى الأضعف للوصول إلى الهدف المراد[٢]، فالسلم الحجاجي هو نظام للحجج يقوم على معيار التفاوت في درجات القوة والضعف، تخضع فيه الحجج لترتيب معين، فالحجة في أدنى السلَّم تقوى حجاجياً عبر مراتب الحجاج لتصل إلى النتيجة المرادة.

يرتكز مفهوم السلم الحجاجي في الخطاب على مبدأ التدرّج في استعمال وتوجيه الحجج والأدلة فيمكن القول: إنَّ " السلّم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج"[٣]؛ لأنَّ الحجاج بوصفه استراتيجية لغوية لا يرتبط بالمضمون وما يحيل إليه من مرجع, وإنَّما يرتبط أيضاً بقوة الحجج وضعفها ومدى خضوعها لمنطق الصدق والكذب، فالمرسل ينظّم حججه أثناء التواصل وفق ترتيب تتحكم فيه معطيات متعددة, منها مرتبة

---

[١] يُنْظر: السلالم الحجاجية ومستوياتها في كتب المجالس النحوية، أسمهان سهيل كاظم ومحمد عبد مشكور الكعبي، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٤٩، دورية علمية محكمة كلية الآداب قسم اللغة العربية جامعة بغداد، ٢٠٢١م، ص: ٩٢.

[٢] ينظر: السلالم الحجاجية في شعر أحمد الوائلي، عايد جدوع حنون، صلاح جباري شناوة العبودي، جامعة المثنى– كلية التربية للعلوم الانسانية، مجلة أوروك، العدد ٢، المجلد التاسع، ٢٠١٦، ص: ٨٥.

[٣] التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٦م، ص: ٥٩.

المرسل وطبيعة المرسل إليه, والسياق المحيط بالخطاب الحجاجي[١]، فالحجة يجب أن تحمل قوة كافية للإقناع.

ويتسم السلَّم الحجاجي في نظر ديكرو بسمتين هما[٢]:

– كلّ ملفوظ يرد في مرتبة من السلَّم يكون الملفوظ الذي يعلوه في السلَّم اقوى منه.

– كلّ ملفوظ في السلَّم يؤدي إلى نتيجة معينة، يستلزم أن يكون كل ملفوظات السلَّم التي تعلوه تؤدي إلى نفس النتيجة.

وللسلَّم الحجاجي قوانين يحتكم إليها هي[٣]:

– **قانون القلب:** إذا كان أحد الملفوظات في السلَّم أقوى من الآخر في التدليل على النتيجة، فإنَّ نقيض الأول يكون أقوى في التراتبية من نقيض الآخر، مثل:

حصل زيدٌ على الماجستير، وحتى الدكتوراه.

عند النفي يجب أن نقلب الجملة ونقدم الحجة الأعلى تراتبية؛ لأنَّ نفيها أولاً يكون أقوى و أصح فتصبح:

لم يحصلْ زيدٌ على الدكتوراه، بل لم يحصلْ على الماجستير.

– **قانون النفي:** إذا كان الملفوظ يمثل حجة لنتيجة معينة، فإنَّ نقيضه يمثِّل نقيض النتيجة، أي تغير النتيجة إلى ما يناقضها، مثل:

---

[١] يُنْظر: السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب مقاربة تداولية، حمدي منصور جودي، جامعة بسكرة الجزائر، مجلة مقاليد، العدد ١٣، ٢٠١٧م، ص: ١.

[٢] يُنْظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ص: ١٤٨–١٤٩. وكذلك يُنْظر: اللغة والحجاج، أبوبكر العزاوي، ص: ٢١، ويُنْظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن ، ص: ٢٧٧.

[٣] يُنْظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ص: ١٤٩–١٥٠. ويُنْظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص: ٢٧٧.

زيدٌ مجتهدٌ، لقد نجحَ في الامتحان.

زيدٌ ليس مجتهداً، إنَّه لم ينجح في الامتحان.

- **قانون الخفض:** ويتم عن طريق النفي، ويدل النفي على معنى (أقل من) وينتج تفسير باستعمال التورية في الملفوظات المنفية، فهو يلطف القوة الدلالية للملفوظ المنفي، مثل قولك:

لم يحضرْ كثيٌر من الأصدقاء إلى الحفل.

يمكن تأويله إلى معنى آخر بعيد وغير ظاهر وهو:

لم يحضر إلَّا القليل منهم إلى الحفل.

ومن خلال ذلك نرى أنَّ نظرية الحجاج تهدف إلى دراسة الجوانب الحجاجية في اللغة، فالنظرية تنطلق في مضمونها من مبدأ أنَّنا نتكلَّم بقصد التأثير، ويتمّ ذلك عن طريق توجيه الخطاب وجهة ما تمكّننا من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، والوصول إلى النتيجة المقصودة، إذ يقوم المتكلم باستعمال بعض التقنيات الحجاجية التي يحاول من خلالها إقناع المخاطب بها وتوصيل المتلقي إلى نتيجة مقنعة، وقد احتوت أدعية الإمام الرضا (عليه السلام) في الصحيفة على الكثير من هذا النوع من الحجاج، الذي يمثِّل إدراج حجج متسلسلة ومترابطة تؤدي إلى نتيجة واحدة، ومن السلالم الحجاجية في الصحيفة قوله (عليه السلام) في طلب العافية:

((يا الله، يا وَلِي الْعَافِيَةِ، وَالْمَنَّانُ بِالْعَافِيَةِ، وَرَازِقَ الْعَافِيَةِ وَالْمُنْعِمُ بِالْعَافِيَةِ، وَالْمُتَفَضِّلُ بِالْعَافِيَةِ عَلَيَّ وَعَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ رحْمَنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَعَجِّلْ لَنَا فَرَجاً وَمَخْرَجاً، وَارْزُقْنَا الْعَافِيَةَ، وَدَوَامَ الْعَافِيَةِ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ))[1]، يطلب الإمام (عليه السلام) في هذا الدعاء من الله سبحانه وتعالى أن يمنَّ عليه بالعافية، فيقدِّم حججاً يرتّبها بشكل سلَّم بغية أن

[1] الصحيفة، ص: ٢٤.

يصل في نهاية هذا السلَّم إلى مراده وهو طلب العافية من الله سبحانه وتعالى، وجاء بالحجج من الأقوى إلى الأضعف في سلم عكسي هابط، فيبدأ حججه بقوله: (يا ولي العافية)، أي أنَّك يا الله بيدك وحدك اعطاء العافية لمن تريد، وهي تعد أقوى الحجج في هذا السلم، ثم ينزل بالسلَّم إلى الحجّة الأخرى الأضعف منها بقوله: (والمنان بالعافية)، أي أنَّك تمنّ على عبادك بالعافية وتتفضل بها عليهم رأفةً منك ورحمةً بهم، ثم ينتقل إلى الحجة الأخرى الأضعف بقوله: (ورازق العافية)، فالعافية رزق من الله سبحانه على العباد، والحجة الأخرى قوله: (والمنعم بالعافية)، فالعافية من النعم التي لا نشعر بها إلّا عند فقدانها، والحجة الأخيرة هي قوله: (والمتفضل بالعافية)، كلّ هذه دلائل وأسباب تمثّل حججاً رتَّبها في الدعاء على شكل سلّم يسعى من خلالها إلى الوصول إلى غايته ومطلبه الذي يورده في نهاية هذا السلَّم من الحجج وهو قوله: (ارزقنا العافية ودوام العافية)، فقد قدَّم حججاً مترابطة متسلسلة ومتماسكة لتخدم النتيجة المرادة وهي طلب العافية من الله سبحانه وتعالى، وقد استعمل الرابط الحجاجي (الواو) للربط بين هذه الحجج، ويمكن التمثيل للسلم الحجاجي بالشكل الآتي:

ح١ — يا ولي العافية

ح٢ — المنان بالعافية

ح٣ — رازق العافية

ح٤ — المنعم بالعافية

ح٥ — المتفضل بالعافية

ن — ارزقنا العافية

ومن الأدعية التي احتوت حجج متسلسلة تمثل السلَّم الحجاجي قوله (عليه السلام): **((يا أَبَا الْقَاسِمِ يَا رَسُولَ اللهِ، يَا إِمَامَ الرَّحْمَةِ، إِنَّا تَوَجَّهْنَا بِكَ إِلَى اللَّهِ وَتَوَسَّلْنا بِكَ إِلَى اللَّهِ، وَاسْتَشْفَعْنَا بِكَ إِلَى اللَّهِ، وَقَدَّمْناكَ بَيْنَ يَدَيْ حاجاتِنا، يا وَجِيهاً عِنْدَ اللَّهِ اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ اللهِ))**[1]، احتوى هذا الدعاء على حجج تشكَّلت وكوَّنت سلَّماً حجاجياً يوصل في نهايته إلى نتيجة مقصودة، فصاحب الدعاء يتقرَّب إلى الله سبحانه بالتوسل برسوله الكريم ويستشفع به إلى الله سبحانه، فينادي الرسول الكريم ويخبره بأقوال تمثل حجج كقوله: (إنَّا توجهنا)، وتمثِّل أول الحجج في السلَّم، فيبدأ الإمام (عليه السلام) الدعاء بالتوجه إلى الله تعالى برسوله الكريم والطلب منه، ثم ينتقل إلى الحجة الثانية وهي أقوى وأعلى مرتبة فيقول: (وتوسلنا)، فيبدأ بالتوسل والطلب من الله بحق الرسول ومنزلته عند الله سبحانه، ثم ينتقل إلى الحجة الثالثة وهي قوله: (واستشفعنا)، إذ يبدأ بطلب الشفاعة من الله تعالى بحب الرسول الكريم، ثم الحجة الأخرى وهي قوله (وقدمناك بين يدي حاجاتنا)، أي عرفناك حاجاتنا ومطالبنا وتركناها بين يديك ليقضيها الله سبحانه بجاهك وعظمتك، فالحجج التي تمثِّل السلَّم هي التوجه ثم التوسل ومن بعدها التشفع وبعدها بيان المطالب، ليصل في نهاية هذا السلَّم من الحجج إلى نتيجة يسعى إلى بلوغها وهي نيل الشفاعة عند الله سبحانه وتعالى، وقد استعمل الرابط الحجاجي (الواو) ليربط بين الحجج ويزيد من تماسكها وعطف بعضها على بعض، كما أنَّه بذلك يحقق توجيهاً وتهذيباً لبيان أدب الدعاء وكيفيته، ويمكن التمثيل للسلَّم الحجاجي في الدعاء بالشكل الآتي:

---

[1] الصحيفة، ص:٣٤.

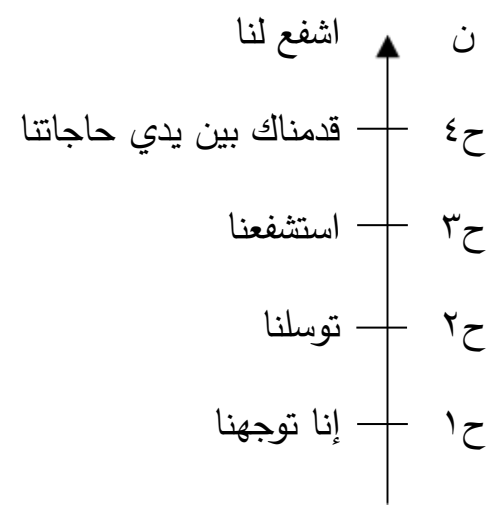

ويتمثَّل السلَّم الحجاجي في الصحيفة كذلك في قول الإمام (عليه السلام) في الدعاء بعد صلاة النبي (ص): ((**اللهُمْ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ أَمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَكَمْتُ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَرْتُ...**))[1]، نجد السلَّم الحجاجي في هذا الدعاء في توافد الحجج على شكل سلَّم، وكلّ حجَّة في السلَّم تدلّ على تقوية الحجة التي تليها وصولاً إلى النتيجة التي يوردها الإمام (عليه السلام) في قمة السلَّم، وقد ربط بين الحجج بالرابط الحجاجي (الواو) الذي يربط بين الحجج المتساوقة، وفي هذا الدعاء يخاطب الداعي الله سبحانه ويطلب منه مغفرة ذنوبه ويسوق لهذا الغرض حججاً متسلسلةً لتقوية الطلب، فيبدأ بالتسليم لأمر الله سبحانه، ثم الإيمان به، وبعد التسليم والإيمان تبدأ مرحلة التوكل على الله سبحانه واللجوء إليه في كلّ الأمور، بعد ذلك يقوّى هذا الإيمان في قلبه فيخاصم ما يغضب الله، ويحتكم إلى الله عزَّ وجلّ في القرارات، كلّ هذه الجمل الاخبارية عبَّر عنها بطريقة متسلسلة في الأحداث من الأدنى إلى الأعلى في التعبير عن التدرج بدرجات الإيمان، ليصل في قمة هذا السلَّم إلى نتيجة يريد نيلها والظفر بها وهي قوله: (اغفر لي ما قدمت وما أخرت)، حيث يطلب من وراء هذه الحجج غفران الذنوب، ويمكن التمثيل لذلك بالشكل الآتي:

---

[1] الصحيفة، ص: ٦٤.

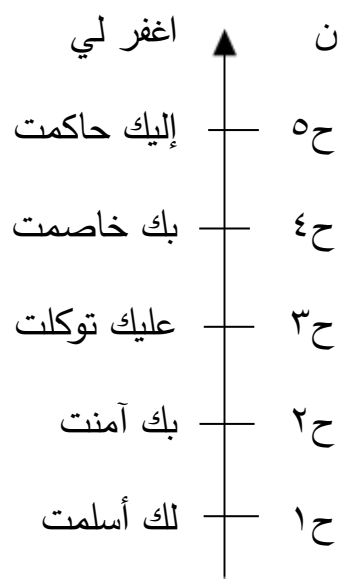

ويمثِّل السلَّم الحجاجي أيضاً في قوله (عليه السلام) في الدعاء لولده المهدي (عليه السلام): ((**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ الْقَائِمَ الْمُنْتَظَرَ، وَالْإِمَامَ الَّذِي بِهِ تَنْتَصِرُ، وَأَيِّدَهُ بِنَصْرِ عزيز، وَفَتْح قريبٍ، وَوَرِّثْهُ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا اللَّاتِي بَارَكْتَ فيها، وأحي به سُنَّةَ نَبِيِّكَ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، حَتَّى لا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ وَقَوِّ نَاصِرَهُ وَاخْذُلْ خَاذِلَهُ وَدَمْدِمْ عَلَى مَنْ نَصَبَ لَهُ**))[1]، يدعو الإمام (عليه السلام) في صحيفته إلى إمام زماننا العدل المنتظر والخير المؤمل، ليملأ الأرض قسطاً وعدلا، فيدعو له بغية تحقيق العدل بظهوره واحقاق الحق وتأييده ونصرته، فالدعاء يمثل حجة يريد أن يصل من خلالها إلى نتيجة، وقد رتَّب الحجج على شكل سلسلة مرتبة من المطالب وهي قوله: (اجعله القائم المنتظر، والإمام الذي به تنتصر، وأيده بنصر عزيز، وفتح قريب، وورثه مشارق الارض ومغاربها، وأحي به سنة نبيك)، كل هذه المطالب تمثل حجج يبتغي من ورائها أن يصل إلى نتيجة وهي قوله: (حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق)، أي أنَّ هذه المطالب تقويه لكي لا يهاب الباطل ويقاومه ولا يخاف شيئاً بغية تحقيق الحق، فلا يستخف بالحق مخافة أحد من الناس، وقد ربط بين الحجج والنتيجة بالرابط

[1] الصحيفة ، ص: ٧٣.

الحجاجي (حتى) الذي يربط بين الحجج القوية والمتساوقة، ويمكن التمثيل للسلالم الحجاجية في هذا الدعاء بالشكل الآتي:

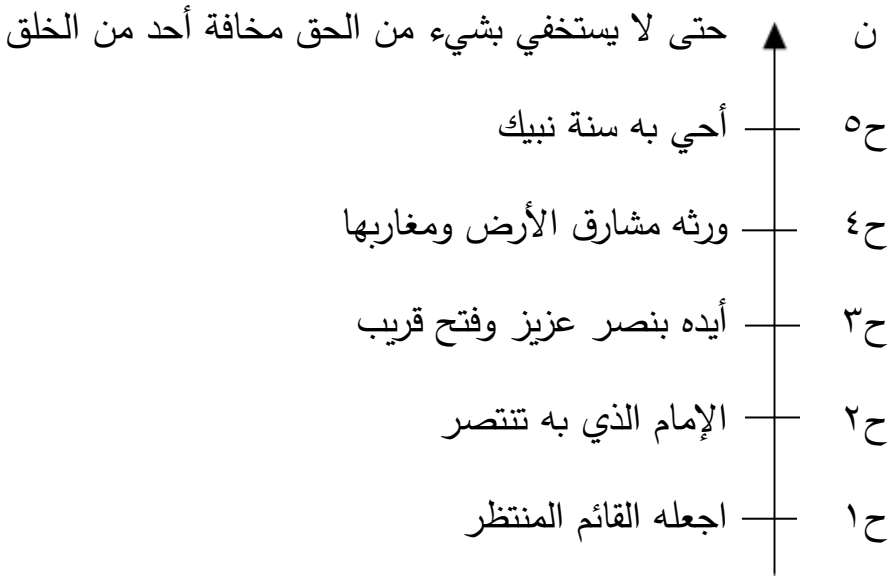

ونجد السلَّم الحجاجي كذلك في قوله (عليه السلام) عند الاحرام للتمتع من العمرة إلى الحج: **((اللَّهُمَّ إِنِّي خَرَجْتُ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَسَافَةٍ طويلةٍ، وَإِلَيْكَ وَفَدْتُ وَلَكَ زُرْتُ، وَأَنْتَ اَخْرَجْتَنِي، وَعَلَيْكَ قَدِمْتُ، وَأَنْتَ أَقْدَمْتَنِي، أَطَعْتُكَ بِإِذْنِكَ وَالْمِنَّةُ لَكَ عَلَيَّ، وَعَصَيْتُكَ بِعِلْمِكَ وَلَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَأَسْأَلُكَ بِانْقِطَاعِ حُجَّتِي، وَوُجُوبِ حُجَّتِكَ عَلَيَّ إِلَّا مَا صَلَّيْتَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ، وَغَفَرْتَ لي))**[1]، يريد صاحب الدعاء أن يصل إلى غايته، وهي اتمام حجته بمغفرة ذنوبه، فيقدم مطالب تمثِّل حججاً يخدم من خلالها هذه النتيجة، ومن هذه الحجج هي قوله: (إني خرجت من شقة بعيدة)، حيث يبدأ السلم من لحظة خروجه من منزلة، ثم ينتقل إلى الحجة الأخرى بقوله: (ومسافة طويلة)، حيث يبين مشقة السفر وبعد المسافة التي قطعها حتى وصوله، بعدها يأتي بحجة أخرى أعلى منها درجة في السلَّم وهي قوله: (وإليك وفدت)، فيبين

[1] الصحيفة ، ص: ١٠٠.

غايته في هذا الخروج والمجيء وقطع تلك المسافة ليتشرف بزيارة بيت الله الحرام، ويتمم ذلك بقوله: (ولك زرت وأنت اخرجتني)، أي بتوفيقك ومنك عليَّ أتيت بي من مسافة بعيدة لتشرفني بنوال الحجة إلى بيتك الشريف، ثم يقول: (وعليك قدمت وأنت أقدمتني)، فلو لا توفيق الله سبحانه لما تسنَّى له المجيء والتشرف بالحجة، فهو يقدم هذه الحجج بغية الوصول إلى نتيجة، وهي إتمام هذه النعمة وإكمال الحج بقبول حجته ومغفرة ذنوبه، وقد ربط بين الحجج بالرابط الحجاجي (الواو)، فمثَّلت الحجج في الدعاء سلَّماً و كلّ حجة في السلَّم تدل على تقوية الحجة التي تليها وصولاً إلى النتيجة التي عرضت في قمة السلَّم مستعملا الرابط (الواو) الذي أدَّى دوراً محورياً في ضبط نسق الحجاج، بل ساعد على رسم صورة المسلك الذي يقطعه السامع للوصول إلى النتيجة المرادة، وهو أيضاً يقوي النتيجة ويقنع السامع بها، ويمكننا التمثيل للسلَّم بالشكل الآتي:

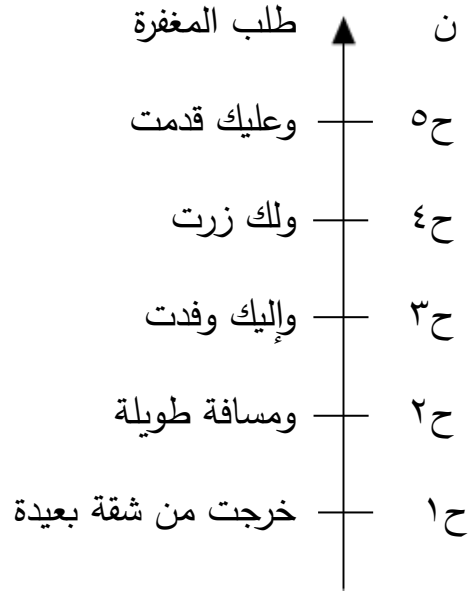

الخـــــاتـــمة والنتائج

الخاتمة والنتائج

الحمد لله على عظيم إحسانه وجليل نعمه ودوام غفرانه، في ختام هذا البحث لابد أن نشير إلى أهم ما أسفر عنه من نتائج في ضوء دراسته لبعض نظريات التداولية وتطبيقها على أدعية الإمام الرضا (عليه السلام) في الصحيفة الرضوية:

١- تهتم اللسانيات التداولية بدراسة اللغة اليومية المستعملة، والدعاء خطاب صادر من العبد إلى خالقه يعبر عمَّا في داخله من حاجات ومطالب كما يشكر الله تعالى على نعمه، فيستعمل الكلام العادي واللغة اليومية؛ لتقربه إلى خالقه فالكلام العادي الخالي من الغموض يساعد أكثر في التعبير عمّا في داخل الإنسان.

٢- اشتملت أدعية الإمام الرضا (عليه السلام) في الصحيفة الرضوية على جميع الإشاريات بأنواعها الشخصية والزمانية والمكانية والاجتماعية والخطابية، وكانت الإشاريات الشخصية هي الأكثر حضوراً في الصحيفة، إذ يشير إلى نفسه كثيراً بتصغير وإذلال أمام الخالق عز وجل، وهذا يدلّ على الأثر الإبداعي الذي اشتملت عليه موضوعات الصحيفة.

٣- تمثل الإحالة روابط معنوية بين الألفاظ تشير إلى أشياء أو أشخاص في سياق الكلام، وتفهم هذه الإحالة عن طريق معرفة قصد المتكلم، وهي تمثل (الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة) وقد تحيل هذه الألفاظ إلى أشياء سابقة أو لاحقة في سياق الكلام، أو قد تحيل إلى أشياء خارج سياق الكلام، كما أنّ هناك فرقاً بين الإحالة والإشارة وهناك من جعلهما مترادفين.

٤- إنَّ للإحالة حضوراً كبيراً في أدعية الإمام الرضا (عليه السلام) في الصحيفة الرضوية، إذ اشتملت على أنواع الإحالة المقامية منها والنصية، أي إحالة خارج سياق الدعاء، وإحالة داخلية موجوده في سياق الدعاء، كما قد تتقدم الإحالة الداخلية وتتأخر عن المحال إليه في نصوص الدعاء.

٥- مثَّلت الصحيفة الرضوية الدرس التداولي خير تمثيل، إذ اشتملت على نظرية أفعال الكلام وهي تمثل الركن الرئيس للتداولية، حيث كان للأفعال الإنجازية المباشرة حضور كبير في الصحيفة الرضوية، فقد اشتملت على أنواع سيرل الخمسة (الإخباريات، والوعديات، والأمريات، والتعبيريات، والإعلانيات)، كما أنَّ للأفعال الإنجازية غير المباشرة حضوراً كبيراً أيضاً في الصحيفة الرضوية، فالدعاء طلب لكن بطريق مؤدبة ومهذبة.

٦- إنَّ للقصدية حضوراً كبيراً في أدعية الإمام الرضا (عليه السلام) في الصحيفة الرضوية، إذ إنَّه وراء كل دعاء مقصد ومعنى ينقله الإمام (عليه السلام) إلى الناس لتعليمهم أساليب الدعاء، وتعريفهم بدينهم وعظمة خالقهم، وبين أنَّ القصدية تحتل مكانة متقدمة في الدرس التداولي؛ لأنَّها ترتبط ارتباطاً مباشراً بالعقل، فهي تعدّ صفة للأفكار العقلية التي تربط الوعي بالأشياء في العالم الخارجي، كما إنَّ للقصدية أثراً كبيراً في نظرية أفعال الكلام، إذ إنَّ القصدية ترتبط بدلالة الأقوال أي ما يقصده المتكلم من كلامه، ونظرية أفعال الكلام تبحث عمَّا يُنجزه المتكلم من أحداث في كلامه أي ما يحدثه من تغيير في الواقع، فالعلاقة وطيدة بينهما.

٧- اشتملت أدعية الإمام الرضا (عليه السلام) في صحيفته الخالدة على الحجاج، إذ جاء الحجاج بأصنافه اللغوية حسب نظرية ديكرو وأنسكومبر في أدعية الإمام الرضا (عليه السلام)، فكانت الروابط الحجاجية كثيرة لاسيما الروابط (الفاء، والواو، وحتى) إذ كثرت هذه الروابط في الصحيفة، أمَّا العوامل فكانت أقل حضوراً من سابقتها إلَّا العامل (الاستثناء المسبوق بالنفي (لا...إلَّا))، إذ جاء بكثرة في الصحيفة في قصر الربوبية لله تعالى وحده، أمَّا السلالم الحجاجية فقد انطبقت على الكثير من الأدعية في الصحيفة، وقد اقتصرنا في الإشارة إلى بعضها في التطبيق.

وفي الختام أسأل الله أنْ يمنَّ علينا بالقبول الحسن ويوفقنا لصالح الأعمال.

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

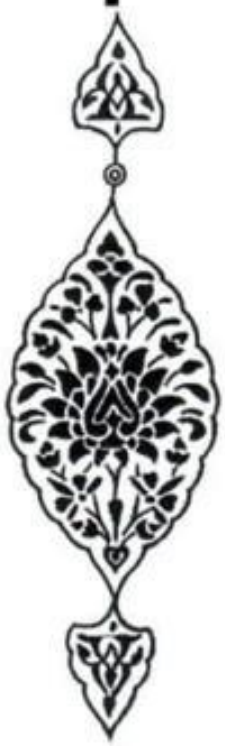

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب المطبوعة

(أ)

١- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٢م.

٢- الإحالة في نحو النص، أ. د. أحمد عفيفي، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، ط١.

٣- استراتيجية الخطاب عند الإمام علي (عليه السلام) مقاربة تداولية، باسم خيري خضير، إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة، العراق – كربلاء، ط١ ، ٢٠١٧م.

٤- استراتيجية الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتب الجديد، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

٥-أمالي الصدوق، الشيخ أبو جعفر الصدوق(ت ٣٨١هـ)، المطبعة الحيدرية النجف، ط١، ١٣٨٩هـ-١٩٧٠م.

٦- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صعود، كلية الآداب والفنون والعلوم الانسانية، تونس ـ منوبة، ط١، ١٩٩٨م.

(ب)

٧-بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ج٩٠، ط ٣.

٨- البلاغة العربية الجديدة مسارات ومقاربات، عماد عبد اللطيف، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن – عمان، ط١، ٢٠٢١م.

(ت)

٩- تاريخ نظريات الحجاج، فليب بروتون و جيل جوتييه، ترجمة: د. محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط١، ٢٠١١م.

١٠- تأملات ديكارتية أو المدخل إلى الفينومينولوجيا، أدموند هوسرل، ترجمة: تيسير شيخ الأرض، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، دط، ١٩٥٨م.

١١- تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، د. بهاء الدين محمد مزيد، مطبعة شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

١٢- تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط٢، ٢٠٠٥م.

١٣- التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٦م.

١٤- تحليل الخطاب، ج . ب . براون، ج . يول ، ترجمة وتعليق: د. محمد لطفي الزليطي ود. منير التريكي، النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ _ ١٩٩٧م.

١٥- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بالخير، دار الأمل للطباعة والنشر، المدينة الجديدة-تيزي وزو، ط٢، ٢٠١٣م.

١٦- التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح اسماعيل عبد الحق، دار التنوير للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٣م.

١٧- التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ط٢، ٢٠١٤م.

١٨- التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، كنوز المعرفة، عمان، ط١، ٢٠١٦م.

١٩- التداولية، جورج يول، ترجمة: د. قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

٢٠- التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

٢١- التداولية من أوستن إلى غوفمان، فليب بلانشية، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط ١، ٢٠٠٧م.

٢٢- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني ولطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت_ لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

٢٣- تطور علم اللغة منذ ١٩٧٠، وجرهارد هلبش، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

٢٤- التوحيد، للشيخ أبي جعفر محمد بن علي الصدوق (ت ٣٨١)، تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط٢.

(ح)

٢٥- الحجاج بين النظرية والتطبيق، أبو بكر العزاوي، (مداخلة، محمد الولي، ممهدات الخطابة البيرلمانية)، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، أربد – الاردن، ط١، ٢٠٢٠م.

٢٦- الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، د. محمد سالم محمد الأمين، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط ١، ٢٠٠٨م.

٢٧- الحجاج في التواصل، فيليب بروطون، ترجمة: محمد مشيال، المركز القوي للترجمة، مصر ـ القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.

٢٨- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، إربد- الاردن، ط٢، ٢٠١١م.

٢٩- الحجاج في القرآن من خلال الخصائص الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.

٣٠- الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، د. حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط١، ج١، ٢٠١٠م.

٣١- الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة (بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، د. علي الشبعان، تقديم حمادي صمود، دار الكتب الجديدة المتحدة، لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

(خ)

٣٢- الخبرة الجمالية دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية، هيدجر سارتر ميرلو بونتي دوفرين انجاردن، سعيد توفيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٣٣- الخطاب الحائد في العربية مقاربة لغوية تداولية، د. جاسم خيري حيدر الحلفي، كنوز المعرفة، عمان، ط١، ٢٠٢٠م.

٣٤- الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، د. مؤيد آل صويت، مكتبة الحضارات، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

(د)

٣٥- الداليات والتداوليات البحث اللساني والسيميائي، طه عبد للرحمن، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرياض جامعة محمد الخامس، المغرب، ط١، ١٩٨٤م.

٣٦- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٣٧- دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، د. ميجان الرويلي ود. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ٢٠٠٢م.

(ر)

٣٨- رسائل الإمام علي(ع) في نهج البلاغة دراسة حجاجية، رائد مجيد جبار، مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة، سلسلة الرسائل الجامعية العراق، وحدة علوم اللغة العراقية سلسلة الرسائل الجامعية العراق، ١٥ وحدة علوم اللغة العربية، كربلاء، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

٣٩- رؤية الأشياء كما هي نظرية الإدراك، جون سيرل، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم علي، علم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، دط، ٢٠١٨م.

(س)

٤٠- السلميات الحجاجية، أزوالد ديكرو، ترجمة: أبوبكر العزاوي، مطبعة وراقة بلال - المغرب، ط١، ٢٠٢٠م.

٤١- السيميائية وفلسفة اللغة، إمبرتو إيكو، ترجمة: د. أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

(ص)

٤٢_ الصحيفة الرضوية الجامعة لأدعية الإمام علي بن موسى الرضا وأبنائه (الإمام الجواد، والإمام الهادي، والإمام العسكري، والإمام المهدي) عليهم السلام، سماحة السيد محمد باقر الموحد الأبطحي الأصفهاني، مؤسسة الإمام المهدي – قم المقدسة، ط١، ١٤٢٠هـ.

(ع)

٤٣- العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال، محمد العبد، مكتبة الآداب- القاهرة، ط٢، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

٤٤- العقل مدخل موجز، جون سيرل، ترجمة: أ. د. ميشيل حنا متياس، عالم المعرفة- الكويت، دط، ٢٠٠٧م.

٤٥- العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، لبنان- بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٤٦- علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، تقديم: سليمان العطار مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٤٣٠هـ_ ٢٠٠٩م.

٤٧- علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، تون فان ديك، ترجمة: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، جمهورية مصر العربية، ط١، ٢٠٠١م.

٤٨- عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير، افريقيا الشرق- المغرب، ط١، ٢٠٠٦م.

٤٩- العوامل الحجاجية في اللغة العربية، د. عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ٢٠١١م.

٥٠- عيون أخبار الرضا، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق(ت ٣٨١هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط١، ج/١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(ف)

٥١- الفلسفة والأسئلة الكبرى عند ميشيل مايير، جميل حمداوي، دار الريف للطبع والنشر الالكتروني، المملكة المغربية، ط١، ٢٠١٩م.

٥٢- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، د. خليفة بو جادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع _ الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م.

٥٣- في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، مسكيلباتي للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ٢٠١١م.

٥٤- الفينومينولوجيا عند هوسرل دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر، سماح رافع محمد، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، العراق- بغداد، ط١، ١٩٩١م.

٥٥- الفينومينولوجيا المنطق عند أدموند هوسرل، يوسف سليم سلامة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

(ق)

٥٦- قاموس التداولية، جوليان لونجي وجورج إيليا سرفاتي، ترجمة: لطفي السيد منصور، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٢٠م.

٥٧_ القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب (الفيروزآبادي ٨١٧هـ)، تحقيق: أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي، دار الكتب الحديثة (القاهرة، الكويت)، دط، دت.

٥٨- القصدية بحث في فلسفة العقل، جون سيرل، ترجمة: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، دط، ٢٠٠٩م.

(ل)

٥٩- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، ط١، ١٩٩٤م.

٦٠- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، منتديات سور الأزبكية، الدار البيضاء-المغرب، ط١، ٢٠٠٦م.

٦١_ لسان العرب، للعلامة جمال الدين محمد بن منظور(ت ٧١١هـ)، مج٢- ٣-٤، دار صادر _ بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.

٦٢- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط١، ١٩٩٨م.

٦٣- اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، د. عز الدين نعمان بو قرة، عالم الكتب الحديث، إربد-الاردن، دط، ٢٠٠٩م.

٦٤- لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة تيزي وزو، الجزائر، ط٢، ٢٠١٢م.

٦٥- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، لبنان-بيروت، ط١، ١٩٩١م.

(م)

٦٦- مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، زتسيلاف واورزنياك، ترجمة: أ. د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ_٢٠٠٣م.

٦٧- مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، الجيلالي دلاش، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية_ الجزائر، دط، ١٩٩٢م.

٦٨_ مدخل جديد إلى الفلسفة، د. مصطفى النشار، نيو بوك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٧م.

٦٩- المذاهب الفلسفية المعاصرة، سماح رافع محمد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٧٣م.

٧٠- مسرد التداولية، ا. د. مجيد الماشطة، مدرس مساعد أمجد الركابي، دار الرضوان للنشر والتوزيع _ عمان، ط١، ٢٠١٨م_١٤٣٩هـ.

٧١- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، نعمان بوقرة، جدار للكتاب العالمي، عمان- الردن، ط١، ٢٠٠٩م.

٧٢- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومنيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م.

٧٣- معجم أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

٧٤- معجم تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر اسماعيل الجوهري(ت ٣٩٣هـ)، دار الحديث، القاهرة، دط، ٢٠٠٩م.

٧٥- معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي (ت ٢٠١٦م)، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.

٧٦- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن زكريا القزويني الرازي ابن فارس(ت ٣٩٥هـ)، اعتنى به: محمد عوض مرعب، وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٧٧- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية،(إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار)، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، إيران طهران، ط٦، والقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ج ١، ٢٠٠٤م_ ١٤٢٥هـ.

٧٨- المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، محمد محمد يوسف علي، دار المدار الإسلامي، بيروت- لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.

٧٩- مفتاح العلوم، السكاكي أبو يعقوب يوسف (ت٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، و ط٢، ١٩٨٧م.

٨٠- المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة: د. سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط-المغرب، ط١، ١٩٨٦م.

٨١- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، د. محمد محمد يونس علي، دار الكتب الجديد المتحدة، مكتبة نرجس، بنغازي-ليبيا، ط١، ٢٠٠٤م.

٨٢- مقدمة في اللغويات المعاصرة، ماهر محمود آغا، العربية الخاصة تقويم النطق واللغة، مكتبة المرجع، دط.

٨٣- مناهج البحث الفلسفي، د. محمود زيدان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، دط، ٢٠٠٤م.

٨٤- المنطق عند أدموند هوسرل، يوسف سلامة، دار حوران، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.

(ن)

٨٥- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

٨٦- النحو الوافي، مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، عباس حسن(ت ١٩٧٩م)، انتشارات ناصر خسرو- طهران، أربع مجلدات، ط٨، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م.

٨٧- النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

٨٨- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ط١، ٢٠٠٠م.

٨٩- نظرات حول الإنسان، روجيه جارودي، ترجمة: د. يحيى هويدي، مطبوعات المجلس الأعلى للثقافة، مصر- القاهرة، دط، ١٩٨٣م.

٩٠- نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، أوستين، ترجمة: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، ط١، ١٩٩١م.

٩١- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هشام الطبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، دط، ١٩٩٤م.

٩٢- النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) (دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ)، د. محمود عكاشة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.

٩٣- النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء-المغرب، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٩٤- نظرية الفعل الكلامي (بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي)، هشام عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.

٩٥- نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً)، الأزهر الزنَّاد، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

(و)

٩٦- وصف اللغة العربية دلالياً في ضوء مفهوم الدلالة المركزية (دراسة حول المعنى وضلال المعنى)، محمد محمد يونس علي، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا، دط، ١٩٩٣م.

ثالثاً: الرسائل والأطاريح

١- الإشاريات في سورة يوسف دراسة تحليلية تداولية، الباحث أستجب، كلية الآداب والعلوم الثقافية، جامعة سونان كليجاكا الإسلامية، ٢٠١٥م.

٢- إشكالية القصدية في الممارسة النقدية، بوزيد صابرية، إشراف هواري بالقاسم، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠٠٩م.

٣- البنية الحجاجية في شعر عز الدين ميهوبي، فوزية زيار، اشراف عبد الحليم بن عيسى، أطروحة في كلية الآداب والفنون قسم اللغة والأدب العربي، جامعة وهران، ٢٠١٩م.

٤- تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجاً، حياة دحمان، الجمهورية الجزائرية، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية، ٢٠١٣م.

٥- التداولية عند علماء الأصول الشوكاني أنموذجاً، إعداد الطالبين بهلول اليزيد وبن عبد العزيز فرحات، جامعة عبد الرحمن ميرة ـ بجاية، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٧م.

٦- التفكير التداولي في كتاب الحروف لأبي نصر الفارابي، بن شريط نصيرة، جامعة محمد بو ضياف بالمسيلة، ٢٠١٧م.

٧- الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، حسين بوبلوطة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، ٢٠١٠م.

٨- محاضرات في مادة فلسفة اللغة، للدكتور الطيب رزقي، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية، الجمهورية الجزائرية، جامعة الإخوة منتوري _ قسنطينة.

٩- النحو الوظيفي والدرس اللّغوي العربي دارسة في نحو الجملة، الزايدي بودارمة، علوم اللسان العربي، قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

رابعاً: المجلات والدوريات

١- الأبعاد الفلسفية في البراجماتية (التداولية) وأفعال الكلام (نقد المفهوم والتطبيق)، إعداد د. محمود أبو المعاطي عكاشة استاذ علم اللغة، المجلة العربية (مداد)، العدد٢ ، يناير _ ابريل ٢٠١٨م.

٢- الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النَّص القُرآني دراسة وصفية تحليلية، نائل محمد اسماعيل، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد ١٣، العدد١، ٢٠١١م.

٣- الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه (عيون البصائر) أنموذجاً، للأستاذة مشري أمال، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد ٣٦.

٤- البلاغة الجديدة النظرية الحجاجية عند بيرلمان- محاولة تأصيل، نور الدين يوزناشة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد ١٣، العدد٢، ٢٠١٤م.

٥- أسس المنهج الظواهري عند (إدموند هوسرل)، فريدة غيوة، مجلة التواصل، ع٤، جوان، ١٩٩٤م.

٦- السلالم الحجاجية في شعر أحمد الوائلي، عايد جدوع حنون، صلاح جباري شناوة العبودي، جامعة المثنى- كلية التربية للعلوم الانسانية، مجلة أوروك، العدد ٢، المجلد ٩، ٢٠١٦.

٧- الإشاريات الشخصية في نصوص من كتاب من لا يحضره الفقيه دراسة تداولية، أمجد ستار ساجت الحسيني وسعد محمد علي التميمي، جامعة واسط، مجلة كلية التربية، العدد ٣٧، ج٣، ٢٠١٩م.

٨- إنجازية الخطاب القرآني مقاربة تداولية للفعل الكلامي الكلي في القران الكريم، عابد لرزق، جامعة سيدي بالعباس، مجلة المدونة، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية، المجلد ٥، العدد ١، ٢٠١٨م.

٩- البعد التداولي عند سيبويه، أ. مقبول إدريس،(بحث)، عالم الفكر، ط١، العدد ٣٣، يوليو-سبتمبر، ٢٠٠٤م.

١٠- تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني، مقاربة تحليلية لكشف المقاصد والابعاد، حماد مصطفى، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بالعباس، الجزائر، العدد ٢٦، ٢٠١٦م.

١١- تداولية الإشاريات في قصة موسى (ع) في القرآن الكريم، نهلة حسين طه، قسم اللغة العربية جامعة صلاح الدين ـ شقلاوة، مجلة العلوم التربوية والإنسانية، العدد١، ٢٠٢٠م.

١٢- التداولية في المعاجم العربية قراءة في معجم المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب لنعمان بو قرة، فرحات بلولي، المركز الجامعي بالبويرة، مجلة الممارسات اللغوية، العدد ٥، ٢٠١١م.

١٣- التداولية مقدمة عامة، خلف الله بن علي، مجلة اتحاد الجامعة العربية للآداب، المجلد ١٤، العدد ١، ٢٠١٧م.

١٤- التعبير الإشاري في الخصيبي مقاربة تداولية، كاظم جاسم منصور العزاوي، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، كلية الآداب، مجلد ٢٤، العدد ١.

١٥- تقنيات الحجاج في البلاغة اليونانية القديمة مقاربة لمشروع: السفسطائيين وافلاطون وارسطو، شعبان أمقران وحفيظة روابنية، جامعة باجي مختار- الجزائر، المجلد ٢٥، العدد ٢، ٢٠١٩م .

١٦- الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وأنسكومبر، د. الراضي رشيد، مجلة عالم الفكر، العدد١، مجلد ٣٤، يوليو سبتمبر ٢٠٠٥م.

١٧- خطبة واصل بن عطاء(ت ١٣١هـ) مقاربة حجاجية تداولية، أحمد حلمي عبد الحليم، مجلة الزهراء، العدد٣٢، ٢٠٢٢م.

١٨- السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب مقاربة تداولية، حمدي منصور جودي، جامعة بسكرة الجزائر، مجلة مقاليد، العدد ١٣، ٢٠١٧م.

١٩- السلالم الحجاجية ومستوياتها في كتب المجالس النحوية، أسمهان سهيل كاظم ومحمد عبد مشكور الكعبي، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٤٩، دورية علمية محكمة كلية الآداب قسم اللغة العربية جامعة بغداد، ٢٠٢١م.

٢٠- سلطة النص وآليات الحجاج قراءة في نونية أبي إسحق الإلبيري، منتصر نبيه محد صديق، مجلة الدراسات العربية.

٢١- العناصر الإشارية في قصيدة ارحل وعارك في يديك لفاروق جويدة دراسة تحليلية، د. عبد العزيز صابر عبد العزيز، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، مجلة الدراسات العربية، المجلد ٣٨، العدد١، ٢٠١٨م.

٢٢- العوامل الحجاجية وروابطها في التمثيلات النبوية، زقنون نصيرة، جامعة احمد بن بلة ـ وهران، مجلة جسور المعرفة، المجلد ٥، العدد ٤، ٢٠١٩م.

٢٣- الفكر التداولي عند جون أوستين (قراءة في آليات تأويل أفعال الكلام غير المباشرة)، نبيل محمد صغير، جامعة مولود معمري، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، العدد ١٢، ٢٠١٥م.

٢٤- الفلسفة والسيميائية مصدران للتداولية، أ. دلال وشن، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة ميلة، المجلد ١١، العدد١، ١٨ مارس ٢٠١٩م.

٢٥- الفينومينولوجيا والبحث في الإنسان، د. مجدي عرفة، مجلة الإنسان والتطور، أبريل ١٩٨٠م.

٢٦- القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، وشن دلال، كلية الآداب واللغات جامعة محمد خضير، بسكرة الجزائر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٦، ٢٠١٠م.

٢٧- اللغة والمنطق في الدراسات الحالية، عبد الرحمن بدوي، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد١، ١٩٧١م.

٢٨- المباحث التداولية عند الدكتور محمود أحمد نحلة، د. عبد الرسول سلمان إبراهيم وعبير خزعل خلف هلال، جامعة ديالى كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة ديالى، العدد ٧٠، ٢٠١٦م.

٢٩- مفهوم القصدية في اللسانيات التداولية، د. بن زحاف يوسف، المركز الجامعي أحمد زبانة، غليزان، الجزائر، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، المركز الديمقراطي العربي، العدد ١٢، المجلد ٣، آذار مارس ٢٠٢٠م.

٣٠- مقاصد الشريعة المفهوم وطرق الاستنباط والحجية، صالح بن فاضل هزازي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، العدد ٣٦، المجلد ٩.

٣١- نظرية أفعال الكلام عند أوستين، نصيرة غماري، مجلة اللغة والأدب، الجزائر، العدد١١، ٢٠٠٦م.

٣٢- نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة دراسة تداولية، محمد مدور، مجلة الواحات والبحوث والدراسات، العدد١٦، ٢٠١٢م،

.http://elwahat.univ-ghardaia.dz

٣٣- نظرية الحجاج اللغوي عند ديكرو وأنسكومبر، جايلي عمر، جامعة بالأغواط، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد٣، ٢٠١٨م.

خامساً: مواقع الأنترنت

١- بيوغرافيا البلاغة الجديدة، لوسي أولبرخت – تيتكا، أنوار طاهر، ٢٠١٩م، موقع ويكيبيديا، https://www.academia.edu/٤٣٦٥٥٨٣٦/.

٢-علم لغة النص، مؤيد جاسم، موقع جامعة كربلاء،

https://uokerbala.edu.iq/archives/٩٦٠٨.

٣- من أجل مقاربة قرائنية لديوان (غنج المجاز) لجمال ازراغيد، دكتور جميل حمداوي، شبكة أخبار الناظور والريف، ٢٠١١م،

https://www.maghress.com/arrifinu/٥٠٢٨٦.

٤- موقع تبيان،

https://arabic.tebyan.net/index.aspx?pid=٦٧٧٠١.

٥- موقع منديا تليلاس، https://www.liilas.com/vb٣/.

٦- موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، الأنجلو ساكسونية،

https://ar.m.wikipedia.org/wiki/.

٧- موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة (جورج يول)،

https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D٨%AC%D٩%٨٨%D٨%B١%D٨%AC_%D٩%٨A%D٩%٨٨%D٩%٨٤_(%D٩%٨٤%D٨%BA%D٩%٨٨%D٩%٨A).

٨- موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، جون ليونز،

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨%AC%D٩%٨٨%D٩%٨٦_%D٩%٨٤%D٩%٨A%D٩%٨٨%D٩%٨٦%D٨%B٢.

٩- موقع ويكيبيديا،

https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D٩%٨١%D٩%٨٤%D٨%B٣%D٩%٨١%D٨%A٩_%D٨%AD%D٨%AF%D٩%٨A%D٨%AB%D٨%A٩.

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Misan
College of Education
Department of Arabic

The Pragmatic Dimensions in the Al-Saheefa Al-Rezawia

A Thesis Submitted by

Zahraa Sami Hameed

To the Council of the College of Education –University of Misan as a Fulfillment of Requirements for Master's Degree in Arabic Language and its Arts

Under the Supervision of

Asst. Prof. Muwaffaq Majeed Lilo (Ph.D)

2023 A. D

1444 A. H

The second chapter talks about Deixis and the application of their types to the Al-Saheefa Al-Rezawia. The first section talks about Deixis , their concept, origin and types. The second section applies the types of Deixis in Al-Saheefa Al-Rezawia. The last and third section studies the referral and its relationship to the reference and the presence of the referral in Al-Saheefa Al-Rezawia .

The third chapter copes with the Argumentation in Al-Saheefa Al-Rezawia. It has two sections. The first section is dealt with the concept of Argumentation, its origin and sections. The second section is represented in the application of the types of arguments according to the analysis of Decro and Anscomber on the supplications of Al-Saheefa Al-Rezawia, and the study of argumentative links, argumentative factors, and argumentative steps.

Then the study ends with a conclusion that includes the most important findings, follows by a list of sources and references.

University of Misan
Translation Unit
College of Education
أ.م أسيون فاخر جاسم
٢٠٢٣/٣/٢٨

Abstract

This study seeks to shed light on the supplications of Imam Reza , peace be upon him, in the Al-Saheefa Al-Rezawia and study it in the light of the pragmatic approach. Al-Saheefa Al-Rezawia is for the sake and the greatest thing that Imam Reza, peace be upon him, left, as it includes a group of supplications and monologues that express the depth of the spiritual relationship between the servant and his Creator.

The researcher relies on the descriptive approach first in explaining the subject and detailing its parts, then the analytical approach, and applies to the supplications of Imam Reza, peace be upon him. The study includes an introduction, a preface, three chapters and a conclusion with the most prominent findings and a list of sources and references.

The preface encompasses an explanation of the concept of pragmatics and its origin, then an introduction to the Al-Saheefa Al-Rezawia selected from the Al-Saheefa Al-Rezawia Al-Jamiea by Al-Abtahi, and its most important topics and traceable.

The first chapter comes to study the theory of speech acts and its relationship to intentionality and their applications to the supplications of Imam Reza, peace be upon him. It has three sections. the first section is covered the theory of speech acts, its concepts and its origins with Austin and Searle. The second section is represented in the application of the theory of performing speech acts from Searle's view (direct and indirect) on the Al-Saheefa Al-Rezawia. The third section is involved the intentions in the Al-Saheefa Al-Rezawia, and studies the relationship of intentionality with the theory of speech acts.

University of Misan
Translation Unit
College of Education
أ.م أسوان طارق جاسم
٢٠٢٣/٢/٢٨